مجالس السيدة الحسينية

شبكة المعارف الإسلامية
www.almaaref.org
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

معهد سيّد الشهداء عليه السلام
للمنبر الحسيني

مجالس السيرة الحسينية

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتـاب **مجالس السيرة الحسينية**

إعداد ونشر معهد سيد الشهداء عليه السلام للتبليغ والمنبر الحسيني

الطبـعـة الاولى كانون الثاني/2005م - 1425هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

مجالس السيرة الحسينية

إعداد ونشر
معهد سيد الشهداء عليه السلام للتبليغ والمنبر الحسيني
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الولاية لنبيه وآل نبيه صلوات الله عليهم، فجعلهم الشموس الطالعة، والأقمار المنيرة، والأنجم الزاهرة، وأعلام الدين وقواعد العلم، صالحاً بعد صالح، وصادقًا بعد صادق، وسبيلاً بعد سبيل.

والحمد لله الذي منّ علينا من بينهم بسفينة النجاة، ومصباح الهدى، الإمام الحسين بن علي عليه السلام الذي أُمرنا بإحياء ذكره وإقامة أمره، تعظيماً لحقه.

وبعد، (إنّ من أعظم النعم الإلهية علينا هي مجالس العزاء التي تُقام إحياءاً لذكرى فاجعة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام . وهذه النعمة الإلهية تتطلب الاستثمار الكامل والبنّاء من قبل العلماء والجمهور معاً.

أمّا استثمار الجمهور لهذه النعمة فيتمثّل في إقامة مجالس العزاء وتوسيعها على أكبر نطاق ممكن والمشاركة الفعّالة والجادّة فيها وجعلها وسيلة لتعميق الارتباط القلبي والنفسي بينهم وبين الحسين عليه السلام وآل النبي صلى الله عليه وآله واتّخاذها سبيلاً للوصل بينهم وبين روح الإسلام والقرآن.

وأما ما يرتبط بعلماء الدين، فإن القضية أكثر تعقيداً فيجب على هذه المجالس أن تتميّز بثلاثة أمور:

الأمر الأول: هو تكريس محبة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم في القلوب؛ لأن الارتباط العاطفي ارتباط قيّم ووثيق، وعلى الخطباء أن يعملوا في هذه المجالس على تكريس مودة الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيت النبّوة في قلوب المشاركين وتوثيق ارتباطهم بمصادر المعرفة الإلهية أكثر فأكثر.

الأمر الثاني: الذي يجب أن تتميّز به المجالس الحسينية هو إعطاء صورة واضحة عن أبطال قضية عاشوراء للناس وتبيانها لهم، وان مجالس العزاء على الحسين بن علي عليه السلام يجب أن لا تكون مجرد منبر لخطابات غير هادفة، لأن هناك في هذه المجالس أناساً يتميّزون بالتفكّر والتعقّل والتأمّل في الأمور وما أكثرهم في مجتمعنا من الشباب والشيوخ والنساء والرجال الذين يتساءلون مع أنفسهم:

- لماذا جئنا إلى هذا المجلس وبكينا على الحسين عليه السلام؟
- ما هو أصل القضية؟
- لماذا يجب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام؟
- لماذا جاء الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء وأوجد قضية عاشوراء؟

هذه الأسئلة يجب أن يجاب عنها في المجالس الحسينية حتى تتعزّز معرفة المستمع بأصل قضية عاشوراء، وإذا لم تتطرّقوا في منابركم وخطبكم ونعيكم إلى هذا المعنى ولو بالتنويه والإشارة، فان هذه المجالس ستفقد ركناً من الأركان الثلاثة المذكورة، ومن الممكن أن لا تتحصل الفائدة المتوخاة من المجلس أو قد تؤدي - فرضاً - إلى الضرر لا سمح الله.

أمّا الأمر الثالث: الذي يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار في مجالس العزاء، فهو تكريس المعرفة الدينية والإيمان الديني. إذ انه لابدّ من التحدّث عن تعاليم الدين في هذه المجالس بشكل يعزز إيمان المستمع ومعرفته بالله سبحانه، ولابّد من الموعظة والتطرّق إلى حديث شريف صحيح السند أو رواية تاريخية لاستخلاص العبر منها، أو تفسير آية شريفة من القرآن الكريم أو نقل موضوع مما تطرق له كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين، يجب أن لا يكون الأمر بأن يرتقي خطيب على المنبر ويتحدث بدون رؤية وبكلام غير هادف، أو يتطرّق في النعي إلى مواضيع هشّة من حيث الفحوى، ليس فقط لا تؤدي إلى تعزيز

الإيمان وتقويته، وإنما تؤدي إلى إضعافه. وإذا حدث مثل هذا الأمر، فإننا سوف لا نبلغ الفوائد والأهداف المتوخاة من هذه المجالس.

هذه هي الأمور الثلاثة التي يجب أن تتميّز بها مجالس العزاء:

١ ـ تكريس المودة للحسين بن علي عليه السلام ولأهل بيت النبوة.

٢ ـ وتعزيز العلاقة والارتباط العاطفي بهم، وإعطاء المستمع صورة واضحة عن واقعة عاشوراء،

٣ ـ وتكريس المعرفة الدينية ووشائج الإيمان بالله سبحانه وتعالى لدى المستمع. وإنه يكفي لو تحقق الحدّ الأدنى من ذلك)[1].

أيها الخطباء وخدّام المنبر الحسيني،

يزداد ارتباط الأمة يوماً بعد بذكرى شهادة المولى أبي عبد الله عليه السلام، ويدل على ذلك بوضوح المشاركة الجماهيرية الواسعة في المجالس الحسينية والمسيرات العاشورائية التي تقام عاماً بعد عام.

ويقوم خطيب المنبر الحسيني بالدور الأكثر بروزاً وأهمية في استقطاب الأمة وشدّ الجماهير في موقع يغبطه عليه العلماء والمفكرون والدعاة.

ومن هنا تبرز أهمية أن يتحلى هذا الخطيب الحسيني بالمواصفات والمؤهلات التي تجعل منه خطيباً يمتلك لياقة النجاح والتأثير. وهذه المؤهلات تارة تكون في امتلاكه لمهارات فنية تتعلق بفنون الخطابة وحسن الصوت وطيب السمعة، هذا كله من جهة.

ومن جهة أخرى في المادة العلمية التي يلقيها على أسماع المشاركين في المجالس العاشورائية.

---

(١) من كلمة للقائد الخامنئي حفظه الله بمناسبة حلول ذكرى عاشوراء، ٢٩ ذي الحجة ١٤١٤هـ.

وعندما يتعلق الأمر بعرض سير الشهداء العظام في كربلاء تبدأ محنة الخطيب، ففي نفس الوقت الذي يكون مطلوباً منه الحديث عن هذه الشخصيات العظيمة يوم كربلاء فانه لا يمتلك هو ولا غيره النصوص والأحداث الكافية التي تغني المجلس وتسد الحاجة.

ويزداد الأمر تعقيداً عندما يحصر موضوع المجلس بالجانب التاريخي ويترك لخطيب آخر الحديث في القضايا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية.

وإذا بالخطيب الحسيني يلجأ مضطراً ومن أجل اغناء موضوع مجلسه إلى روايات ضعيفة وأخبار غريبة بل وربما الرؤى والمنامات وأمور أخرى.

وهذه الأمور لم تعد مقبولة في واقع أكثر وعياً وتنوعاً طائفياً وفكرياً وأكثر انفتاحاً على شرائح مختلفة من الناس من المذهب وخارجه وأحياناً يتعداه إلى الفضائيات والتلفاز والإذاعات وغيرها.

وهنا تأتي أهمية العمل على وضع مصدرٍ لخطباء المنبر الحسيني يسهل عليهم عملية التحضير والتثبت من المعلومات التي يلقونها على مسامع الجمهور وهذا ما حاولنا القيام به في هذا الكتاب الذي يعتبر خطوة صغيرة على طريق ممتدة، ترسم معالمها الأفكار والنصائح والتوجيهات التي تقدمونها ويقدمها أهل الخبرة في هذا المجال، فما لا يدرك كله لا يترك جله بأي حال.

يبقى أخيراً الإلفات إلى الملاحظات التالية:

١ ـ في كل مجلس مجموعة عناوين هي:

ـ مناسبة الليلة.

ـ قصائد الليلة (٣ نماذج قصائد تتمحور حول موضوع الليلة).

ـ المدخل العام للموضوعات الذي يتناسب الحديث عنها مع الليلة.

ـ البحث (٣ عناوين ونماذج أبحاث تتمحور حول موضوع الليلة).

ـ التخلص: والربط بين كل بحث من الأبحاث ومصيبة الليلة (٣ طرق للتخلص من الموضوع إلى المجلس) وأحياناً أكثر من ذلك.

٢ ـ لقد اعتمد التوثيق والتهميش العلمي في عرض المعلومات بحيث يسهل على المستفيد العودة إلى المصادر الأساسية المعتبرة.

٣ ـ تم التركيز على السيرة الحسينية تفصيلاً على أمل أن يقصر الخطباء أحاديثهم في مجالس هذا الموسم العاشورائية على تعريف المشاركين والحضور بمجريات الأحداث التاريخية وسير الشخصيات الكربلائية وترك الأحاديث والمواعظ للخطباء (في حال وجدوا)

ختاماً نسأل الله حسن القبول وأن يرزقنا شفاعة الحسين عليه السلام يوم الورود وأن يثبت لنا قدم صدق مع الحسين وأصحاب الحسين عليه السلام الذين بذلوا مهجهم دونه.

والله من وراء القصد.

في أهمية إقامة مجالس العزاء الحسيني

لا بد لكل أمر من تمهيد وأعداد، والأمر نفسه يجري مع إقامة مجالس الإمام الحسين عليه السلام، إذ لابد أن تكون أولى المجالس متحمورة حول أهمية هذه المجالس ومبررات وجودها، وكيف عمل أهل البيت عليهم السلام من أجل تأسيسها وتعميقها في وجدان الأمة وكيانها، ورغم أن أذهان المؤمنين وعموم شيعة أهل البيت عليهم السلام مهيأة ومقبلة على هذه المجالس، ولكن مع ذلك فإن إيراد الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وتأكيدات الائمة الطاهرين عليهم السلام على هذا الموضوع، يأخذ أهمية كبيرة خاصة مع توسع مجالسنا وحضور طبقات اجتماعية، ومستويات ثقافية، وانتماءات دينية ومذهبية مختلفة إلى هذه المجالس.

أولاً ـ قصائد الليلة الأولى:

تختار القصائد الرثائية التي تهتم بمسألة بداية المحرم، وبزوغ هلاله، وما يتركه من ألم وحزن في قلوب المؤمنين، عبر استعادتهم لذكريات كربلاء وأيام الحسين عليه السلام، ومن أبرز هذه القصائد الحسينية التي يمكن قراءتها في الليلة الأولى وكذلك في مجالس اليوم الأول (نهاراً) ما يلي:

قصيدة الشيخ هاشم الكعبي والتي مطلعها[1]:

ما انتظار الدمع أن لا يستهلا ... أو ما تنظر عاشوراء هلا

(١) راجع: رياض المدح والرثاء، للشيخ حسين البلادي البحراني، ص٤٥٨ ـ والدر النضيد في مراثي السبط الشهيد، للسيد محسن الأمين العاملي، ص٢٣٢.

ملاحظة: سنشير اختصاراً إلى هذين المصدرين بالرياض والدر فقط.
يمكن مراجعة ديوان الشاعر، ومصادر أخرى.

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة:

جرت عادة أهل المنبر الحسيني على تقسيم الليالي العشر الأوائل من شهر محرم الحرام، على عدة عناوين، إشباعا لأبعاد وجوانب ثورة الإمام الحسين عليه السلام ووقوفاً على ابرز شهداء الطف، وإلا فإن كل الشهداء قد لاقوا ربهم يوم العاشر من المحرم كما هو معلوم.

ويمكن إيراد الآيات القرآنية التي تتناول بكاء النبي يعقوب عليه السلام على ولده النبي يوسف عليه السلام أو بعض الآيات التي تتحدث عن استحباب البكاء على الحسين عليه السلام ووجوب حبه وحب أهل بيت النبي عليهم السلام عموماً.

ثالثاً ـ البحث:

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة الأولى من محرم:

القرآن الكريم والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله والإعداد لنهضة الإمام الحسين عليه السلام.

يمكن أن يختار لهذا المجلس، آية قرآنية مناسبة أو حديثاً شريفاً ملائماً، كعنوان يتصدر الموضوع، مثل قول تعالى:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾.

أو حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً».

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يمتلك رصيداً دينياً ضخماً، وتراثاً قرآنياً كبيراً، وإرثاً نبوياً متميزاً، لم يكن لأحد من المسلمين آنذاك. فقد كان عليه السلام أعظم شخصية دينية، وأكبر كيان اجتماعي، وأبرز وجه إسلامي، في مرحلته

على الإطلاق، وهذا يفسر لنا سبب إصرار الأمويين على بيعته عليه السلام ليزيد، أو تعريضه للقتل، ويوضّح لنا جسامة المسؤولية التي لاقت سيد الشهداء عليه السلام لينهض بحملها، لأنه كان سيد المسلمين ووارث النبيين، فموقفه سوف ينعكس على كل الأمة التي كانت تنظر إليه، وتتطلع إلى موقفه، وتراقب تحركه.

نعم، فلو رجعنا إلى القران الكريم، لوجدنا أن آيات كريمة منه، قد نزلت في حق أهل البيت عليهم السلام، حفظتها الأمة، وعرفت تفسيرها وتأويلها، وفيمن نزلت، وخاصة بالنسبة لأهل مكة والمدينة.

ولم يبق في عصر الإمام الحسين عليه السلام أحد من العترة الطاهرة التي نزلت فيها تلكم الآيات القرآنية المباركة سوى الحسين عليه السلام، فصار الحسين عليه السلام والحال هذه ـ هو الوريث الوحيد، والمصداق الأخير، والمجسد الحي الباقي لتلك الآيات الكريمة...

فإذا رأى الناس الإمام الحسين عليه السلام رأوا فيه تجسيدا لآيات القرآن ولمن نزلت فيهم، وبالتالي تذكروا مواقفهم عليهم السلام وتضحياتهم وجهودهم لهذا الدين، وشدة عناية السماء بهم عليهم السلام ... هؤلاء الطاهرون قد مضوا ولم يبق منهم إلا الحسين عليه السلام، فلا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله كان حيا آنذاك، ولا علي ولا فاطمة ولا الحسن عليهم السلام كانوا أحياء... نعم لم يبق إلا الحسين عليه السلام فكان الناس وهم يرون الحسين عليه السلام بينهم، في المسجد، أو الشارع، أو في موسم الحج، إنما يرون فيه قرآنا متجسدا، وآيات متحركة...

أ ـ ومن هذه الآيات القرآنية في حق أهل البيت عليهم السلام:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

(١) سورة الأحزاب.

فحينما كان يقرأ المسلمون هذه الآية، يتساءلون فيمن نزلت، فيأتي الجواب، أنها نزلت في حق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، ثم يسأل ثانية، «فمن بقي منهم: فيأتي جوابه لم يبق إلا الحسين عليه السلام».

ب ـ قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

حيث يذكر المسلمون يوم المباهلة ومجيء نصارى نجران إلى المدينة، وجدالهم مع رسول الله ﷺ حتى طلبوا منه المباهلة، ثم جاءهم رسول الله ﷺ بأقرب الناس إليه، بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فأذعن كبار القوم للنبي ﷺ ونزلوا على حكمه...

ثم يسأل الناس من بقي من هؤلاء العظماء، فيأتي الجواب لم يبق منهم إلا شخص الحسين عليه السلام فقط.

ج ـ قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾[2].

والتي نزلت ضمن سورة كاملة هي سورة الإنسان ﴿هل أتى﴾ في حق أهل البيت عليهم السلام في القضية المشهورة حينما مرض الحسنان فنذر علي وفاطمة عليهما السلام إن يصوما إذا شفي الحسنان، وفعلاً فقد شفي الحسنان عليهما السلام وصام أهل البيت ثلاثة أيام وقد آثروا المسكين واليتيم والأسير بإفطارهم

(١) سورة آل عمران، الآية/٦١.
(٢) سورة الإنسان.

وافطروا على الماء، حتى انزل فيهم القرآن آيات خالدة تتلى آناء الليل وأطراف النهار،...

وأيضاً يأتي التساؤل: يا ترى من بقي من أولئك المقدسين الذين نزلت فيهم هذه السورة الكريمة... ويكون الجواب كسابقيه: انه لم يبق منهم إلا الحسين عليه السلام.

وهو عين النتيجة التي تقف أمامنا مع بقية الآيات التي نزلت في حق أهل البيت عليهم السلام مثل قوله تعالى:

د ـ ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١].

هـ ـ ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[٢].

(يمكن مراجعة كتب التفسير لمزيد من الأدلة والتوضيح مثل تفسير الطبري والزمخشري والسيوطي والفخر الرازي إضافة إلى تفاسير الشيعة)[٣].

وهكذا فإن الحسين عليه السلام كان وريث كل تلك الآيات الكريمة التي نزلت في حق الطاهرين من أهل بيت النبوة عليهم السلام.

ويعتبر ذلك إعدادا لنهضة الحسين عليه السلام وتحضيراً لثورته، لأنه عليه السلام لم ينطلق في نهضته كأي مسلم من بقية المسلمين، وإنما نهض كإمام لهم وسيد أهل البيت عليهم السلام في عصره ووارث الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

هذا من جهة القرآن الكريم، ومن جهة أخرى مكملة لدور القرآن ومؤيدة له جاءت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله لتركز على الدور الأبرز للحسين عليه السلام ولتؤكد على ما سبق أن أكد عليه الكتاب العزيز.

---

(١) سورة الشورى، الآية/٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية/٢٦.

(٣) يمكن أن يكون ما سبق كافيا لموضوع يطرح في الليلة الأولى، لا سيما إذا أفاض الخطيب الحسيني ببيان سبب النزول وبعض الشروح حول الآيات الكريمة السابقة... ويمكن التخلص هنا بطرق عديدة منها ـ على سبيل المثال أن يقول الخطيب، لهذا كان الإمام الحسين عليه السلام لهذا البعد القرآني، فخرج يوم عاشوراء وقد اخذ مصحفا ونشره على راسه وهو يقول: «يا قوم ان بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدي رسول الله...».

فقد كان المسلمون يسمعون من رسول الله ﷺ وفي مناسبات عدة، وظروف مختلفة أحاديثاً وتأكيداتٍ على فضل أهل بيته عليهم السلام ومنزلتهم ـ ومنها أحاديث في عموم أهل البيت عليهم السلام وأخرى في الحسنين عليهما السلام، وثالثة في خصوص الإمام الحسين عليه السلام.

فكان ﷺ يقول:

«من صلى صلاة لم يصل فيها علي ولا على أهل بيتي لم تقبل منه»[١].

وقد سمى ﷺ الصلاة التي لا يصلي فيها على أهل بيته بأنها بتراء.

وكان ﷺ يقول لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام:

«أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمتم»[٢].

وهناك أحاديث أخرى في هذا الباب.

ثم هناك أحاديث خاصة في الإمامين الحسنين عليهما السلام، مثل قوله ﷺ:

«الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا»[٣].

وقوله ﷺ:

«من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد ابغضني»[٤].

كما شهد المسلمون كيف وثب الحسنان على ظهر جدهما ﷺ وهو ينزلهما برفق فإذا سجد عادا إلى الوثوب وكيف كان ﷺ يعاملهما بلطف...

---

(١) سنن البيهقي، ٣٧٩/٢ ـ سنن الدارنقطي، ص١٣٦. كما وبرامج صحيح البخاري في كتاب الدعوات في باب الصلاة على النبي ﷺ صحيح مسلم في كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ﷺ.

(٢) سنن الترمذي (كتاب المناقب) ـ مستدرك الصحيحين ١٤٩/٣ ـ ومسند احمد ٤٤٢/٢ ـ اسد الغابة ١١/١٣ ٥٢٣/٦ ـ ومصادر اخرى.

(٣) مناقب الحسن والحسين في صحيح البخاري مسند احمد ٨٥/٢ ٩٣ ٧٤ ١٥٣ ـ المستدرك للحاكم النيسابوري ١٦٥/٣ ـ فضائل الخمسة من الستة للقيروزابادي.

(٤) من ما سبق اضافة الى دعائا العتبى، ط١٢ ـ كنز العمال للصفدي ٢٢٠/٦٦/٦.

وشهدوا كذلك حينما كان النبي ﷺ يخطب على منبر المسجد الشريف، وقد دخل الحسنان، وهما يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ فحملهما ووضعهما بين يديه... وأما ما جاء في حق الإمام الحسين عليه السلام بالخصوص، فمنه قوله ﷺ:

«**حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً**».

إن كل تلك الآيات القرآنية الكريمة وتلك الأحاديث الشريفة المتواترة، إضافة إلى كيفية معاملة النبي الأكرم ﷺ لسبطيه عليهما السلام أو للحسين عليه السلام بالخصوص، أعدت للإمام الحسين عليه السلام موقعاً، وهيأت له منزلة ليست لغيره من المسلمين.

بداية التخلص:

ولهذا فقد حاول الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء أن يعيد ذاكرة الأمة إلى موقعه الشرعي ومنزلته الدينية، ويذكرهم بتلك الحقائق الكبرى فقد خطب عليه السلام قائلاً:

«**انسبوني من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وحاسبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي... ألم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة**».

ورحم الله الشاعر:

لم أنسهُ إذ قام فيهم خاطباً ... فإذا هم لا يملكون خطابا

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة الأولى من المحرم:

بكاء النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام على الحسين عليه السلام والإخبار بشهادته:

يمكن أن يختار لهذا المجلس عنوان مقتبس من أحد الأحاديث الواردة فيه كقول النبي ﷺ:

«**إن لقتل ولدي الحسين حرقة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً**».

إن واقعة كربلاء تتجاوز في امتدادها وتأثيرها الظرف الذي احتضن أحداثها أو المكان الذي أحاط بتطوراتها... فقد امتدت مع كر الليالي والأيام، كواقعة أسطورية لوت عنق التاريخ، واستحال على الأحداث أن تغطي عليها أو تخفف من وهجها وعطائها...

إنها واقعة كان قد انزل الله تعالى العلم بها إلى أنبيائه السابقين عليهم السلام ومن باب أولى أن يعلم بأحداثها جد الحسين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله والذي بدوره يخبر وصيه وباب علمه أمير المؤمنين عليه السلام بذلك.

فقد ذكر الشيخ ابن قولويه القمي في سفره القيم[١] (كامل الزيارات) بابا خاصا وهو الباب (١٩) تحت عنوان (علم الأنبياء بقتل الحسين بن علي عليه السلام) أورد فيه أربعة أحاديث حول ما جرى على أحد الأنبياء عليهم السلام وانه قال:

«**لي أسوة بالحسين بن علي عليه السلام**»[٢].

كما ويمكن مراجعة خبر رأس الجالوت وخبر كعب.

وأما ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه المسألة، فقد طفحت أمهات المصادر بما صنعه صلى الله عليه وآله مع سبطه الحسين عليه السلام من بكاء وحزن وإشارة إلى قتله من بعده ففي يوم ولادة الحسين عليه السلام تروي لنا أسماء بنت عميس التي حضرت ولادة السيدة الزهراء عليها السلام للحسين عليه السلام.

«**... فلما ولد الحسين عليه السلام، جاءني النبي صلى الله عليه وآله فقال: «يا أسماء هاتي ابني فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى، قالت، أسماء: فقلت فداك أبي وأمي مما بكاؤك. قال: على ابني هذا قلت: انه ولد**

---

(١) ابن قولويه القمي، كامل الزيارات باب ١٩، ص١٣٧.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٢٨٧/٢ ـ تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام الحسين عليه السلام) ـ سير اعلام النبلاء ١٩٥/٣ ومقتل الخوارزمي وغيرهما.

الساعة. قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي، ثم قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا،فإنها قريبة عهد بولادته»[١].

«ولعل هذا أول مجلس عزاء أقيم للحسين عليه السلام الطهر الشهيد في الإسلام المقدس، بدار رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تسمع أذن الدنيا قبل هذا، ينعقد لمولود غير وليد الزهراء الصديقة عليها السلام في بسيط الأرض مأتم بدلاً من حفل السرور والحبور والتباشير»[٢].

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين (١٧٦/٣)، عن أم الفضل بن الحارث:

«أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلما منكرا الليلة، قال: وما هو؟ قالت: انه شديد. قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت خيراً. تلد فاطمة إنشاء الله غلاما فيكون في حجرك، فولدت فاطمة الحسين عليه السلام فكان في حجري كما قال رسول الله، فدخلت يوما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهريقان من الدموع. قالت: فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما بك؟ قال: أتاني جبرائيل (عليه الصلاة والسلام) فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا؟ فقال: نعم، واتاني بتربة من تربته حمراء».

ثم علق الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (البخاري ومسلم) ولم يخرجاه.

---

(١) مقتل الخوارزمي ٨٧/١ ـ ذخائر العتبى، ص١١٩.

(٢) العلامة الأمين ،سيرتنا وسنّتنا، ص٥٠.

وقد اخرج هذا الحديث أيضاً، البيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر في تاريخه، وهناك حديث آخر عن أم سلمة (رض) أخبرت فيه ببكاء رسول الله ﷺ حينما دخل عليه الحسين عليه السلام وهو صبي صغير، وخرج رسول الله ﷺ حاملاً له، وهو كاسف البال وبيده قبضة من تراب كربلاء جاء بها جبرائيل إليه ﷺ[١].

وكذلك فقد أقام النبي ﷺ مأتما على الحسين عليه السلام بعد سنة من ولادته ونزول الملائكة تعزي رسول الله ﷺ بذلك وهو يقول:

«**اللهم اخذل من خذله، واقتل من قتله ولا تمتعه بما طلبه**»[٢].

وحديث آخر حول القارورة التي أعطاها النبي ﷺ لأم سلمة وهو يقول لها:

«**يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة فاعلمي إن ابني قد قتل، فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوما تحولين دما ليوم عظيم**»[٣].

وتكررت المآتم التي أقامها النبي ﷺ على سبطه الحسين عليه السلام مرات ومرات وفيها مآتم حضرها بعض الصحابة وقد بكوا لبكاء رسول الله ﷺ.

(لمزيد من التوسع في هذا الباب، يمكن مراجعة السفر المهم للعلامة ألاميني (سيرتنا وسنتنا)، كما يمكن مراجعة كتاب السيد محسن الأمين العاملي (إقناع اللائم على إقامة المآتم) فيرجى ملاحظة ذلك، وكذلك كتاب (معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري ٢/ ٣٠).

ملاحظة: يمكن لخطيب المنبر الحسيني أن ينهي مجلسه هنا بالتعريج على

---

(١) الطبراني، المعجم الحافظ الهيثمي، المجمع ٩/ ١٨٩.

(٢) مقتل الخوارزمي، ١/ ١٦٣.

(٣) الطبراني في معجم (ترجمة للامام الحسين عليه السلام) ابن عساكر في تاريخه الحافظ الكنجي في الكفايات ص١٧٩، راجع أحاديث أخرى في العقد الفريد لأبن عبد ربه الاندلسي، ص٤٤٠.

كربلاء، إذا اطمئن إلى أن ما ذكره من أحاديث قد وفت المطلوب... كأن يقول: **(يا رسول الله، بكيت على حبيبك الحسين وهو أمامك حي يرزق، فكيف يكون حالك يا سيدي لو نظرت إلى عزيزك الحسين مذبوحا وقد ترك ثلاثة أيام في أرض كربلاء جثة بلا رأس)**.

ثم يختار الشعر المناسب هنا مثل قول الشاعر:

يا ليت عين رسول الله ناظرةٌ رأس الحسين على العسال مشهورا
وجسمه نسجت هوجُ الرياح له ثوبا بقاني دم الأوداج مزرورا

أو قول الشريف الرضي:

يا رسول الله لو عاينتهم وهم ما بين قتل وسبا
من رميض يمنع الظل ومن عاطش يسقى أنابيب القنا

أو أي شعر آخر مناسب.

هذا، ما كان من إخبار رسول الله ﷺ بقتل الحسين عليه السلام وإقامة المأتم عليه وأما ما اخبر به أمير المؤمنين عليه السلام فهو كثير كذلك، نذكر منه بعض النماذج.

عن أبي حبرة قال: صحبت علياً عليه السلام حتى أتى الكوفة فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال عليه السلام:

«كيف انتم إذا نزل بذرية نبيكم بين ظهرانيكم؟ قالوا: إذن نبلي الله فيهم بلاء حسنا، فقال: والذي نفسي بيده لينزلن بين ظهرانيكم ولتخرجن إليهم فلتقتلنهم، ثم اقبل يقول:

هم أوردوهم بالغرور وغردوا أجيبوا نجاة لا نجاة ولا غدرا»[1].

(١) معجم الطبراني، ١٦٨/٥٧ ـ مجمع الزوائد، ١٩١/٩ ـ انساب الاشراف للبلاذري ص٣٨.

ولما وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى كربلاء وهو في طريقه إلى صفين، قال لأبن عباس:

«أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا، قال: لو عرفتها لبكيت لبكائي، ثم بكى بكاءاً شديداً، ثم قال: مالي ولآل أبي سفيان: ثم التفت إلى الحسين، وقال صبرا يا بني فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده»[١].

وعن الأصبغ بن نباتة، قال:

«أتينا مع علي، فمررنا بموضع قبر الحسين عليه السلام، فقال علي عليه السلام ها هنا مناخ ركابهم، وها هنا موضع رحالهم، ها هنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض»[٢].

وكان علي عليه السلام يصرح لمن حوله أن هذا الإخبار مما قد اخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله.

فعن عامر الشعبي قال:

«إن علياً عليه السلام قال وهو بشط الفرات: صبراً أبا عبد الله، ثم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان، فقلت: أحدث حدث، قال: اخبرني جبرائيل أن حسينا يقتل بشط الفرات، ثم قال: أتحب اريك من تربته؟ قلت: نعم، فقبض قبضة من تربتها فوضعتها في كفي فما ملكت عينيَّ أن أفاضتا»[٣].

---

(١) مقتل الخوارزمي.

(٢) البيهقي، زخاء العقبى ص٩٧ ـ ابو نعيم، دلائل النبوة، ٣/٢٢١ ـ تذكر الخواص لسبط بن الجوزي، ص١٤٢.

(٣) طبقات ابن سعد، ج٣٣ ـ تاريخ ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين عليه السلام، تاريخ الاسلام الذهبي، ٣/١٠ ـ تذكرة الخواص، لسبط بن الجوزي، ص١٤٢.

وكان علي عليه السلام يقول لأبي سعيد الخدري:

«أيقتل ولدي الحسين ولا تنصره.. فكان يقول: لا يكون ذلك أبداً... فلما قتل الحسين كان أبو سعيد يبكي وهو يقول: لقد صدق أمير المؤمنين عليه السلام لقد قتل الحسين ولم انصره»[1].

التخلص:

بعد أن اكتملت مادة موضوع هذا المجلس، فلا بد من الانتقال إلى أجواء المصيبة، وعلى الخطيب أن يختار أفضل الأساليب لذلك، وعلى سبيل المثال نذكر ما يلي:

أ ـ أن يقول الخطيب بعد ذكر الروايات عن أمير المؤمنين عليه السلام:

ولهذا فقد كان الحسين عليه السلام يستشهد بما حفظه المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله.. حيث راح يذكر لذلك الجيش الذي خرج لحربه موقعه في الدين ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثم أخذ ينادي:

«فإن كذبتموني فإن فيكم من إذا سألتموه عن ذلك أخبركم... سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد ابن أرقم، وانس بن مالك، والبراء بن عازب يخبرونكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله».

ثم يختار الشعر الرثائي المناسب.

ب ـ أو يقول الخطيب، مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

سيدي يا أمير المؤمنين عظم الله لك الأجر، هكذا كان بكاؤك وهكذا كان

---

(١) لمزيد من التوسع فالامثلة التي يمكن الاستفادة منها في مجالس اخرى، راجع: الباب ٢٣ ـ كامل الزيارات معالم المدرستين، للسيد العسكري، ٢/٤٤.

حزنك على ولدك الحسين وهو لا زال على قيد الحياة، فما ظنك يا سيدي لو رأيته يوم عاشوراء وحيداً فريداً، أين أنت عن ولدك يا أمير المؤمنين؟؟

قم يا علي فما هذا القعود ظني تغض على الأقذاء أجفانا
هذا حسين بلا غسل ولا كفن وما عار عليه تجول الخيل ميدانا

ج ـ أو يقول الخطيب:

فأين كنت يا أمير المؤمنين عن بناتك وأطفالك يوم عاشوراء، لا بل أين أنت عنهم ـ يا سيدي ـ ليلة الحادي عشر، حيث بقيت بنات الزهراء عليها السلام بلا حامٍ ولا معين...

لم أنس زينب بعد الخدر ثاكلة تبدي النياحة ألحاناً فألحاناً
تدعوا أباها أمير المؤمنين ألا يا والدي حكّمت فينا رعاياناً

الموضوع الثالث الذي يمكن طرحه في الليلة الأولى من المحرم:

حث الأمة على إقامة المآتم على الحسين عليه السلام وما يعين على ذلك من البكاء عليه عليه السلام وقول الشعر فيه عليه السلام:

يختار الخطيب لهذا المجلس عنواناً يقتبس من أحاديث ألائمة عليهم السلام في هذا المعنى.

مثل قول الإمام الصادق عليه السلام:

«أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا».

أو قول الإمام الرضا عليه السلام:

«فعلى الحسين فليبك الباكون».

وقوله أيضا عليه السلام:

«من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة».

إن من يدرس ما تركه الائمة الطاهرون عليهم السلام من أهل البيت عليهم السلام، من تراث سيجد الكثير مما يتعلق بواقعة كربلاء، وسعيهم عليهم السلام الدؤوب على إبقاء جذوتها حية متقدة في النفوس، تتفاعل معها الأرواح وتنجذب لها القلوب وتتفاعل معها العواطف، بما يجعلها واقعة خالدة تعيش معها الأمة فتستلهم منها معاني العزة والإباء وصدق الولاء.

ويمكن أن نجد هذه المسألة وهي تقع ضمن عدة عناوين؟ منها الحث على قول الشعر في الإمام الحسين عليه السلام وعظيم الثواب في ذلك، ومنها ثواب البكاء على الحسين عليه السلام وآثاره، ومنها في إقامة المآتم والجلوس لإحياء ذكراه عليه السلام ورابعة فيما ينبغي عمله يوم عاشوراء من مظاهر الحزن والولاء للنبي وآله سلام الله عليهم أجمعين، وخاصة في زيارته عليه السلام والشهداء والحث عليها.

إن كل عنوان من العناوين أعلاه، يمكن أن يشكل موضوعا رائعاً يمكن الاستفادة منه في مجالس عاشوراء الحسين عليه السلام.

إن من الضروري جدا توعية المؤمنين على أن الائمة عليهم السلام هم من أسس هذه المجالس ودعا إليها وأنهم بذلك يسيرون على سنّة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيهم أمير المؤمنين عليه السلام اللذين ندبا الحسين عليه السلام وبكياه قبل استشهاده، (كما مر في مجلس سابق).

وأفضل مصدر في ذلك هو كتاب (كامل الزيارات) لابن قولويه القمي فهو من أوثق المصادر في هذا الباب. كما يمكن مراجعة (ثواب الأعمال) للشيخ ابن بابويه، وكتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق، وما أورده صاحب البحار العلامة المجلسي، والحر العاملي في الوسائل. ويمكن مراجعة بعض الكتب المعاصرة التي تفيد كثيرا في هذا الباب، من أبرزها (اقناع اللائم) للسيد محسن الأمين العاملي، والمجالس الفاخرة للسيد عبد الحسين شرف

الدين، ومعالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري، (وثورة الحسين في الوجدان الشعبي) للشيخ محمد مهدي شمس الدين.

كما يمكن لثورة الإمام الحسين عليه السلام أن تنسى، أو يضعف تأثيرها، ويخف الانفعال مع أحداثها المؤلمة مع تقادم العصور وابتعاد الأمة زمنيا عن وقائعها.

ولكن عمل ألائمة عليهم السلام من بعد الحسين عليه السلام حال دون ذلك، حيث أسسوا عليهم السلام لإقامة هذه المجالس الحسينية والتي انطلقت من بيوتهم عليهم السلام، حيث كانوا يدعون أصحابهم وأبناءهم، في أيام عاشوراء ليذكروهم بواقعة الطف ويثيرون عواطف الولاء للنبي صلى الله عليه وآله وآلامهم وهم عليهم السلام يؤكدون للأئمة ثواب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وآثار ذلك من البكاء على روحية الإنسان المؤمن وصدق مشاعره وتنقية عواطفه، وصدق ولائه.

فقد كان علي بن الحسين عليه السلام يقول:

«أيما مؤمن ذرفت عيناه لقتل الحسين بن علي، دمعةً حتى تسيل على خده، بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً».

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

«رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكروا في أمرنا فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما»[1].

ويدخل الفضيل بن يسار على الإمام الصادق عليه السلام فبادره:

«تجلسون وتحدثون قال نعم جعلت فداك. قال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيا أمرنا يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر...»[2].

---

(١) ابن قولويه، الكامل في الزيارات، ص٢٠١.

(٢) راجع البحار، ج٤٤.

ويروي الإمام الصادق عليه السلام انه قال:

«كان أبي (أي الإمام محمد الباقر عليه السلام) إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه، حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان اليوم العاشر،كان ذلك يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين»[1].

وعنه (أي الرضا) عليه السلام:

«من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا،كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيا فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[2].

(وبمعنى إيراد الحوار الذي جرى بين الإمام الرضا عليه السلام واحد أصحابه وهو الريان بن شبيب الذي دخل على الإمام في اليوم الأول من المحرم، كما أورده الشيخ الصدوق في الآمالي المجلس ٢٧، والبحار للمجلسي ج٤٤، ص٢٨، ففي هذا الحوار معان كثيرة رائعة وعلى الخطيب الحسيني إيراد ما يراه مناسبا ومجلسه والوقت المتاح له).

ولهذا فقد كان الائمة عليهم السلام يحثون شيعتهم على قول الشعر وإنشاده في الإمام الحسين عليه السلام، لأن الشعر كان آنذاك من أقوى الأجهزة الإعلامية المتاحة، وكان بيت الشعر يمثل منشوراً سياسياً مؤثراً.

وكان قول الشعر ونقد قتلة الحسين عليه السلام يعتبر مخاطرة كبيرة، وعلى ذلك فقد برزت ظاهرة عرفت بظاهرة شعر الجن على الإمام الحسين عليه السلام، وأغلب

(١) الآمالي، للصدوق.

(٢) البحار، المجلسي، ج٤٧.

الظن انه شعر لبعض الشعراء الذين كانوا يخشون من معرفة أسمائهم وتعرضهم لمضايقات الأمويين أولا ثم العباسيين بعدهم.

وقد أثمرت جهود الائمة عليهم السلام فقد كانت أبواب بيوتهم تفتح أيام عاشوراء، وهم يستقبلون الشعراء المنشدين، وانعكس ذلك على كتابة الأدب وتراجم الشعراء، حيث نجد ان الشاعر الكميت بن زيد الاسدي يغدو على الإمام الباقر عليه السلام وينشده قصائده الرائعة في رثاء الحسين عليه السلام وإحدى هذه المرات التي يعقد فيها مجلس في يوم عرفة وفي ساحته وحول الإمام أهله وشيعته.

دخل الكميت أيام المحرم على الإمام الباقر عليه السلام وبدأ بإنشاد قصيدته:

من لقلب متيم مستهام ... من غير ما صبوة ولا أحلام

إلى أن بلغ قوله:

وقتيل بالطف غودر منهم ... بين غوغاء أمة وطغام

فبكى الإمام الباقر عليه السلام بكاءً شديداً ثم دعا للكميت:

«لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت عليهم السلام، ثم رفع يديه بالدعاء وقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت»[1].

وكذلك كان الإمام الصادق عليه السلام يستقبل الشعراء أيام الحسين عليه السلام، ومنهم الشاعر السيد الحميري فاستنشده فأنشده:

امرر على جدث الحسين ... وقل لأعظمه الزكية

يا أعظماً لا زلت في ... وطفاء ساكبة روية

ما ألذ عيش بعد رضـ ... ـك بالجياد الاعوجية

فإذا مررت بقبره ... فاطل به وقف المطية

وابك المطهر للمطهر ... والمطهرة النقية

كبكاء معولة أتت ... يوما لواحدها المنية

(١) راجع الاغاني، الاصفهاني، ١٢٣/١٥ ـ مروج الذهب، المسعودي، ٢٤٣٣/٣ ـ أعلام الدرس، ص١٥٨.

فانحدرت دموع الإمام الصادق عليه السلام على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك[١].

ويدخل ذات يوم أبو عمارة المنشد على الإمام الصادق عليه السلام فقال له:

«يا أبا عمارة، أنشدني للعبدي في الحسين، قال: فأنشدت فبكى، قال: فوالله ما زلت انشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار»[٢].

ومن هذين النصين وغيرهما يتوكد حضور النساء ومشاركتهن لمجالس العزاء الحسينية مع مراعاة الموازين الشرعية الإسلامية.

إن بروز أشخاص بصفة (منشد) فيه دلالة على تخصص البعض بإنشاد القصائد الرثائية للإمام الحسين عليه السلام، ويمكن أن يكون هؤلاء المنشدون هم بدايات نشوء خطباء المنبر الحسيني.

التخلص:

وقد سجل التاريخ وفود الشاعر دعبل بن علي الخزاعي على الإمام الرضا عليه السلام أيام المحرم، وقد قصده عن مسافة بعيدة من الكوفة إلى خراسان فيقول دعبل: دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في أيام المحرم، فرأيته جالسا جلسة الحزين الكئيب ـ وأصحابه من حوله ـ فلما رآني مقبلاً، قال لي:

«مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثم انه وسع لي في مجلسه، وأجلسني إلى جانبه ثم قال لي: يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً، فإن هذه أيام حزن كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا، خصوصا بني أمية...

---

(١) الاغاني، الاصفهاني.

(٢) الامالي، للصدوق المجلسي ٢٩ ـ كامل الزيارات، ابن قولويه، باب ٣٣.

يا دعبل من بكى وأبكى على مصابنا، ولو واحداً، فإن أجره على الله..

يا دعبل من ذرفت عينه على مصابنا، وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا. يا دعبل، من بكى على مصاب جدي الحسين عليه السلام غفر الله له ذنوبه.

ثم انه عليه السلام نهض وضرب سترا بيننا وبين حرمه، واجلس أهل بيته من وراء الستر، ليبكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام، ثم التفت إلي وقال:

«**يا دعبل، ارث الحسين فأنت ناصرنا ومعاوننا، وما دمت حيا فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت**».

قال دعبل:

بكيت لرسم الدار من عرفات ... وأجريت دمع العين بالعبرات

وفك عرى صبري وهاجت صبابتي ... رسوم ديار أقفرت وعرات

مدارس آيات: خلت من تلاوة ... ومنزل وحيٍّ مقفر العرصات

ديار علي والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذي الثفنات

منازل جبريل الأمين يحلها ... من الله بالتسليم والرحمات

فلما أفاض دعبل في آياته والإمام عليه السلام يتفاعل معه التفت إليه وهو يقول: دعبل عرج بنا إلى كربلاء، فجعل دعبل يقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا ... وقد مات عطشانا بشط فرات

إذا للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلاة

خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة

أولاً. القصيدة:

نختار القصائد التي تشير إلى خروج الحسين عليه السلام من المدينة وهجرته منها إلى مكة المكرمة، أي أن تكون آخر أبيات القصيدة تذكر هذا الموضوع.

ومن هذه القصائد على سبيل المثال:

١ ـ قصيدة السيد مهدي الأعرجي، والتي مطلعها:

رحلوا ومـــا رحلوا أهيل ودادي إلاّ بحـــسن تصـــبـــري وفـــؤادي

والقصيدة أساساً في رثاء الإمام الكاظم عليه السلام، ولكن يمكن الاستفادة من أبياتها الأولى (١٣ بيت) التي تشير إلى دار الإمام الحسين عليه السلام[١].

٢ ـ قصيدة الشيخ كاظم سبتي، والتي مطلعها[٢]:

قـــوم المجـــد من مـــضـــرٍ ســـراةُ ســـرتّ تحـــدو بعـــيـــسـهمُ الحُـــداةُ

٣ ـ كما يمكن الاستفادة في الليالي الأربع الأولى من المحرّم، من كل قصيدة تؤكد على إقامة المآتم وإحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء، مثل القصيدة المعروفة للشيخ عبد الحسين الأعم، والتي مطلعها[٣]:

قد أوهنتّ جلَدي الديارُ الخالية من أهلهـــا مـــا للديار ومـــاليـــه

---

(١) راجع الرياض، ص٧٥٥.

(٢) راجع أدب الطف للسيد شبّر، ج٩، ص٧٣.

(٣) راجع الدر النضيد، ص٣٣٢.

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة:

وتبحث في هذه الليلة، السيرة التي من شأنها أن تمهّد لبدايات حركة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه بيعة يزيد، وسيكون المجلس الأول لهذه الليلة حول بعض ما ذكرته المصادر التاريخية عن يزيد وما عرف به، وكيف كان أبوه معاوية مهتماً بتنصيبه على رؤوس المسلمين، وموقف الإمام الحسين عليه السلام إزاء ذلك، والمجلسان الآخران في مجريات الأمور بعد وفاة معاوية حتى خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة مهاجراً إلى مكة المعظمة.

ويُختار هنا عنوانٌ للمجلس مستلهمٌ من أحد أقوال الإمام الحسين عليه السلام التي أطلقها في المدينة قبل الخروج منها، حتى نبقى في أجواء هذه الليلة وموضوعها.

وكأمثلة نقول:

١ ـ قال سيد الشهداء عليه السلام:

«وعلى الإسلام السلام إذ بُليَت الأمة براعٍ مثل يزيد».

٢ ـ قال الحسين عليه السلام:

«إنّا أهل بيت النبوة معدن الرسالة ومختلفُ الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد فاسقٌ فاجرٌ، شاربٌ للخمرِ، معلنٌ بالفسق، قاتلٌ للنفسِ المحترمة، ومثلي لا يبايع مثله».

٣ ـ من وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية:

«إني لم أخرجْ أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريدُ أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي، وأبي علي بن أبي طالب».

ثالثاً ـ البحث:

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة الثانية من محرم:

معاوية وولاية عهد ولده الفاسق يزيد:

لم يكتف معاوية باستيلائه على منبر رسول الله ﷺ وتحكّمه بأمور المسلمين وسيطرته على مقدراتهم، بل راح يخطط ويسعى لكي يحوّل الخلافة إلى ملك عضوض، ووراثة لبني أمية، فهو لم يكتف بما قام به من موبقات في حياته فأراد أن يكون له نصيب من كل انتهاك لحُرم الإسلام وكرامة المسلمين من بعده، عبر خلفاء بني أمية وملوكهم.

يقول الحسن البصري: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة، انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء، حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهما، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلاف ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ:

«الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وقتله حُجُراً وأصحابه، ويلٌ له من حُجُر وأصحابه...[1].

وذكرت بعض المصادر التاريخية، أن بداية هذا الانقلاب الخطير في الإسلام وأهله، كان باقتراح وتهيئة من المغيرة بن شعبة، والذي كان والياً لمعاوية على الكوفة، الذي سمع أن معاوية يريد عزله عنها وتنصيب سعيد بن العاص الأموي مكانه، فما كان من المغيرة إلاّ أن ركب إلى دمشق ليقدم استقالته قبل استلامه أمر العزل ليحافظ على كرامته ومنزلته، وفي دمشق راح المغيرة يفكّر في أمر يثبته في مركز والي الكوفة ويقرّبه إلى معاوية فجاء بفكرة ولاية العهد ليزيد، وراح يتكلم فيها مع يزيد الذي فرح لذلك وقال متسائلاً: «أترى ذلك يتمّ؟». فقال له المغيرة: «نعم».

(١) الطبري، ج٦، ص٢٥٧، ومصادر أخرة.

فانطلق يزيد إلى أبيه معاوية ليخبره بما طرحه عليه المغيرة، فسرّ معاوية بذلك أيما سرور، وبعث إلى المغيرة ليسمع منه مباشرة، فأكّد المغيرة ما قاله لولده يزيد قبله، ثم بادره بالقول: «**يا أمير المؤمنين لقد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلافات بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف فاعقد له، فإن حدث بك حدث كان كهفاً للناس، وخلفاً منك، ولا تُسفك دماء ولا تكون فتنة**».

فتحرك معاوية مبدياً قلقه من صعوبة هذا الأمر فقال للمغيرة: «من لي بهذا؟». فقال المغيرة: «أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك».

فاستحسن معاوية رأيه وشكره وقرّبه وأقره في منصبه بالكوفة، بل وأمره بالعودة إليها لتنفيذ الخطة.. فراح المغيرة يتبسم وهو يقول لخاصته: «لقد وضعتُ رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليه فتقاً لا يُرتق[1].

وهكذا ومن أجل أمر شخصي والحفاظ على مكسب ذاتي أدخل الأمة في هذه الفتنة العمياء..

وكان معاوية يدرك تماماً أوصاف ولده يزيد وسوء خلقه وهبوط مستواه الإيماني وغياب سلوكه الديني.

فقد أورد ابن كثير في تاريخه، كان يزيد صاحب شراب، فأحبّ معاوية أن يعظه في رفق، فقال: «**يا بني، ما أقدرك على أن تصل حاجتك من غير تهتّك يذهب بمروتك وقدرك، ويشمت بك عدوّك، ويسيء بك صديقك، ثم قال يا بنيَ إني منشدك أبياتاً فتأدّب بها، واحفظها، فأنشده:**

(١) التاريخ الكامل، لابن الأثير، ج٣، ص٢٤٩.

إنصبْ نهارك في طِلاب العلا ... واصبرْ على هجر الحبيب القريب
حتى إذا الليلُ أتى بالدُجى ... واكتحلتْ بالغمضَ عينُ الرقيبْ
فباشر الليل بما تشتهي ... فإنما الليلُ نهارُ الأريبْ
كم فاسقٍ تحسبهُ ناسكاً ... قد باشر الليل بأمر عجيبْ
غطّى عليه الليل أستارهُ ... فبات في أمنٍ وعيش خصيبْ
ولذةُ الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كلُّ عدوٍ مريبْ

وقال: وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات[١].

ثم أن معاوية راح يتحرك في مشروعه، فطلب من زياد بن أبيه وكان واليه على البصرة، أن يأخذ البيعة من المسلمين في البصرة لولده يزيد، فاعترض عليه زياد وقال: «**ما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبّغات، ويدمن الشراب ويمشي على الدفوف؟ وبحضرتهم الحسين بن علي وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر؟. ولكن تأمره يخلَق بأخلاق هؤلاء حولاً أو حولين، فعسانا أن نموّه على الناس**»[٢].

فأمر معاوية ولده يزيد أن يخرج مع الجيش الغازي لبلاد الروم، فتثاقل يزيد واعتلّ وأمسك عنه أبوه[٣] أي تركه.

ثم أن المسلمين أصابهم حمّى وجدري في بعض بلاد الروم ويزيد حينذاك كان مصطبحاً بدير حرّان مع زوجته هند بنت عبدالله بن عامر المعروفة بأم كلثوم، فلما بلغه خبرهم أنشد قائلاً:

---

(١) تاريخ ابن كثير، ج٨، ص٢٢٨.
(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٠.
(٣) التاريخ الكامل، لابن الأثير، في حوادث سنة ٤٩هـ، ١٨١/٣.

إذا ارتفقتُ على الأنماط مصطبحاً بدير حـرّان عندي أم كلثـوم
فـمـا أبالي بما لاقت جنودهمُ بـ(الغذقدونة) من حمّىً ومن سوم[١]

(ارتفقتُ أي وضعت يدي على المرفقة وهي المخدّة، الأنماط: الوسائد، الغذقدونة: القسطنطينية (اسطنبول حالياً)، السوم: الجدري).

فلما بلغت معاوية أبيات يزيد هذه، غضب من سوء مقالة ولده وأمره بأن يلحق بهم وهدده بخلعه عن ولاية العهد فلحق بهم، وقد كتب إليه معاوية:

تجنّى لا تزال تعـدّ ذنبـاً لتقطع حبل وصلك من وصالي
فـيوشك أن يريحك من بلائي نزولي في المهالك وارتحالي[٢]

وفي مرة أخرى أخذ معاوية ولده يزيد معه إلى الحج، ويقال بل أرسله وحده، فجلس يزيد بالمدينة على شراب، فاستأذن عليه عبد الله بن العباس والحسين بن علي عليه السلام، فأمر بشرابه فرفع، وقيل له: إن ابن عباس أن وجد ريح شرابك عرفه، فحجبه ولم يأذن له، وأذن للحسين عليه السلام لأنه لم يكن يعرف رائحة الخمر، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب.

فقال عليه السلام: ما هذا يا بن معاوية؟

فقال: يا أبا عبدالله هذا طيب يصنع لنا بالشام...

ثم وثب الحسين عليه السلام وزجره وخرج من عنده بعد أبيات قالها يزيد[٣].

وعلاقة يزيد بالخمر وما نظم فيها من الشعر، أمر طفحت به كتب السيّر والأدب والتراجم ومن أشعاره في ذلك:

معـشـرَ الندمـان قـومـوا واسـمـعـوا صـوت الأغـانـي

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ٢/٢٢٩، راجع الأغاني للأصفهاني ١٦/٣٣، وأنساب الأشراف للبلاذري، ٤/٣٢.
(٢) مجمع البلدان، الحموي.
(٣) الأغاني، ج١٤، ص٦١ ـ تاريخ ابن الأثير، ج٤، ص٥٠.

واشـــربوا كـــأس مُـــدامٍ واتركـــوا ذكـــر المثـــاني
شـــغلتني نغـــمـــة العـــيـــدانِ عـــن صـــــــــوت الآذانِ
وتعـــــوضت من الحـــــور عـــــجـــــوزاً فـي الـدنـانِ[١]

(المثاني: هي سورة الفاتحة).

ومن أبياته المعروفة في الخمر:

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعي صـبـابات الهـوى يتـرنمُ
خـذوا بنصـيب من نعـيم ولذةٍ فكلٌّ وإن طال المدى يتـصـرمُ[٢]

ومن أبياته المعروفة كذلك:

دع المسـاجـد للعـبّـاد تسكنهـا واجلس على دكّة الخمّار واسقينا
مـا قـال ربُّك ويلٌ لـلأولى شـربوا بل قـــال ويلٌ للمـــصلّينا

(وقد انعكس هذا الأمر على شعراء العصر الحديث كأمثال أنور الجندي وبولس سلامة وللمزيد من الإطلاع)[٣].

وروى صاحب الأغاني وقال: «**كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنين وأظهر الفتك، وشرب الخمر وكان ينادم عليها سرجون مولاه والأخطل الشاعر**»[٤].

ويقول البلاذري: «**كان يزيد بن معاوية، أول من أظهر شرب الشراب، والاشتهار بالغناء والصيد، واتخاذ القيان والغلمان، والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة**»[٥].

---

(١) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ص١٦٤.
(٢) تاريخ الطبري.
(٣) راجع ملحمة الغدير، ص٢٢٧.
(٤) الأغاني، ج١٦، ص٦٨.
(٥) أنساب الأشراف، البلاذري، ١/٤.

ويؤكد المسعودي بقوله: «**وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب. وكان له قرد يكنّى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته، ويطرح له متكأً وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة، فيما يرى بعض الأيام سابقاً**»[١].

ويروي البلاذري عن هذا القرد بقوله: «**كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكنّيه أبا قيس، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع**»[٢].

واشتهر يزيد بمنادمة القرود حتى قال فيه شاعر من بني تنوخ[٣]:

يزيدٌ صديق القرد ملّ جوارنا ... فخفّ إلى أرض القرود يزيدُ

فتبّاً لمن أمسى علينا خليفةً ... صحابته الأدنون منه قرودُ

ونختم بقول ابن كثير: «**اشتهر يزيد بالمعازف وشرب الخمور والغناء والصيد، واتخاذ القيان والكلاب، والنطاح بين الأكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلاّ ويصبح فيه مخموراً،... وكان إذا مات له قرد حزن عليه، وقيل أن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته**»[٤].

ومع كل هذا وغيره كثير، نجد أن معاوية كان مصراً على أن يأخذ البيعة لولده الفاسق يزيد، فكان قد ذهب إلى الحج والتقى بوجوه المسلمين في مكة والمدينة ومعه الأموال والجوائز والمغريات وهو يدعو إلى بيعة ولده بعده بكل صلافة وجرأة، فلاقى مواجهة عنيفة.

فقد قال له عبدالله بن عمر: نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق، ما حجتنا عند الله؟.

---

(١) الأغاني، ح١٦، ص٦٨.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧.
(٣) أنساب الأشراف، البلاذري، ج٤، ص٢١.
(٤) ابن كثير، ج٨، ص٤٣٦.

وقال عبدالله بن الزبير: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد أفسد علينا ديننا.

وأما الحسين عليه السلام فقد قال له:

«كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عمّا كان احتويته لعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد في ما أخذ من استقرائه الكلاب المهارشة، عند التحارش، والحمام السَبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول».

هذه الأقوال، أما المواقف، فقد بايع عبدالله بن عمر بعد ذلك ليزيد بعد موت معاوية، وراغ عبدالله بن الزبير وترك المدينة هارباً إلى مكة دون أن يواجه الأمويين بفعل ولا قول..

التخلص:

وأما الحسين عليه السلام فقد قال بكل قوة ووضوح لوالي المدينة الوليد بن عتبة ومعه مروان بن الحكم، وهو يصرخ بوجهه: أيها الأمير... إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة...

ثم قرر الحسين عليه السلام مغادرة مدينة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله تلك المدينة التي عاشها طفلاً صغيراً بين أحضان جدّه وأبيه وأمه، ودرج فيها صبياً، غادرها وكان حريصاً على وداع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فقصده في تلك الليلة...

ثم يؤتى بالأبيات المناسبة لوداع الحسين عليه السلام لقبر جدّه، ويمكن أن يضاف وداع الحسين عليه السلام لقبر أخيه الحسن عليه السلام، أو وداعه لقبر أمه فاطمة الزهراء عليها السلام.

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة الثانية من محرم:

العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية:

(العنوان يمكن استفادته مما سبق بيانه، في بداية البحث، أو أي عنوان مناسب آخر).

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يمثل العقبة الكبرى في نظر معاوية في مواجهة مشروعه بولاية عهد ولده يزيد، لأن معاوية يعلم قبل غيره من هو الإمام الحسين عليه السلام، من حيث منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام، أو من حيث سلوكه ومواقفه الرسالية، وكبر منزلته في عيون المسلمين، وعظم موقعه في صدورهم، يضاف إلى كل ذلك العهد الذي أمضاه معاوية مع الإمام الحسين عليه السلام في وثيقة الصلح، من أن الذي يتولى أمر المسلمين بعد معاوية هو الإمام الحسن عليه السلام فإن لم يكن موجوداً فإن الإمام الحسين عليه السلام هو من يتولى هذا الموقع.

ولم تكن مواجهة معاوية في ولاية عهد ولده يزيد مقتصرة على الإمام الحسين عليه السلام فقط بل قد واجهه وجوه المسلمين وأبرز المهاجرين والأنصار وأبنائهم، وقد سلك معاوية عدة طرق في تمهيد الأمر لولده من بعده، ومن تلك الطرق، الاغتيال السياسي، لبعض زعماء المسلمين، الذين كان وجودهم يشكل تهديداً واضحاً لمشروعه.

ومن هؤلاء الذين اغتالهم معاوية:

أ ـ سعد بن أبي وقاص الصحابي المعروف (راجع مقاتل الطالبيين).

ب ـ عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان معاوية قد بعث إليه مائة ألف درهم فردها عليه، وقال: لا أبيع ديني بدنياي ولم يلبث أن مات فجأة بمكة (راجع الاستيعاب لابن عبد البرّ).

ج ـ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقد أحس معاوية بخطره في عملية

استقراء لموقعه في أهل الشام حينما سألهم معاوية عمن يعقد البيعة له بعده، وإذا بهم يقولون لمعاوية: رضينا بعبد الرحمن بن خالد.. فشق على معاوية ذلك وأخذ يخطط للتخلّص منه ودس له السم عن طريق طبيب يعالجه (الاستيعاب).

وقد سبق كل هؤلاء الإمام الحسن عليه السلام في حادث اغتيال بالسم المشهور.

وكانت نبرة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة معاوية ومشروعه تتعاظم فكان ذلك يقلقه أيما قلق.

وأثناء حج معاوية، قام بدعوة وجوه المسلمين الذين عارضوه ووضع على رأس كل واحد منهم رجلين بسيفهما فإذا عارض أحدهم معاوية وهو يدعو إلى بيعة ولده، عالجاه بسيفهما.. وهكذا أخذ البيعة بالإكراه وغادر مكة[1].

وهذا هو منطق الطغاة، بالقوة والقهر والتسلط على الرقاب، وقد دعا معاوية أهل الأمصار للحضور إلى عاصمته دمشق ليرتب أمر ولده، ولما اختلفت هذه الوفود وأبدى الكثير معارضتهم لذلك، قام يزيد بن المقفع وهو يحكي بلسان حال السلطة الحاكمة قائلاً: «**أمير المؤمنين هذا، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا، وأشار إلى السيف؟**».

فاستحسن معاوية كلامه وقال له: «**اجلس فأنت سيد الخطباء وأكرمهم**».

وشاع بين المسلمين موقف الحسين عليه السلام الرافض لبيعة معاوية لولده يزيد، ولمّا كان الحسين عليه السلام يمثّل ذلك الامتداد الرسالي لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه المرتضى عليه السلام وأخيه المجتبى عليه السلام فقد أخذت الوفود تنزل عليه في المدينة من مختلف مناطق المسلمين تستغيث به وتؤيد موقفه الرافض لمشروع الأمويين.

---

(١) ابن الأثير، ٣/٢٥٢ ـ البيان والتبيين، للجاحظ، ١/٣٠٠.

وكان والي المدينة آنذاك مروان بن الحكم، ففزع لذلك وأخبر معاوية بهذه التطورات المخيفة لهم ولمشروعهم..

«أما بعد، فقد كثر اختلاف الناس على الحسين، والله إني لأرى لكم منه يوماً عصيباً»[١].

فرد عليه معاوية: **«اترك حسيناً ما تركك، ولم يظهر لك عداوته، ويبد صفحته، واكمن عنه كمون الشُرى إن شاء الله، والسلام»**.

ثم أن مروان اقترح على معاوية إبعاد الإمام الحسين عليه السلام عن المدينة ونفيّه إلى الشام ليكون تحت مراقبة أجهزة السلطة ورجالاتها.

ولكن معاوية كان يدرك موقع الحسين عليه السلام في الأمة وخطورة مثل هكذا خطوة فردّ على مروان بكتاب جاء فيه: **«أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به، فإن صبرت عليه صبرت على ما أكره، وإن أسأت إليه قطعت رحمه..»**[٢].

ثم أن معاوية عاش هواجس الخوف والهلع من تحرّك الأمة باتجاه الحسين عليه السلام وبرمزيته كأبرز معارض لمشروعه، فراسل الحسين عليه السلام برسائل عدة منها:

«أما بعد: فقد أنهيت إليَ عنك أمور إن كانت حقاً فإني لم أظنها بك رغبة عنها، وإن كانت باطلة فأنت أسعد الناس بمجانبتها، وبحظ نفسك تبدأ، وبعهد الله توفي، فلا تحملني على قطيعتك والإساءة إليك، فإنك متى تنكرني أنكرك، ومتى تكدني أكدك فاتق الله يا حسين في شق عصا الأمة وإن تردهم في فتنة»[٣].

غريب هذا الكلام أن يصدر ممن شق عصا هذه الأمة ويسعى لأن يبقيها في فتنة إلى يوم القيامة!!..

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ١/١.
(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ١١٦/٢.
(٣) أنساب الأشراف، ١/١، عن ابن كثير، ١٦٢/٨.

ووجد الحسين عليه السلام كتاب معاوية هذا، فرصة لمواجهته وتذكيره ببعض جرائمه بحق الأمة ومجاهديها وحملة الرسالة فيها، وكان الحسين عليه السلام يؤكد أنه لا يريد مع معاوية مواجهة مباشرة في تلك المرحلة.

«أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنه قد انتهت إليك عني أمور أنت عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير، وأن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدّد إليها إلا الله تعالى.

أما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنه إنما رقاه إليك الملاّقون المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاوون، ما أردت لك حرباً، ولا عليك خلافاً، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن الإعذار فيه إليك، وإلى أوليائك القاسطين حزب الظلمة.

ألست القاتل حُجُر بن عُديْ أخا كندة وأصحابه المصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم؟، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، جراءة على الله واستخفافاً بعهده؟.

أو لست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، العبد الصالح، الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعدما أمّنته وأعطيته ما لو فهمته العصم[1] لنزلت من رؤوس الجبال.

أو لست بمدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله تعمّداً وتبعت هواك

(١) العصم: الطيور الجارحة المستعصمة برؤوس الجبال.

بغير هدىً من الله ثم سلطته على أهل الإسلام يقتل ويقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك.

أولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياداً على أنه على دين علي كرم الله وجهه فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على دين علي، فقتلتهم، ومثّل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمّه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه.

ولولا ذلك لكان شرَفك وشرَف آبائك تجشّم رحلتين، رحلة الشتاء والصيفَ وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ودينك ولأمة محمد ﷺ، واتق شق عصا هذه الأمة، وأن تردّهم إلى فتنة، واني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعطي لنفسي ولديني ولأمة محمد ﷺ أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله، وأن تركته فإني أستغفر الله لديني، وأساله توفيقه لإرشاد أمري...

فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنّة وقتلك أولياءه على التهم، ونفيّك إياهم من دورهم إلى دار الغربة وأخذك الناس ببيعة ابنك الغلام الحدث يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب ما أراك إلا قد خسرت نفسك وبترت دينك (الهلاك) وغششت رعيتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقي والسلام»[1].

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ١م، ص٢٨٤.

إن هذا الكتاب يعتبر من أكثر وثائق حركة الحسين عليه السلام أهمية في تقييمه للوضع وتحليله للمواقف.

(يمكن للأخوة خطباء المنبر الحسيني أيدهم الله، أن يأخذوا بعض مقاطع هذا الكتاب كعنوان لمجالس الليالي، ولأن المجلس ولا سيما مجالس هذه الليلة، والتي تليها، كما يمكن اعتماده موضوعاً كاملاً لمجلس حيث تشرح فقرات هذا الكتاب أو بعضها مع ذكر الشواهد والأرقام المطلوبة).

ولا بد أن نذكر هنا أن الإمام الحسين عليه السلام لم يقف مكتوف الأيدي تجاه مخططات الأمويين ومشاريعهم لحرف الأمة عن دينها، ونسيانها لقادتها وزعمائها ومجاهديها فدعا الإمام الحسين عليه السلام إلى مؤتمر إسلامي عام بمكة المكرمة عام ٥٩هـ أي قبل موت معاوية بسنة، دعا إليه من بقي من المهاجرين والأنصار والتابعين ووجوه الأمة وأبرز شخصيّاتها وعلمائها...وذلك في موسم الحج..

ونادى الحسين عليه السلام في موسم الحج ذاك:

«لا تدعوا أحداً حجَّ العام من أصحاب رسول الله ﷺ المعروفين بالصلاح والنسك إلا اجمعوهم لي، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادق، عامتهم من التابعين، ونحو مائتي رجل من أصحاب النبي ﷺ، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن هذا الطاغية - يعني معاوية - قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم، وعلمتم وشهدتم، وإني أريد أن أسألكم عن شيء فإن صدُقت فصدّقوني، وإن كذُبت فكذّبوني، اسمعوا مقالتي، واكتبوا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن أمنتم من الناس ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون من حقّنا، فإني أتخوّف أن يدرس هذا الأمر ويُغلب ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾».

فما ترك عليه السلام شيئاً مما أنزله الله فيهم من القرآن إلاّ وتراه وفسّره، ولا شيئاً مما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأخيه وفي نفسه وأهل بيته إلاّ رواه.

وكل ذلك يقول الصاحبي: «**اللهم نعم، قد سمعنا وشهدنا، ويقول التابعي: اللهم قد حدثني به من أصدقه وأئتمنه من الصحابة**».

وقال عليه السلام:

«**أنشدكم الله ألا حدثتم به من تثقون به وبدينه**»[1].

إن عقد هذا المؤتمر وفي موسم الحج وحيث اجتمع مائتي صحابي وخمسمائة تابعي، يعتبر تظاهرة سياسية إعلامية معارضة قوية، أحرجت الأمويين وأثارت الوعي في الأمة وحفّزت المجاهدين على الالتحاق بحركة الحسين عليه السلام ونهضته بعد ذلك.

وكانت أصداء هذا المؤتمر قد بلغت حيث ما بلغ حجّاج ذلك العام وانتشروا في بقاع العالم الإسلامي وأرجائه.

وكثرت كتب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام في تلك المرحلة حاملةً فيها البيعة والاستعداد للبذل والعطاء مع الإمام عليه السلام ولكنه عليه السلام لم يكن يرى أن التحرّك في تلك الأيام مناسباً، لأن الأمر لا يحتاج إلاّ مزيداً من الوعي والدراسة وتغيّر بعض الظروف الموضوعية

(يمكن للخطيب أن يطرح موضوعاً حول الأسباب التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى عدم إعلان ثورته أيام حكم معاوية ـ راجع كتاب ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية للشيخ محمد مهدي شمس الدين وكتب أخرى).

فكان ردّ الحسين عليه السلام على تلك الكتب أو الوفود التي أمّته:

«**... فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا**

---

(١) روايات الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ٢/٢٢٨.

من الظنّة ما دام معاوية حيّاً، فإن يُحدث الله به حدثاً وأنا حي، كتبت إليكم برأييَ والسلام»[١].

ثم قام الحسين عليه السلام بعد خطوة المؤتمر، بخطوة جريئة أخرى، أعلن من خلالها تحدّيه للحكم الأموي من جهة، وأعطى درساً للأمة أن تكون جريئة، في مواجهة الطغاة، وأعلن من خلاله عن عدم شرعية أموالهم، حيث قام عليه السلام بالاستيلاء على أموال جزيلة مرّت بالمدينة منطلقة من والي الأمويين باليمن في طريقه إلى خزائن معاوية وليصرفها في شراء الذمم والمواقف، مع حاجة الأمة وفقرها، نعم سيطر عليها الإمام الحسين عليه السلام وأمر أن توزّع على المحتاجين من بني هاشم وغيرهم وكتب كتاباً بشأنها إلى معاوية، لتتم الحجة، وتكتمل الخطوة جرأة وقوة...

«من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فإن عيراً قد مرت بنا من اليمن تحمل مالاً وحلالاً وعنبراً وطيباً إليك، لتودعها خزائن دمشق، وتعمل بها بعد ذلك بني أبيك، وأني احتجت إليها فأخذتها والسلام»[٢].

فكتم معاوية غيظه لحراجة موقفه ولموقع الحسين عليه السلام في الأمة وهنا تجسد لنا مدى خوف معاوية وجزعه من موقف الحسين عليه السلام على مستقبل الحكم بعده ولا سيما ولي عهده يزيد... وهذا ما انعكس بشكل واضح على الكتاب الأول الذي وصل إلى والي المدينة من يزيد بن معاوية بعد موت أبيه واستلامه مقاليد الخلافة الأموية.

«أما بعد: فخذ حسيناً، وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام»[٣].

(١) راجع أخبار الطوال للدينوري، ص٢٠٣، أنساب الأشراف للبلاذري، ١/١.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٤/٣٧.
(٣) الطبري ٦/٨٤، أنساب الأشراف، ج١، ١/١٢٤.

وفي نص آخر: «**إذا أتاك كتابي فأحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث إليَّ برؤوسهما...**»[١].

وفي ثالث: «**أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي..**»[٢].

ولما وصل الكتاب إلى الوليد ضاق به ذرعاً، فأسل إلى مروان بن الحكم يستشيره في الموقف، رغم الجفاء الذي كان بينهما لأن مروان كان يتوقع أن تكون إمارة المدينة له، بل أنه كان يطمع لأن يكون هو الخليفة لا يزيد...

ويذكر أهل السير أن الوليد بن عتبة بن أبي معيط والي المدينة، كان رجلاً يؤثر السلامة ولا يحب سفك الدم، كما كان يحترم الحسين عليه السلام.

ولما سأل مروان كيفية التصرف في هذا الموقف، فإن الأخير أشار عليه، باستدعاء الحسين عليه السلام وابن الزبير وابن عمر ليلاً، قبل أن يشيع خبر وفاة معاوية، وتحدث تطورات لا يستطيع الأمويين معرفة أبعادها.

فقد قال مروان للوليد: ابعث إليهم في هذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا، قدّمهم واضرب أعناقهم، قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنهم إن علموا ذلك، وثب كل رجل منهم فأظهر الخلاف، ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قتلهمْ ما لا قِبَل لك به، إلاّ عبدالله بن عمر فإنه لا ينازع في هذا الأمر أحداً، مع أني أعلم أن الحسين بن علي لا يجيبك إلى بيعة يزيد، ولا يرى له عليه طاعة، والله لو كنت في موضعك، لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبته، كائناً في ذلك ما كان.

---

(١) اليعقوبي، ٢/٢١٥.

(٢) ابن عساكر، ١٣/٦٨.

وعظم ذلك على الوليد، وهو أحنك بني أميّة وأملكهم لعقله ورَشده فقال لمروان: يا ليت الوليد لم يولد ولم يكن شيئاً مذكوراً...

فسخر منه مروان وراح يندد به وهو يقول له: «لا تجزع مما قلتُ لك، فإن آل أبي تراب، هم الأعداء من قديم الدهر، ولم يزالوا، وهم الذين قتلوا عثمان بن عفان، ثم ساروا إلى أمير المؤمنين ـ أي معاوية ـ فحاربوه».

ونهره الوليد فقال له: «ويحك يا مروان عن كلامك هذا، وأحسنِ القول في ابن فاطمة، فإنه بقيّة النبوّة»[1].

ولما وصل رسول الوالي إلى الحسين عليه السلام وكان جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله مع ابن الزبير ويقال مع ابن عمر أيضاً، فتحاور القوم في سبب هذا الاستدعاء في وقت لا يجلس فيه الوالي عادة، فقال الحسين عليه السلام:

«أني أرى أن طاغيتهم هلك!!».

أما عبدالله بن الزبير فقد خرج في تلك الليلة ومعه أخوه من المدينة وسار على غير الطريق العام باتجاه مكة...

وأما الحسين عليه السلام فإنه عاد إلى بيته، اغتسل ودعا الله تعالى، وأمر أهل بيته بلبس السلاح والخروج معه، فحفوا به محدقين وأمرهم بالجلوس على باب الدار، وقال لهم: اني داخل فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليّ بأجمعكم.

فلما دخل الحسين عليه السلام وأخبره الوليد بموت معاوية، استرجع عليه السلام، ثم طلب منه الوليد البيعة ليزيد، فردّ عليه السلام عليه:

«ان مثلي لا يبايع سراً ولا يجتزئ بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة، دعوتنا معهم، كان الأمر واحداً..».

---

(١) فتوح بن أكثم، ٥/١٢.

فأذن الوليد للإمام الحسين عليه السلام بالانصراف، ولكن مروان أمره بحبس الحسين عليه السلام فإما أن يبايع أو يُقتل، فوثب الحسين عليه السلام مخاطباً مروان:

«يا بن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو؟ كذبتَ والله ولؤمتُ»[1].

ثم أقبل على الوليد مخاطباً له: إنا أهلُ بيت النبوة ومعدن الرسالة.. فلما سمع أهل بيته وأخوته صوته مرتفعاً، دخلوا البيت وفي أيديهم سيوفهم وأخرجوا الحسين عليه السلام باعتزاز ومنعة...

التخلص:

أقول فأين منه أخوته وأهل بيته يوم عاشوراء وهو يستغيث ولا يُغاث ويستنصر ولا يُنصر... إلخ.

ويختم المجلس بأبيات شعر مناسبة لذلك. أو يأتي بنهاية أخرى تناسب الليلة، مثل خروج الحسين عليه السلام مع أهله وعياله بعد توديعه قبر جده وأمه وأخيه. وبقاء طفلته فاطمة العليلة في داره التي أمست موحشة خالية بعد أبيها وبعد أهل بيتها... ثم أشعار مناسبة لذلك حتى تشبَع فقرة المصيبة.

الموضوع الثالث الذي يمكن طرحه في الليلة الثانية من محرم:

بين موت معاوية وبيعة يزيد:

ذكر المسعودي في مروج الذهب، وذكر غيره، أن معاوية دخل ذات يوم الحمام فلما رأى ضعف جسمه بكى لفنائه وأنشد يقول:

أرى الليالي أسرعت في نقضي ... أخذت بعضي وتركت بعضي

حنَيْنَ طولي وحنيَن عرضي ... أقعدتني من بعد طول نهضي

(١) التاريخ الكامل، ابن الأثير، ١٦٠٨/٨، راجع تاريخ الطبري والأخبار الطوال.

وأخذ معاوية يبدي ندمه على ما فرط منه في حياته، ثم اشتدت عليه علته وآيس من برئه، فأخذ يقول:

فيا ليتني لم أكُنَ في الملك ساعة ولم أك في اللذات أعشى النواظرِ
وكنت كذي طمرين عاش ببلغةٍ من الدهرِ حتى زار أهل المقابر

وقال لولده يزيد في مرضه الذي توفي فيه: يا بُني أني قد كفيتُك الشدّ والترحال، ووطّأتُ لك الأمور، وذلّلتُ لك الأعداء، وأخضعتُ لك رقاب العربُ، وانظر أهل الحجاز فإنهم أصلُك واكرمُ من قَدم عليك منهم وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإنَّ عزل عامل أيسرُ من أن يُشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك (العيبة هي الصندوق) فإن رابك من عدوّك شيءٌ، فانتصر لهم فإن أصبتهم، فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيّرت أخلاقهم، وأني لست أخاف عليك أن نازعك في هذا الأمر إلاّ أربعة من قريش: الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر. فأما ابن عمر فإنه رجل قد وقذته العبادة، فإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فلن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به، فاصفح عنه فإن له رحماً ماسّة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد ﷺ وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله، ليس له همِة إلاّ في النساء واللهو، وأمّا الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فإن أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها فظفرت به، فقطّعه إرباً إرباً، واحقن دماء قومك ما استطعت[1].

(١) مروج الذهب، المسعودي، ٤٩/٣.

(ويلاحظ في هذه الرواية، ورود اسم عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو رجل كان معاوية قد دسّ إليه السم قبل موته، ولهذا يفضل للخطيب عن ذكر اسمه او يعلّق بهذا التعليق إذا ذكره).

ويقال أن يزيد كان غائباً، حينما مات أبوه معاوية، وان معاوية أحضر اثنين من ثقاته وهما الضحّاك ابن قيس، ومسلم ابن عقبة المرّي فأمرهما أن يؤديا هذه الوصية لولده يزيد، وهو الأصح من الروايات كما يبدو.

وكان يزيد بحوارين من قرى حلب، فكتبوا إليه يحثّونه على المجيء ليدركه، فقال يزيد شعراً:

جاء البريد بقرطاسٍ يخبّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ماذا في كتابكم ... قال: الخليفة أمراً مثبتاً وبعا

فلما وصل يزيد إلى دمشق كان قد دفن أبوه معاوية فجاء وصلّى على قبره[1].

ولما بويع يزيد بالخلافة، كتب إلى الوليد بن عتبة يخبره بموت معاوية، ومعه كتاب آخر صغير، وصفته بعض المصادر به (أذن فأرة) يقول فيه: «**أما بعد: فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر وابن الزبير للبيعة أخذاً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام**»[2].

وكانت وفاة معاوية في شهر رجب عام ٦٠ هـ كما ذكر الطبري وغيره، فلما وصل كتاب يزيد إلى المدينة، وأتى الوليد بنعي معاوية فغُظع به، وكبُر عليه وبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه، وكان مروان والياً على المدينة قبل الوليد، فلما استلم الوليد إمارتها كان مروان يختلف إليه (يزوره) متكارهاً، فلما رأى الوليد ذلك منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه.

---

(١) الكامل،ابن الأثير، ٥/٤ ـ٩.

(٢) الطبري، ١٨٨.

ولم يزل مصارماً له (مقاطعاً) حتى جاء نعي معاوية، فلما عظُم على الوليد هلاكه، وما أمر به من بيعة هؤلاء النفر، استدعى مروان فلما قرأ الكتاب الواصل من دمشق بموت معاوية، استرجع مروان وترحم عليه، واستشاره الوليد كيف يصنع؟. فقال: أرى أن تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبوا ضربتَ أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموته، وثب كل رجل منهم بناحية، وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه.. عدا ابن عمر فإنه لا يرى القتال، إلا أن يدفع الأمر إليه عفواً.

فأرسل الوليدُ عبدالله بن عمرو بن عثمان، وهو غلام حدَث، إلى الحسين عليه السلام وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، فقال: أجيبا الأمير، فقالا: انصرف الآن نأتيه.

فقال ابن الزبير للحسين عليه السلام: ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟.

فقال الحسين عليه السلام:

«أظن أن طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس الخبر».

فقال: وأنا ما أظن غيره، فما تريد أن أصنع؟.

قال عليه السلام:

«اجمع فتياني الساعة ثم أمشي عليه (إليه)»[1].

فقال ابن الزبير: إني أخاف عليك إذا دخلت.. فقال عليه السلام:

«لا آتيه إلا وأنا قادر على الامتناع».

---

(١) الكامل، ابن الأثير، ١٤/٤.

فدعا الحسين عليه السلام جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وفي رواية انه عليه السلام أمر أهل بيته بلبس السلاح والخروج معهم، ويبدو أن أهل بيته ومواليه خرجوا معه معاً إلى دار الإمارة.

ثم قال عليه السلام لهم:

«إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمن أن يكفلني منه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي فإذا دخلت إليه، فاجلسوا على الباب، فإذا سمعتم صوتي قد علا (أو دعوتكم) فادخلوا عليه لتمنعوه مني».

ولما دخل الحسين عليه السلام على الوليد وجد مروان عنده، وكانت بينهما قطيعة فأمرهما الإمام عليه السلام بالتقارب والإصلاح، وترك الأحقاد، فقال لهما:

«الصلة خير من القطيعة، والصلح خير من الفساد، وقد آن لكما أن تجتمعا اصلح الله ذات بينكما».

ولم يجيباه بشيء فقد علاهما صمت، وبادر الإمام عليه السلام بقوله:

«هل أتاك من معاوية خبر؟ فإنه كان عليلاً وقد طالت علته، فكيف حاله الآن؟».

«آجرك الله في معاوية فقد كان لك عماً صدوقاً، وقد ذاق الموت، وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد..».

فاسترجع الحسين، ثم قال له:

«لماذا دعوتني؟».

فقال الوليد: دعوتك للبيعة.

فبادره الحسين عليه السلام:

«إن مثلي لا يبايع سراً، ولا يجتزئ بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة، دعوتنا معهم، كان الأمر واحداً».

فقال الوليد أجل.

فقال الحسين عليه السلام:

«فتصبح وترى رأيك في ذلك».

فقال الوليد: انصرف إذا شئت على اسم الله، حتى تأتينا مع جماعة الناس.

وكاد الأمر ينتهي عند هذه النقطة لولا تدخل مروان بلؤمه وحقده، فبادر قائلاً: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فوثب الحسين عليه السلام عند ذلك وقال:

«يا ابن الزرقاء[1] أنت تقتلني أو هو؟ كذبت والله ولؤمت (أو أثمت)»[2].

وأقبل عليه السلام على الوليد مخاطباً:

«أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر،قاتل للنفس المحرمة (أو المحترمة)، معلن الفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبحُ وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينّا أحقُ بالخلافة والبيعة».

فقال الوليد للحسين عليه السلام: ـ وكان يحب العافية ـ انصرف على اسم الله.

ولما سمع أهل بيته وموالوه صوته عليه السلام قد ارتفع دخلوا حتى أخرجوه معهم...

---

(١) كان يقال لمروان وبنيه: بني الزرقاء، لمن أراد ذمهم وعيبهم، والزرقاء هي بنت وهب جدّة مروان بن الحكم لأبيه، وكانت من ذوات الروايات التي يُستدل بها على بيوت البغاء، فلهذا كانوا ينعتون بها (ابن الأثير ٤/١٦٠). ويقال أن اسمها مارية ابنة موهب وكان قيناً (أي عبداً مملوكاً) (أنساب الأشراف، ٥/١٢٦).

(٢) الطبري، س٦/١٩٠.

فالتفت مروان إلى الوليد وقال له: عصيتني. لا والله لا يمكّنك مثلها من نفسه أبداً!!.

فرد عليه الوليد: «ويحك، أشرت عليَّ بذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها، وإني قتلتُ حسيناً، سبحان الله، أأقتل الحسين أن قال: لا أبايع، والله ما أظنّ أحداً يلقى الله بدم الحسين إلا وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه وله عذاب أليم»...

فسخر منه مروان، وشتان بين المنطقين: إذا كان هذا رأيك فقد أصبت[١]!!.

يقول هذا وهو غير الحامد له على رأيه[٢].

وروى شهراشوب في المناقب أن عدد من دخل من أهل بيت الحسين عليه السلام كانوا تسعة عشر رجلاً دخلوا وقد انتضوا خناجرهم، ولما وصل الخبر إلى يزيد عزل الوليد وعين مروان مكانه[٣].

هذا ما كان من أمر الحسين عليه السلام أما ابن الزبير، فإنه قال لهم: الآن آتيكم، ثم أتى داره فكمن فيها ثم بعث إليه الوليد فوجده قد جمع أصحابه واحترز، فألحّ عليه الوليد وهو يقول: أمهلوني، فبعث إليه الوليد مواليه فشتموه وقالوا له: لتأتين الأمير أو ليقتلنك. فقال لهم: والله لقد استربت لكثرة الإرسال فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه.

فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير وقال للأمير: يرحمك الله كفّ عن عبدالله فقد أفزعته وذعرته، وهو يأتيك غداً، إن شاء الله تعالى، فمرْ رسلك فينصرفوا عنه.

فبعث إليهم فانصرفوا، وخرج ابن الزبير من ليلته، فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث وساروا نحو مكة[٤].

---

(١) الطبري ٦/١٩٠.
(٢) الإرشاد، المفيد ص١٨٢.
(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب، ٣/٢٤٠.
(٤) ابن الأثير، ٤/١٦.

فلما أصبح الوليد سرّح في أثره الرجال، فبعث راكباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً، فطلبوه فلم يدركوه فرجعوا[١].

فتشاغلوا ذلك اليوم بابن الزبير عن الحسين عليه السلام حتى أمسوا.

وأما الحسين عليه السلام فإنه لما رجع مع أهل بيته ومواليه إلى بيته، خرج في تلك الليلة إلى أن أتى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فقال:

«السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلفتني في أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله، أنهم خذلوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك، ولم يزل راكعاً وساجداً حتى الصباح»[٢].

وأرسل الوليد من يتعرف له خبر الحسين عليه السلام، وحيث لم يصبْهُ الرسول في منزله، اعتقد أنه خارج من المدينة، فحمد الله على عدم ابتلائه به ـ..

فهناك فرق واضح بين تعامل الوليد مع الحسين عليه السلام بكل إجلال وتقدير وبين معاملة ابن الزبير المراوغ.

وأصبح الحسين عليه السلام فخرج من منزله يستمع الأخبار، فلقيه مروان فقال له: يا أبا عبدالله إني لك ناصح فأطعني ترشُد.

فقال الحسين عليه السلام:

«وما ذاك قل حتى أسمع».

فقال مروان: إني آمرك ببيعة يزيد بن معاوية فإنه خير لك في دينك ودنياك.

فقال الحسين عليه السلام:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بُليت الأمة

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص١٨٣.

(٢) مقتل العوالم، ص٥٢ ـ البحار، ١٧٢/٢٤.

براعٍ مثل يزيد.. وقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»[١].

وانصرف مروان مسرعاً إلى الوليد فأخبره بمقالة الحسين عليه السلام له.

وراسل الوليد دمشق بما جرى له مع الحسين عليه السلام فجاءت أوامر يزيد بكتاب إلى الوليد: «**من عبد الله يزيد أمير المؤمنين، إلى الوليد بن عتبة، أما بعد: فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة، بتوكيد منك عليهم، وذر عبدالله بن الزبير فإنه لن يفوت أبداً، ما دام حياً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر والنعمة والسلام..**»[٢].

فلما كان آخر النهار، بعث الوليد الرجال إلى الحسين عليه السلام ليحضر فيبايع، فقال لهم الحسين عليه السلام:

«**أصبحوا ترون ونرى، فكفّوا تلك الليلة عنه، ولم يلحّوا عليه**»[٣].

التخلص:

وأما الليلة الثانية وهي الليلة الأخيرة للحسين عليه السلام في المدينة، فقد توجه فيها مرة أخرى إلى قبر جده رسول الله ﷺ وهو حزين كئيب وهو يناجي ربه أمام قبر جده ﷺ:

«**اللهم ان هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني احب المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام، بحق هذا القبر ومن فيه، إلاّ ما اخترت لي ما هو لك رضا ولرسولك رضا**».

(١) مثير الأحزان، ابن نما، ص١٤، اللهوف، ابن طاووس، ص٩ ـ فتوح ابن أكثم ـ مقتل الخوارزمي.
(٢) فتوح بن اكثم، ٥/٢٤ـ٢٥.
(٣) اللهوف، ابن طاووس، ص١٩.

ثم جعل يبكي عند القبر، حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأغفى، فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة، عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه، فجاء وضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره، وقبّل بين عينيه وقال:

«حبيبي يا حسين، كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كربلاء، بين عصابة من أمتي، وأنت في ذلك عطشاناً لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أتاهم الله شفاعتي.

حبيبي يا حسين: إن أباك وأمّك وأخاك قدموا عليّ، وهم إليك مشتاقون، وأن لك في الجنة لدرجات لن تنالها إلاّ بالشهادة».

فجعل الحسين عليه السلام في منامه ينظر إلى جدّه ويقول:

«يا جداه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا بدّ لك في الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأخاك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنّة».

التخلص:

(وهنا يمكن للخطيب إنهاء المجلس بإيراد الشعر المناسب لهذا الموقف وإشباعه بما يناسب من أبيات الرثاء).

ثم أنه عليه السلام انتبه من نومه، ثم بادر إلى قبر أمه عليها السلام وأخيه عليه السلام فودعهما في جوف الليل.

بعد ذلك عاد الحسين عليه السلام إلى بيته فقصّ رؤياه على أهل بيته، وبني عبد

المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق الأرض ولا في مغربها قومٌ أشدّ غمّاً من أهل بيت رسول الله ﷺ ولا أكثر باكٍ وباكية منهم.

(وهنا يمكن للخطيب أن ينهي المجلس بطريقة أخرى، حيث يقارن الخطيب بين حزن أهل البيت عليهم السلام في هذا الموقف والحسين عليه السلام معهم ومعه نجوم الأرض من آل عبد المطلب، فكيف سيكون حال من بقي من أهل البيت يوم عاد الإمام زين العابدين عليه السلام بعمّاته وأخواته وبشر بن حذلم ينادي في المدينة:

يا أهل يثرب لا مُقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدراراً

إلخ..

أو يقول الخطيب، وهكذا عزم الحسين عليه السلام بعد هذه الرؤيا على الخروج من مدينه جدهن وخرج معه اخوته وأبناؤه وأبناء عمومته وبنو أخيه... وودعت أم البنين أبناءها وأوصتهم بنصرة أخيهم الحسين، وبقيت هذه المرأة تنظر أي خبر عن الحسين عليه السلام وأولادها حتى دخل الناعي إلى المدينة..

ثم تعرّج على أحوال أم البنين وبكائها على الحسين عليه السلام.

وطريقة ثالثة لإنهاء المجلس:

أن يقول الخطيب: وهكذا خرج الحسين عليه السلام من المدينة ومعه أهله وإخوته وفي مقدمة أهل بيته كبيرة البيت الهاشمي زينب العقيلة، وهي تودع دار أخيها ومحاريب إخوتها وقبر جدها رسول الله ﷺ.. ولكن كيف رجعت زينب إلى المدينة لا إخوة ولا أهل ولا عشيرة وهي مع بنات رسول الله ﷺ بصرخة وعويل:

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا

ثم دخلت دار أخيها الحسين عليه السلام الموحشة..

وأورد ما يناسب من الشعر الرثائي الحزين.

الحسين عليه السلام في مكة وخروجه منها إلى العراق

أولاً ـ القصيدة:

حيث تختار القصائد التي تشير إلى خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة، وهي قصائد قد تكون قليلة، ولهذا يمكن للخطيب إيراد القصائد التي تشير إلى ذكرى الحسين عليه السلام وإقامة المآتم عليه، وحزن المؤمنين لأجله، وما يناسب هذه المعاني.

١ ـ قصيدة السيد جعفر الحلّي رحمه الله، وهي من القصائد المشهورة في هذه الليالي، والتي مطلعها[١]:

وجهُ الصباح عليَّ ليلٌ مظلمٌ ... وربيعُ أيامي عليّ محرّمٌ

ملاحظة: هذه القصيدة من القصائد الطويلة وأنشأت أساساً لرثاء أبي الفضل العباس عليه السلام ولكن يمكن الاستفادة من مقدمتها الطويلة في هذه الليلة أو الليلة السابقة لها، إذا توقفنا عند بيتي الشعر:

وقد انجلى من مكة وهو ابنها ... وبه تشرّفت الحطيمُ وزمزمُ

خرج الحسين من المدينة خائفاً ... كخروج موسى خائفاً يتكتمُ

وذلك على التوالي.

٢ ـ قصيدة السيد جعفر الحلّي أيضاً، والتي مطلعها[٢]:

اللهُ أيُّ دمٍ في كربلا سفكا ... لم يجرِ في الأرض حتى أوقفَ الفلَكا

---

(١) راجع الرياض، ص٢٣٩ ـ الدرّ، ص٢٨٧.

(٢) راجع الرياض، ص٢٣٠ ـ الدرّ، ص٢٢٧.

٣ ـ قصيدة الشيخ صالح التميمي رحمه الله، ومطلعها:

أمـا أن تركـي مـوبقـاتِ الجـرائمِ وتنزيه نفـسـي عن غـويٍّ ولائمِ

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة:

يمكن الاستهلال بعض الأحاديث وخطب الإمام الحسين عليه السلام بما يناسب هذه الليلة وموضوعها مثل المقاطع من:

«من أصبح باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله».

«كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء».

«من لحق بنا استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح».

كما ويمكن الاستفادة من عنوان الليلة السابقة إذا لم يستعمل هناك وهو من وصيته عليه السلام لابن الحنفية:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً..».

«شاء الله أن يراني قتيلاً وشاء الله أن يراهن سبايا».

ثالثاً ـ البحث:

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة الثالثة من محرم:

آخر مجريات أحداث المدينة والوصول إلى مكة والتوقف عند أبرز أحداثها وتطوّراتها:

بعد أن استطاع الخطيب الحسيني، أن يجعل روّاد مجلسه مستوعبين للأحداث التي جرت آخر أيام معاوية، وسعيّه لتنصيب ولده يزيداً والتطورات التي

(١) راجع الدرّ، ص٢٨١.

حدثت في المدينة بعد ذلك، حتى خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة، ولا بد في هذه الليلة أن نكمل آخر مجريات أحداث المدينة والوصول إلى مكة والتوقف عند أبرز أحداثها وتطوّراتها، حتى تكتمل الصورة ويتضح الموقف والله المستعان.

لمّا قصّ الإمام الحسين عليه السلام رؤياه على أهله، وبكوا لذلك وحزنوا، ثم أنه عليه السلام أخبرهم عن عزمه على ترك المدينة متوجهاً إلى مكة، وهنا سجّل لنا التاريخ مواقف بعض الشخصيَّات، والتي يفهم من خلالها، أن المحبّين للحسين عليه السلام كانوا يخافون عليه كشخص ووجود يرتبط بالنبي صلى الله عليه وآله والسالفين من آله عليهم السلام، في حين كان الإمام الحسين عليه السلام يبدي خوفه على دين جدّه، ويجد نفسه المقدّسة رخيصة من أجل الله وشريعته وسنّة جدّه صلى الله عليه وآله.

وقد أجاد الشاعر[1] حينما حكى عن لسانه عليه السلام:

إن كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوفُ خذيني

فقد روى عمر بن علي عليه السلام المعروف بالأطرف وقال: «لما امتنع أخي الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلتُ عليه فوجدته خالياً، فقلت له: جُعلت فداك يا أبا عبدالله، حدّثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه عليه السلام، ثم سبقتني الدمعة، وعلا شهيقي، فضمّني إليه وقال: أحدّثكَ أني مقتول؟ فقلت: حوشيت يا ابن رسول الله، فقال سألتك بحق أبيك، بقتلي خبّرك أبي؟ فقلت: نعم، فلولا تأولّت وبايعت، فقال: حدثني أبي عليه السلام:

«أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأن تربتي تكون بقرب تربته، فتظنَّ أنك علمتَ ما لم أعلمه؟ وإني لا أعطي الدنيَة من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيتُ ذريتُها من أمتَه، ولا يدخل الجنة أحدٌ آذاها في ذريتها»[2].

---

(١) الشاعر: هو الشيخ محسن أبو الحَبّ الكربلائي.

(٢) اللهوف، ابن طاووس، ص١١.

وفي صباح آخر نهارٍ للإمام الحسين عليه السلام في المدينة أقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية وقد غلبه الأسى والحزن وطغى عليه القلق والخوف على حياة الإمام الحسين عليه السلام وقد قلب أوجه التفكير في الأمر ورأى أن يقدم النصيحة بين يدي أخيه، فلما استقر به المقام، قال: « **يا أخي أنت أحب الناس إلي، وأعزهم علي، ولست أدخر النصيحة لأحدٍ من الخلق الا لك، وأنت أحق بها، تنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فان بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لن ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروتك ولا فضلك، إني أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنة غرضاً، فإنك خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً**».

فقال له الحسين عليه السلام :

«**فأين أذهب يا أخي؟**».

قال: «**انزل مكة، فإن اطمأننت بك الدار بها فسبيل ذلك إن نبتُ بك لحقت بالرمال، وشعب الجبال، وخرجت من بلدٍ إلى بلد، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس إليه، فإنك أصوب ما تكون رأياً، حين تستقبل الأمر استقبالاً**»[1].

فقال له الحسين عليه السلام :

«**يا أخي والله لن لم يكن في الدنيا ملجأً ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية، أبداً. وقد قال محمد صلى الله عليه وآله: «اللهم لا تبارك في يزيد..**»».

فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى معه الحسين عليه السلام ساعة، ثم

(١) الإرشاد: ص١٥٣ ـ الطبري وغيرهما.

قال: «**جزاك الله يا أخي عنّي خيراً، لقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفّقاً مسدّداً، وأني قد عزمت على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك وأنا وأخوتي وبنو أخوتي وشيعتي، وأمرُهم أمري ورأيُهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً عليهم، ولا تخفِ عليَّ شيئاً من أمورهم**».

ثم دعا بدواة وبياض، وكتب[1] هذه الوصية لأخيه محمد:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمضى به الحسين بن علي بن أبي طالب، إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفيّة، أن الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنّة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور...**

وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليَّ هذا أصبر، حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك، وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكّلت وإليه أنيب».

ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد، ثم ودّعه وخرج في جوف الليل[2].

ثم أن أم المؤمنين أم سَلَمَة (رض) أتته فقالت: يا بني لا تحزنّي بخروجك إلى

(١) فتوح ابن أكثم، ٣٢/٥ ـ وكذلك مقتل الخوارزمي وغيرهما.

(٢) فتوح ابن أكثم، ٣٤/٥ ـ الخوارزمي، ١٨٨/١ ـ البحار، ٣٢٩/٤٤.

العراق، فإني سمعت جدّك رسول الله ﷺ يقول: «**يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء، فقال لها، يا أمّاه والله أعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، ليس لي من هذا بدّ، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها وإني أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي...**»[1].

وسجّل الرواة قيامه عليه السلام من عند أخيه محمد بن الحنفية ودخوله المسجد وهو يعتمد على رجلين كانا معه، وهو يتمثّل بقول الشاعر[2]:

لا ذعرتُ السوّام في فلق الصبح مُغيراً ولا دعيتُ يزيداً

يوم أعطي من المهانة ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

ثم أن خروج الحسين عليه السلام كبُر على نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة، فمشى إليهن الحسين عليه السلام وأسكتهنّ، وقال أنشدكن الله أن تبدين في هذا الأمر معصية لله ولرسوله.

فقلن: ولمن نستبقي النياحة والبكاء؟. فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله وعلي وفاطمة... فننشدك الله، جعلنا الله فداك من الموت، يا حبيب الأبرار من أهل القبور،.. فصبّرهن الحسين عليه السلام.

وخرج الحسين من المدينة المنورة ليلة الأحد ليومين بقيا من شهر رجب سنة ستين للهجرة، ومعه بنوه وأخوته وبنو أخيه الحسن عليه السلام وأهل بيته وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[3].

وقد سلك الحسين عليه السلام الطريق الأعظم في خروجه من المدينة إلى مكة، ولم يتنكب الطريق إلى طريق فرعي كما فعل ابن الزبير.

---

(١) البحار، ٣٢٧/٤٤ ـ مقتل العوالم، ص٤٧. (٣) سورة القصص، الآية/٣١.

(٢) الشاعر: هو يزيد بن مفزّع أو مفرّغ.

واقترح عليه بعض أهل بيته، وهو مسلم بن عقيل عليه السلام أن يتنكّب الطريق كما فعل ابن الزبير، فقال له الحسين عليه السلام:

«**لا والله لا أفارقهُ حتى يقضي الله ما هو قاضٍ**».

وفي الطريق التقى عبد الله بن عمر بالحسين بن علي عليه السلام وبعبد الله بن الزبير فقال لهما: «**اتقيا الله ولا تفرّقا جماعة المسلمين**»[١].

وسار الحسين عليه السلام حتى دخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان (سنة ٦٠ هـ) وهو يقرأ:

﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[٢].

إن وصول الحسين عليه السلام إلى مكة ومغادرته للمدينة أحدث إرباكاً شديداً عند السلطة الأموية من جهة، وشدّ أهل المدينة وأهل مكة إلى حركة الحسين عليه السلام أولاً ثم المعتمرين والحجّاج بعد ذلك من جهة أخرى، ثم وصلت آثار حركته إلى العالم الإسلامي ولا سيما الكوفة حيث سيبدأ التفاعل الواسع مع موقف الحسين عليه السلام.

وكان ابن الزبير قد وصل إلى مكة قبل الحسين عليه السلام وكان أثقل شيء عليه وجود الحسين عليه السلام في مكة لأن الناس لا يمكن لهم أن يقارنوا بينه وبين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول الطبري: «ودخل ابن الزبير مكة ولزم الكعبة، يصلّي عندها عامّة النهار، ويطوف ويأتي حسيناً فيمن يأتيه، ويشير عليه الرأي، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، وقد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه أبداً ما دام الحسين عليه السلام بالبلد، وأنّه أعظم في أعينهم وأنفسهم منه وأطوع في الناس منه»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري، ٦/١٩١.
(٢) سورة القصص، الآية/٢٢.
(٣) تاريخ الطبري، ٦/١٩٦-١٩٧.

وينقل الشيخ المفيد أن الحسين عليه السلام لما وصل إلى مكة «نزلها وأقبل أهلها يختلفون إليه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلّي عندها ويطوف، ويأتي الحسين عليه السلام فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتوالين ويأتيه بين كل يومين مرّة، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير...»[1].

إن ابن الزبير نموذج من نماذج أصحاب المطامع الذاتية وطلاب المجد الشخصي، ولا يهتم إلا الاستيلاء على مقاليد الأمور، ولو كان صادقاً في معارضته للأمويين لانضمّ إلى الحسين عليه السلام ولالتحق بنهضته المباركة، فهو صاحب مشروع خاص به، لا يهمّه إلا مصالحه.

وابن الزبير هذا هو الذي امتنع عن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين جمعة بعد أن آل الأمر إليه، ولما لاموه على ذلك، أجاب أنه يفعل ذلك نكاية بأهل بيته عليهم السلام لأنهم يرفعون رؤوسهم إذا ذُكر جدّهم صلى الله عليه وآله...

وكان ابن الزبير معروفاً بأنه صاحب طموح ذاتي وبهدف دنيوي يسعى إليه لا يهمه الدين ولا مصلحة الأمة.

فقد طلبت زوجة عبد الله بن عمر (وهي أخت المختار الثقفي) من زوجها أن يحدثها ويذكر عندها صلاح ابن الزبير وعبادته... فقال لها ابن عمر: أرأيتِ تلك البغال الشهب التي كان يأتي بها معاوية معه إلى الحج؟، فقالت: نعم. قال: فإن ابن الزبير يريد تلك البغال لا غير!!!.

إذن كان الناس يعلمون أن وصول الحسين عليه السلام إلى مكة واستقراره بها، سلب الأضواء عن ابن الزبير، وكان الحسين عليه السلام أعلم الناس بذلك...

فلما قرر الحسين عليه السلام ترك مكة متجهاً إلى العراق في اليوم الثامن من ذي

---

(١) إرشاد الشيخ المفيد، ١٨٤ـ١٨٥.

الحجة وهو يوم التروية (وإنما سمّي بذلك لأنه اليوم الذي يأخذ فيه الحجيج ما يحتاجونه من الماء فيرتوون قبل يوم عرفة) جاء ابن الزبير ليتظاهر أنه يريد من الحسين عليه السلام عدم الخروج من مكة، وإذا بالحسين عليه السلام يواجه ابن الزبير بقوله:

«إن أبي حدثني أن بمكة كبشاً (كناية عن رجل مهم) به تُستحل حرمتُها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش، ولئن أقتل خارجاً منها بشبر أحبَ إليَ من أن أقتل فيها، وأيُم الله لو كنتُ في ثقب هامَة من هذه الهوام، لاستخرجوني حتى يقضوا فيَّ حاجتهم، والله ليُعتدنَ عليَ كما اعتدتِ اليهودُ في السبت».

ولما خرج من عند ابنُ الزبير، قال الحسين عليه السلام لمن حضره عنده:

«إنّ هذا ليس شيء من الدنيا أحبَ إليه من أن أخرجَ من الحجاز، وقد علم أن الناس لا يعدلونه بي، فودَ أني خرجتُ حتى يخلو له»[1].

وكان الحسين عليه السلام يقول لابن الزبير: أنه هو الذي سيُقتل في الكعبة، فتُستحَلُّ به حرمتها.

التخلص:

(للخطيب الحسيني أن يتوقف عند موقف الإمام الحسين عليه السلام هنا، ويعلّق على مقالته عليه السلام بأن الله تعالى، جعل كربلاء كعبة لقلوب المؤمنين إلى يوم القيامة، حتى ورد أن الله تعالى ينظر إلى زوار الحسين عليه السلام يوم عرفة قبل ان ينظر إلى الواقفين في ساحة عرفة.

(١) تاريخ ابن الأثير، ١٦/٤.

ثم يورد الأبيات المناسبة وأفضلها في هذا المقام قصيدة الشيخ محمد حسن سميسم ومنها:

وأن قصد الحجّاج بيتاً بمكّة وطافوا عليه والذبيح جريحُهُ
فإني بوادٍ الطف أصبحتُ مُحرماً أطوفُ ببيتٍ والحسين ذبيحه

ولما استقر الحسين عليه السلام بمكة، سمع بذلك أهل الكوفة، فبدأت كتبهم ورسائلهم ترد عليه، حتى بلغت اثني عشر ألف كتاب، مما ملئ بها خرجين.

وهنا لا بد من التأكيد على مسألة قد يقع البعض في سوء فهم لها، حيث يتصوّر بعض الناس أن الحسين عليه السلام إنما خرج من المدينة الى مكة استجابة لكتب أهل الكوفة ولكن الصحيح أن تحرّك الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة هو الذي حرّك الكوفيين.

ثم إن الحسين عليه السلام أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة ليستعلم حال الناس بها... فوصله كتاب مسلم:

«إن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي»[١].

هذا التطور رافقه تطوّر آخر، وهو تعيين والٍ جديد على مكة والمدينة وهو عمر بن سعيد بن العاص حيث أمره يزيد ان يفتك بالحسين عليه السلام أينما وجد وورد بعض الروايات «ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة»[٢].

فـ **«عزم على الخروج من مكة قبل إتمام الحج، واقتصر على العمرة، كراهية أن تستباح به حرمةُ البيت»**[٣].

---

(١) تاريخ الطبري، ٦/٢٢٤.
(٢) مثير الأحزان، لابن نما، ص٨٩، اللهوف، ابن طاووس، ص٢٦، ينابيع المودة، القندوزي، باب ٦١.
(٣) الطبري، ٦/١٧٧، مثير الأحزان، ابن نما الحلّي، ص٨٩.

فقرر الحسين عليه السلام ترك مكة باتجاه العراق، فخطب عليه السلام قبل خروجه وهو يقول:

«الحمد لله وما شاء الله ولا قوّة إلا بالله، وصلى الله على رسوله، خُطَّ الموت على ولدِ آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيَّرُ لي مصرعٌ أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات (الفلاة) بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سُغباً، لا محيص عن يومٍ خُطَّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين، لن تشذَّ عن رسول الله لحُمتُه، بل هي مجموعة له في حظيرة القُدُس، تقرُّ بهم عينُه، ويُنجز بهم وعدُه.

ألا من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسَه، فليرحل معنا فإني راحلٌ مُصبحاً إن شاء الله تعالى»[1].

وارتاع من حضر من أهل البيت عليهم السلام في مكة، لخبر عزم الحسين عليه السلام على الخروج منها.

فأتى محمد بن الحنفية في الليلة التي سار الحسين عليه السلام في صبيحتها إلى العراق، وقال له: **«عرفت غدر أهل الكوفة بأبيك وأخيك، وإني أخاف أن يكون حالك حال من مضى. فأقم هنا فإنك أعزُّ من في الحَرم وأمنعُه».**

فقال الحسين عليه السلام:

«أخاف أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي تُستباح به حرمة البيت».

(١) اللهوف، ابن طاووس، ٣٣، مثير الأحزان ص٦.

فقال محمد: «**فإن خفتَ ذلك فمرَ إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنك أمنعُ الناس به، ولا يقدر عليه أحد.**

فقال له الحسين عليه السلام:

«**أنظر فيما قلت**»[١].

التخلص:

ولما كان وقت السحر، بلغ ابن الحنفية شخوص الحسين عليه السلام إلى العراق، وكان يتوضأ فبكى حتى تساقطت دموعه في الطست، وأسرع إلى الحسين عليه السلام وأخذ بزمام دابّته وقال له: «**يا أخي ألمْ تعدني النظر فيما سألتك؟**».

فقال الحسين عليه السلام:

«**بلى، ولكن أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، وقال لي: يا حسين أخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلاً**».

فبكى ابن الحنفية ثم قال للحسين عليه السلام: «**﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ فما معنى حمل هؤلاء النساء والأطفال، وأنت على مثل هذا الحال؟**».

فأجابه عليه السلام:

«**شاء الله أن يراهنَ سبايا**»[٢].

وخرج الحسين عليه السلام من مكة مع رحله، وبقي ابن الحنفية غارقاً بدموعه وحسرته (وهنا يمكن أن نختم المجلس، ببقاء ابن الحنفية بالمدينة ينتظر أي خبر عن أخيه الحسين عليه السلام، حتى وصل الناعي عند رجوع الإمام زين العابدين عليه السلام مع عماته وأخواته، وسماع ابن الحنفية بالضجة وخروجه إلى أطراف المدينة واستقباله للسبايا العائدين إلى المدينة).

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣٤٢/١ ـ البحار، ٤٤.

(٢) اللهوف، ص٣٥ ـ الدر المسلوك، ١٠٩/١.

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة الثالثة من المحرم

مراسلة الإمام الحسين عليه السلام لرؤساء أهل البصرة.

يمكن أن نقسّم الفترة الزمنية التي قضاها سيد الشهداء عليه السلام في نهضته إلى مراحل عدة:

١ ـ منذ إعلانه رفض بيعة يزيد في ٢٦ من رجب عام ٦٠هـ حتى مغادرته المدينة ليلة ٢٨ من رجب (أي ٣ ليال).

٢ ـ الرحلة من المدينة إلى مكة ٢٨ رجب إلى ٣ شعبان (أي خمسة أيام).

٣ ـ مدة بقائه عليه السلام في مكة منذ ٣ شعبان إلى ٨ ذي الحجة (يوم التروية) أي ١٢٥ يوماً.

٤ ـ مدة الرحلة من مكة إلى كربلاء من ٨ ذي الحجة إلى ٢ محرم (أي ٢٤ يوماً).

ومن خلال نظرة أولية للمدد أعلاه يتضح البعد الزمني الكبير الذي قضاه الحسين عليه السلام في مكة المكرمة، وهي أكبر مدة زمنية في طول الرحلة الحسينية نحو الشهادة، ومع ذلك فإنه قلما يتم التأكيد عليها من قبل الخطباء الحسينيين رعاهم الله.

ويمكن أن نقول أن أهم النشاطات التي نهض بها الإمام الحسين عليه السلام أيام إقامته بمكة المكرمة هي كما يلي:

أ ـ لقاؤه عليه السلام بأهل مكة وبالمعتمرين أولاً ثم الحجيج ثانياً، والذي من خلاله استطاع سيد الشهداء عليه السلام تحويل كل هؤلاء إلى رسل ومبلّغين لنهضته عندما يعودون إلى بلدانهم وأقوامهم.

ب ـ تحرّك الحسين عليه السلام نحو مراسلة رؤساء أهل البصرة الذي يتوقع منهم نصرته ومؤازرتهم في نهضته.

ج ـ استقطاب عدد لا يستهان به من الأنصار والمؤيدين الذين سمعوا

بتحركه من المدينة ومكّة، وهم سيكونون العدد الأبرز من أنصاره يوم عاشوراء، حتى ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق «**أن الحسين لما خرج من مكة كان معه ستون رجلاً من شيوخ أهل الكوفة قتلوا معه بأجمعهم يوم عاشوراء**»[1].

إضافة إلى بعض شيعته من البصرة التحقوا به في الطريق بمنطقة الصفاح، وبعض بني عبد المطلب الذين لم يخرجوا معه عليه السلام حينما خرج من المدينة، إن التحاق هذا العدد من الأنصار بركب الثورة الحسينية كان أحد ثمار بقاء الحسين عليه السلام هذه المدة الطويلة بمكة.

د ـ بداية مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام بعدما تكاثرت كتب الكوفيين حتى بلغت اثني عشر ألف كتاب، حيث ارتأى الحسين عليه السلام إرسال ابن عمه إلى الكوفة لدراسة الموقف على الأرض.

هـ ـ فترة تأمل ودراسة وتخطيط لاحتمالات الموقف ووضع الخطط المناسبة لها.

وسنؤكّد في مجلسنا هذا على النقطة (ب) وهي مراسلة الإمام الحسين عليه السلام لرؤساء أهل البصرة.

إن هناك جملة أمور يمكن أن تثار في هذه النقطة منها:

إن هذه المراسلة تعتبر مبادرة من الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة فيما نجد أن أهل الكوفة هم الذين راسلوا الإمام عليه السلام، فما الذي حدى به عليه السلام إلى هذه الخطوة؟

إن البصرة آنذاك لم تكن من المدن التي تحسب على خط الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ومع ذلك فقد ابتدأ الإمام الحسين عليه السلام بهذه الخطوة المبادرة.

---

(١) تاريخ ابن عساكر، ١٣/٧١.

إن كان الإمام الحسين عليه السلام قد راسل البصرة وهي كما عرفنا أعلاه، فهل أن المحتمل أن يكون الحسين عليه السلام قد راسل شيعة له في أمصار أخرى ومدن غيرها، مثل أهل اليمن حيث شيعة أبيه عليه السلام وأهل مصر والتشيع كان فيها معروفاً؟

إن التاريخ لم ينقل لنا دليلاً على ذلك.

إن الحسين عليه السلام كان قد راسل أهل الكوفة كردٍ على كتبهم وليس مبادرة منه عليه السلام فهل أن اهتمام الحسين عليه السلام بالبصرة من أجل إنجاح حركته باتجاه الكوفة، باعتبار البصرة هي المدينة التوأم مع الكوفة وهي أبرز مدن العراق آنذاك على الإطلاق بل أبرز المدن الإسلامية كذلك.

حتى أن القبائل العربية التي انتقلت أيام الفتوحات استقر بعض أبنائها في البصرة واستقر البعض الآخر بالكوفة... أي أن من التفسيرات التي يمكن أن ترد هنا أن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يجعل العراق كله مستجيباً ومتفاعلاً مع حركته باعتبار البصرة تعتبر عمقاً وامتداداً أساسياً للكوفة.

هل كان الإمام الحسين عليه السلام يسعى لإرباك الحكم الأموي عبر إرسال هذه الرسل إلى البصرة وربما غيرها من المدن، إذ أن وصولها لا شك أنه سيُحدث حركة واختلافاً في وجهات نظر وتغييراً للمواقف.

لقد راسل الإمام الحسين عليه السلام رؤساء أهل البصرة والوالي آنذاك عليها هو عبيد الله بن زياد العدو اللدود والظالم الغشوم، مما يجعل من مسألة استجابة هؤلاء للإمام الحسين عليه السلام تحظى باحتمالات غير مشجعة.

هذه بعض الإثارات التي يمكن تصوّرها في موضوع مراسلة الإمام الحسين عليه السلام إلى رؤساء أهل البصرة، (وهنا لا بد من التأكيد على الأخوة الأعزاء من خطباء المنبر الحسيني ـ أيدهم المولى ـ أن يولوا كتب المقاتل والسّيَر من جهة وكتب العلماء والمفكرين الذين بحثوا في الثورة الحسينية

وأبعادها واعماقها ودروسها من جهة أخرى، اهتماماً بالغاً حتى يمكن لهم أن يشبعوا المنبر بمجالس ومحاضرات، تضم المعلومة التاريخية الموثّقة والتحليل المناسب من أجل إيصال مفاهيم النهضة الحسينية الخالدة إلى الأمة بكل فئاتها.

إن التاريخ سجّل حتى خروج مسلم بن عقيل (رض) من مكة حيث ذكر أنه في منتصف شهر رمضان ٦٠ هـ ووصوله إلى الكوفة في الخامس من شهر شوال، ولكن التاريخ لم يسجل لنا متى راسل الإمام الحسين عليه السلام أهل البصرة، وهل أن ذلك تمّ بعد وصول كتب أهل الكوفة (وهو الأرجح) أم قبلها (وهو الاحتمال الأضعف)، من خلال سرعة تجاوب الكوفيين معه بدأ خروج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة، ومبادرتهم لعقد اجتماع تاريخي لتمحضّ عنه مراسلتهم الكثيرة.

سنذكر ذلك في مجالس تالية إن شاء الله تعالى، نعم، يمكن لنا أن نستنتج من تاريخ إرسال هذا الكتاب ومن خلال حدث آخر سجّله التاريخ لنا وهو أن الطاغية ابن زياد، الذي كان والياً على البصرة، قد أمر بصلب رسول الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة، في عشية الليلة التي ترك فيها ابن زياد البصرة متوجهاً إلى الكوفة لمعالجة حركة مسلم بن عقيل عليه السلام التي وصلها قبل ذلك، ووصل نبأ وصوله إلى دمشق، ثم جاءت أوامر يزيد إلى ابن زياد أن يضمّ إلى ولايته على البصرة ولاية جديدة هي الكوفة، وقد وصل ابن زياد الكوفة في أوائل ذي الحجة سنة ٦٠ هـ.

وبهذا يكون من المرجّح جداً، أن الحسين عليه السلام أرسل رسوله (سليمان) إلى أهل البصرة بعد خروج مسلم بن عقيل عليه السلام باتجاه الكوفة والله أعلم.

وعلى كل حال فإن الإمام الحسين عليه السلام كان قد اختار رجلاً موثوقاً من شيعته، وممن خرج معه من المدينة المنورة وقد ذكر اسمه وهو سليمان وقيل هو

مولىً للحسين عليه السلام[١] وأنه يكنّى بأبي رزين[٢] بل يقال أن الحسين بعث الكتب إلى أهل البصرة مع رجل اسمه ذراع (أو زراع) السدودسي[٣] «ويقال أن رزين هو اسم أبيه، أما أمه فاسمها كبشة، وكانت جارية للحسين عليه السلام، فتزوجها رزين فأولدها سليمان»[٤].

ومهما يكن من أمر، فإن الحسين عليه السلام اختار رجل ليكون رسولاً من قِبَله إلى رؤساء الأخماس من أهل البصرة، وإلى بعض شرفائها.

(الأخماس جمع خمس وهو اسم للجيش. لأن الجيش آنذاك كان مؤلفاً من خمسة أقسام وهي: المقدّمة والمؤخرة والقلب والجناحان).

ملاحظة: على خطيب المنبر الحسيني أن يسعى جاهداً لمعرفة كل لفظة قد تبدو غريبة، وغير متداولة في حياتنا وثقافتنا، إذا مرّت عليه في مصدر تاريخي أو بيت شعر أو غير ذلك، وسيتولد من كل ذلك نماء في مستواه اللغوي وإحاطة بمعاني الكلمات..

لاحظ كلمة الخميس الواردة في هذا البيت من الشعر:

ولاقى خميساً يملأ الأرض زحفه بعزم له السبعُ الشداد تميدُ

إن التاريخ لم يوضّح لنا، الأسباب والدوافع التي حدت بالإمام الحسين عليه السلام أن يراسل أهل البصرة دون غيرها من الأمصار (راجع الاثارات المتقدمة).

واتفق أهل التاريخ أن الحسين عليه السلام أرسل كتاباً واحداً وبعدة نسخ إلى هؤلاء الرؤساء والأشراف[٥]. وكان نصه كما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليَ

أمّا بعد، فإن الله اصطفى محمداً ﷺ من خلقه (على خلقه) وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه (مكرّماً)، وقد نصح

---

(١) الطبري، ٦/٢٠٠.
(٢) اللهوف، ص٢١.
(٣) مثير الأحزان، ابن نمار، ص١٢.
(٤) اللهوف، ص٢١.
(٥) راجع مقتل ابن مخنف ـ تاريخ الطبري ـ وغيرهما.

لعباده وبلّغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءَه وأوصياءَه وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفُرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقُ بذلك الحق المستحقّ علينا ممّن تولاّه[1].

(تضيف بعض المصادر جملة:

«وقد أحسنوا وتحرّوا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم».

وقد تكون جملة غريبة عن الكتاب ومدخوله عليه، ويمكن أن تكون ـ إذا صحّت ـ تأليفاً لقلوب البصريين لأن أغلبهم كان يميل إلى الخلفاء السابقين، والله أعلم).

وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه، فإن السنّة قد أميتت، وأن البدعة قد أحييت، وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

(ملاحظة: يمكننا أخذ مقاطع من هذا الكتاب ـ كالمقطع الأخير منه ـ كعنوان لمجلس هذه الليلة إذا أريد التحدث عن هذا الكتاب والوضع في البصرة).

وكان الحسين عليه السلام قد أرسل رسوله بهذا الكتاب إلى كل من:

١ ـ الأحنف بن قيس، وهو كان قد اتخذ موقفاً محايداً في حرب الجمل وقد بعث إلى علي عليه السلام يقول له إما أن يأتيه بمائتي فارس أو يكف عنه ستة آلاف سيف من بني سعد، فأمره علي عليه السلام بالاعتزال وكف هؤلاء حتى

(١) الطبري، ٣٥٧/٥ ـ فتوح ابن أكثم، ٤٢/٥ ـ وغيرهما.

لا يشاركوا مع أهل الجمل. وله مواقف مع معاوية بعد استشهاد عليعليه السلام . والأحنف هو زعيم بني تميم بالبصرة.

وقد ردّ على كتاب الحسين عليه السلام لما وصله بكتاب هذا نصّه: «**أما بعد ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾**»[١].

وكان كتاباً مختصراً، يدل على توقفه عن نصرة الحسين عليه السلام وعدم استعداده لها.

٢ ـ مالك بن مسمع البكري: وكان يميل إلى الأمويين، وقد لجأ إليه مروان بن الحكم بعد انتهاء واقعة الجمل بانتصار أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان يدعو الناس إلى بيعة يزيد بعد واقعة كربلاء[٢]. وهذا الرجل لم يرد على كتاب الحسين عليه السلام.

وهذا يجعلنا نرجّح أن الحسين عليه السلام أراد إرباك الوضع العام للأمويين عبر إرساله رسائله إلى أشخاص لهم ميول أموية واضحة...

٣ ـ قيس بن هيثم السلمي: رجل خرج مع قومه لنصرة عثمان حينما كان محاصراً ثم رجع لما سمع بقتله، وكان واليه على خراسان، ولي شرطة البصرة على عهد معاوية، ثم صار مع جيش مصعب بن الزبير في قتال المختار الثقفي[٣]. وما قيل في مالك بن مسمع يقال هنا في هذا الرجل. ولم يرد هذا الرجل كذلك على كتاب الإمام الحسين عليه السلام.

٤ ـ مسعود بن عمرو بن عدي الأزدي: كان قائداً لقبيلته الأزد في جبهة الناكثين في واقعة الجمل، وقد لجأ إليه عبيد الله بن زياد حينما تحرّك المختار في الكوفة ووصل أثره إلى البصرة حيث كان ابن زياد هناك،

---

(١) سورة الروم، الآية/٦٠.

(٢) سير الإمام لابن سلار، الذهبي، ٣/٢٠٠ ـ مثير الأحزان، لابن نما، ص١٣.

(٣) هامش كتاب الغارات، للمرحوم السيد عبد الله الحسيني، ص٢٦٦.

وبقي ابن زياد عنده ثلاثة أشهر ثم أرسل معه مائة رجل حتى أوصلوه إلى الشام وذلك بعد موت يزيد ...

وهذا الرجل كصاحبيه السابقين أخفى كتاب الحسين عليه السلام ولم يجبه ويحتمل فيه ما احتمل صاحبيه السابقين.

٥ ـ تضيف بعض المصادر اسماً خامساً وهو: عمرو بن عبيد الله بن معمر، وهو ممن كتم كتاب الحسين عليه السلام ولم يردّ عليه[١].

٦ ـ وأما التصرف الأكثر لؤماً وخيانة من أولئك الرؤساء الذين راسلهم الإمام الحسين عليه السلام فكان للمنذر بن الجارود العبدي وهو ممن ولاّه علي عليه السلام بعض النواحي فخان المسلمين واتخذ مالاً كثيراً منهم، وقد ورد ذمّه في نهج البلاغة (الكتاب ٧١)[٢].

وكان علي عليه السلام قد حبسه، ثم شفع فيه صعصعة بن صوحان العبدي حتى خلّصه[٣] وكانت ابنته (هند) وقيل (بحرّية) زوجة لعبيد الله بن زياد.

فلما وصله كتاب الحسين عليه السلام، أخذ الرسول (سليمان بن رزين) وسلّمه إلى ابن زياد الذي أمر بصلبه بالبصرة في عشية الليلة التي تركها فيها واتجه إلى الكوفة لقمع حركة مسلم بن عقيل (رض) فيها.

ولما ليم على ذلك وعنّف اعتذر بأنه كان يخاف أن يكون دسيسة (جاسوساً) من ابن زياد عليه[٤].

إن رسول الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة (سليمان بن رزين أو ابن أبي

---

(١) واقعة الطف، لأبي مخنف، تحقيق الشيخ هادي اليوسفي، ص١٠٦.

(٢) راجع الطبري، ٥/٥٢٠ ـ واقعة الطف، ابن مخنف، ص١٠٦.

(٣) البحار، ٣٤/٣٣٣.

(٤) تاريخ الطبري، ٥/٣٥٨ ـ اللهوف ص٣٢.

رزين) يعتبر أول شهيد من شهداء نهضة الحسين عليه السلام، إذ استشهد قبل استشهاد مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة (رض) كما هو واضح.

وأن تسليم المنذر بن الجارود العبدي لرسول الحسين عليه السلام إلى ابن زياد، يعكس لؤماً وخيانة من جهة، كما يعكس جانباً من حالة الخوف والذعر التي كان قد أشاعها ابن زياد والأمويون معه في الأمة حتى يخاف المنذر بطش صهره...

٧ ـ بينما كانت أفضل ردة فعل في البصرة. وأحسن استجابة لكتاب الحسين عليه السلام إلى أهلها، هو موقف يزيد بن مسعود النهشلي رحمه الله، وكان من شيعة علي عليه السلام وكانت أخته ليلى بنت مسعود النهشلية زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام ولدت له بكر بن علي وقد استشهد يوم عاشوراء مع أخيه الحسين عليه السلام[1].

فلما وصل إليه كتاب الحسين عليه السلام قام يزيد بن مسعود بدعوة بني تميم وبني حنظلة وبني سعد في مؤتمر واحد، فلما حضروا خطبهم فقال:

«يا بني تميم، كيف ترون موضعي فيكم، وحسبي منكم؟

فقالوا: بخ بخ، أنت والله فِقرةُ الظهر، ورأسُ الفخر، حللْت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فُرُطاً.

قال: فإني قد جمعتكم لأمر، أريدُ أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه..

فقالوا: « إنَا ـ والله ـ نمخُلُ النصيحة، ونحمدُ لك الرأي، فقل حتى نسمع.

فقال: إن معاوية قد مات، فأهون به ـ والله ـ هالكاً ومفقوداً، ألا وانه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة

(١) جمهرة أنساب العرب، ص٢١٨.

عقد بها أمراً ظنّ أنه قد أحكمهُ، وهيهات الذي أراد، اجتهد ـ والله ـ ففشل، وشاور فخُذل، وقد قام من بعده يزيد شارب الخُمور ورأس الفجور، يدّعي الخلافة على المسلمين ويتأمّر عليهم، مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطأ قدميه، فأقسمث بالله قسماً مبروراً لجهادُه على الدين أفضل من جهاد المشركين.

وهذا الحسين بن علي، وابنُ رسول الله ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضلٌ لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر، لسابقته وسنّه وقِدمه وقرابته، يعطف على الصغير ويُحسن إلى الكبير، فأكرم به راعي رعيّة، وإمام قوم، وجبت لله عليه الحجة، وبُلّغت به الموعظة، فلا تعشُوا عن نور الحق، ولا تسكّعوا في وَهدَةِ الباطل، وقد كان صخرُ بن قيس (أحد رؤسائهم) انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته، فوالله، لا يقصّر أحدٌ عن نصرته، إلا أورثه الله الذُلّ في ولده، والقلّةَ في عشيرته..

وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وادّرعتُ لها بدرعها، مَنْ لمَ يُقتل يمتُ، ومن يهرب لم يفُتْ فأحسنوا ـ رحمكم الله ـ ردَ الجواب.

فتكلمت بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد نحنُ نبلُ كِنانتَك وفُرسانُ عشيرتك، إن رميت بنا أصبتَ، وإن غزوت بنا فتحتَ، لا تخوضُ ـ والله ـ غَمرةً إلاّ خضناها، ولا تلقى ـ والله ـ شدّة إلا لقيناها، ننصُرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت.

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد، إن أبغض الأشياء إلينا خلافُك، والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال (يوم الجمل) فحمدنا أمرنا، وبقي عزنا فينا، فامهلنا نراجعُ المشورة، ونأتيك برأينا.

فقال ابن مسعود: والله، يا بني سعد، لئن فعلتموها لا رفع اللهُ السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم..

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً مع الحجّاج بن بدر السهمي، وكان ـ هذا الآخر ـ قد تهيأ للمسير إلى الحسين عليه السلام جاء فيه:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد وصل إليّ كتابُك، وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نُصرتك، وإن الله لم يُخلِ الأرض ـ قط ـ من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل نجاة، وانتم حُجَّة الله على خلقهِ، ووديعتُه في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلُها، وأنتم فرعُها، فأقدم سُعدت بأسعد طائر، فقد ذلّت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشّد تتابُعاً في طاعتك، من الإبل الظِماء لورود الماء يوم خَمسها[1]، وقد ذلّت رقاب بني سعد، وغسلتُ دَرن صدورها، بماء سحابة مُزنٍ حين استهل برقُها فلمع**».

وجدّ الحجاج بن بدر السهمي، حتى وصل إلى الحسين عليه السلام وهو في ساحة كربلاء، وبأمس الحاجة إلى من ينصرُه ويذبّ عن حريمه[2].

فلمّا قرأ الحسين الكتاب قال عليه السلام:

«**ما لكَ، آمنك اللهُ يوم الخوف، وأعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر**»[3].

ولما تجهز يزيد بن مسعود النهشلي لنصرة الحسين عليه السلام وتهيأ للمسير إليه، بلغه قتله عليه السلام فاشتدّ جزعُه، وكثر أسفُهُ لفوات السعادة بفوت الشهادة بين يديه عليه السلام[4].

---

(١) الخَمس: معناه: إن العرب كان من عادتها أن تمنع الجمال عن الماء أربعة أيام ثم تسقيها في اليوم الخامس، قال الشاعر في قصيدة في رثاء العباس عليه السلام:

وأرى الخوامس في الهواجر كلّما ... حنّتْ لِوِردٍ فهي دون حنيني

(٢) مقتل الحسين، السيد محمد تقي بحر العلوم، ص١٤٩.

(٣) اللهوف، ص١٨ ـ مثير الأحزان، ص١٣.

(٤) اللهوف، ص١٨ ـ مثير الأحزان، ص١٣.

وأما رسوله الحجاج السهمي فقد فاز بنصرة الحسين عليه السلام والشهادة بين يديه...

(وهنا يمكن للخطيب أن يعرّج على حال الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وقلة أنصاره واستغاثته واستنصاره وهو وحيد فريد ـ والشعر المناسب لهذا الموقف).

إن يزيد بن مسعود النهشلي على رغم صدقه وحسن استجابته لدعوة الحسين عليه السلام إلاّ أنه لم يوفق للحوق بركبه والفوز بالشهادة معه، وقد يكون العامل الزمني هو السبب، حيث تأخر بعض الشيء أو أنه لم يحسب أن المسألة ستحسم بهذه السرعة.

وقد فاز خمسة من أهل البصرة بنصرة الحسين عليه السلام، والفوز بالشهادة معه، حيث كان يجتمع بعض شيعة البصرة في دار امرأة من الشيعة من عبد القيس واسمها مارية بنت سعد أو منقذ، وكان منزلها مألفاً للشيعة يتحدثون فيه، فلما بلغهم وصول كتاب الحسين عليه السلام إلى البصرة ورؤسائها، قام يزيد بن نبيط العبدي (أو ثبيت) وكان له عشرة من البنين، فقال لهم: أيكم يخرج معي، فانتدب معه ابنان له، وهما عبد الله وعبيد الله، فقال لأصحابه في بيت هذه المرأة: إني قد أزمعت على الخروج وأنا خارج. فقالوا له: إنّا نخاف عليك أصحاب ابن زياد. فقال: إني والله لو قد استوت أخفافها بالجدد، لهان عليّ طلبُ من يطلبني[1].

ثم استوى على جواده مع ولديه، وصحبه مولاه عامر وسيف بن مالك والأدهم بن أميّة وساروا حتى لحقوا بركب الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من مكة، وحط رحله مع رحال الحسين عليه السلام، ثم خرج إلى رحل الحسين عليه السلام ليسلّم عليه، فقيل له أن الحسين عليه السلام قد خرج إلى منزلك، فرجع إلى منزله

(١) ـ تاريخ الطبري، ١٩٨/٦، والمعنى أنه إذا ركب فرسه ولامست قوائمها الأرض وأسرعت في مشيها لما تمكّن أحدٌ منه.

فوجد الحسين عليه السلام جالساً ينتظره، فلما رآه تلا قوله تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[1]، ثم سلّم على الحسين عليه السلام، وأخبره بما جاء من أجله فدعا عليه السلام له بخير، وبقي هؤلاء الخمسة مع الحسين عليه السلام حتى وصلوا معه إلى كربلاء، ثم كان ولداه من شهداء الحملة الأولى يوم عاشوراء من أنصار الحسين عليه السلام.

التخلص:

(وهنا يمكن إنهاء المجلس ـ أخي الخطيب أيدك الله ـ إما بالتعريج على شهداء كربلاء ومواقفهم يوم عاشوراء، أو بخصوص مجيء عامر بن يزيد بن نبيط وابنته (غروة) إلى كربلاء وكيف رثت أباها وأخويها بأبيات مناسبة جداً لهذا الموقف والتي منها[2]:

يا غـــرو قـــومي فـاندبي　　　خـيـر البـريّة في القـبـور

قـــتلوا الحـــرام من الأئمـــة　　　في الحـــرام من الشـــهـــور

الموضوع الثالث المقترح في الليلة الثالثة من المحرَم

أهم الأحداث منذ نزول الحسين عليه السلام بمكة حتى خروجه منها:

لقد وصل الإمام عليه السلام إلى مكة في الثالث من شهر شعبان ٦٠ هـ، وبقي فيها مائة وخمس وعشرين يوماً حيث غادرها إلى العراق يوم التروية من ذي الحجة من نفس السنة، نزلها وهو يتلو:

﴿**فلمّا توجه تلقاء مدين...**﴾[3].

---

(١) سورة يونس، الآية/٧٥.

(٢) راجع إبصار العين في أنصار الحسين، للعلامة السماوي، ص١٩٠ ـ ووسيلة الدارين في أنصار الحسين، للعلامة الزنجاني، ص٢١٢.

(٣) سورة القصص، الآية/٢٢.

إن وصول الحسين عليه السلام ومعه أهله ومواليه وقليل من أصحابه، إلى مكة، أحدث تطوّراً كبيراً وشكّل حدثاً شديد البروز والأهمية آنذاك، جعل أهل مكة يتوافدون على محل إقامته حيث نزل عليه السلام في منزل للعباس بن عبد المطلب، لأنه المنزل الوحيد المتبقي لآل هاشم بمكة.

«**فأقبل أهلها يختلفون إليه، ويأتونه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق**»[١].

ويذكر ابن كثير في تاريخه: «**وعكف الناس بمكّة يغدون إليه، ويجلسون حوله، ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون ما يريدون عنه**»[٢].

وينقل ابن الصبّاغ المالكي: «**فأقبل الحسين حتى دخل مكة المشرّفة ونزل بها، وأهلها يختلفون إليه ويأتونه، وكذلك من بها من المجاورين والحجّاج والمعتمرين من سائر أهل الآفاق**»[٣].

أما ابن أكثم فقد أضاف أن «**أهل مكة فرحوا به عليه السلام فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه بكرة وعشياً**»[٤].

هذا الاحتفاء والاهتمام بقدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة، قابله قلق وخوف من جهتين:

الجهة الأولى: هي السلطة الأموية حيث جاء والي مكة عمرو بن سعيد الأشدق مذعوراً إلى مقر إقامة الإمام عليه السلام فبادره سائلاً: «ما أقدمك؟»، فأجابه الإمام عليه السلام:

«**عائذاً بالله، وبهذا البيت**»[٥].

---

(١) تاريخ الطبري، ١٩٦/٦.
(٢) تاريخ ابن كثير، ١٥٣/٨.
(٣) الفصول المهمة، ابن الصبّاغ، ص١٨٣.
(٤) فتوح ابن اكثم، ٢٦/٥ ـ إعلام الورى، ص٢٢٣.
(٥) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ص٢٣٧.

وعمرو بن سعيد الأشدق هذا صار هو والي الحجاز أي أن يزيد ضمّ إليه ولاية المدينة مع ولاية مكة، وذلك بعد أن كتب مروان بن الحكم إلى يزيد يخبره بما فعله والي المدينة الوليد بن عتبة مع الحسين عليه السلام وكيف عامله بإجلال واحترام وعدم تضييق، حتى خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة، فجاء جواب يزيد سريعاً بعزل الوليد عن ولاية المدينة وضمها إلى إدارة عمرو بن سعيد الأشدق والي مكة آنذاك.

ثم أن الرسائل راحت تروح وتغدو بين مكة، حيث مقر إقامة الحسين عليه السلام، وبين دمشق، حيث مركز الحكومة من الأموية وعاصمة يزيد.

أما الجهة الثانية: التي أبدت تخوفّها وتضايقها من وجود الحسين عليه السلام بمكة، فكان عبدالله بن الزبير، السياسي المراوغ المتربّص للفرص حتى ينقضّ على السلطة ويشبع نهمه الذاتي ورغبته الشخصية الضيقة.

صحيح أن ابن الزبير كان يأتي الحسين عليه السلام ويزوره مع من كان يأتيه من أهل مكة ومن كان فيها من المعتمرين والزائرين والحجاج.

ولكن ابن الزبير يعلم أنه لا مكان له مع وجود الحسين عليه السلام بمكة، وهذه مسألة يعرفها الحسين عليه السلام وبنو هاشم بل وأهل مكة بأجمعهم.

فلما علم ابن الزبير أن الحسين عليه السلام قرر السفر من مكة إلى الكوفة جاءه وقال له: «**أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها**»، ثم خشي أن يتهمه فقال: «**أما أنك لو أقمت بالحجاز، ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك إن شاء الله**».

ولما خرج من عند الإمام عليه السلام قال: «**إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا، أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء، وان الناس لن يعدلوه بي، فودّ أني خرجت منها لتخلو له**».

وفي يوم التروية ـ وهو اليوم الذي قرر فيه الحسين عليه السلام مغادرة مكة، التقى

ابن الزبير به بين الحجر والباب، فبادر ابن الزبير قائلاً: إن شئت أقمت، فوليّت هذا الأمر آزرناك وساعدناك ونصحناك وبايعناك، فقال له الحسين عليه السلام:

«إن أبي حدّثني أن بها كبشاً تستحلّ به حرمتها، فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش».

فقال ابن الزبير: **«فأقم إن شئت، وتوليني أنا الأمر فتُطاع، ولا تُعصى».**

فقال عليه السلام:

«وما أريد هذا، ثم أنهما أخفيا كلامهما»[1].

فابن الزبير لم يصبر حتى طرح نفسه بديلاً عن الحسين عليه السلام في معارضة الأمويين، وكشف عن مكنون نفسه ورغبته المحبوسة في الخلافة.

ثم أن الحسين عليه السلام **«طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وقصّ من شعره، وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة»**[2].

ولما أصر عليه السلام على الخروج من مكة، دار بينه وبين ابن عباس كلام سنأتي على ذكره بعد قليل ـ إن شاء الله ـ فلما آيس ابن عباس من صرف الحسين عليه السلام عن عزمه من مغادرة مكة إلى العراق، قال للحسين عليه السلام:

«لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وتخليتك إياه، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أني إن أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس ما أطعتني، لفعلت ذلك».

ثم خرج ابن عباس من عند وهو يقول، واحسيناه فمر بعبد الله بن الزبير، فقال له ابن عباس: قرّت عينُك يا ابن الزبير، ثم أنشد:

---

(١) الطبري، ٣١٦/٦ ـ ٣١٧، أنساب الأشراف، للبلاذري ص١٦٤.

(٢) الإرشاد، للشيخ المفيد، ص٢٠١ ـ تاريخ ابن كثير، ١٦٦/٨.

يا لك من قبّرة بمعمر خلا لك الجوُ فصيحي واصفري
ونقّري ما شئت أن تنقّري

هذا الحسين يخرج إلى العراق، ويخلّيك والحجاز»[١].

إذن كان عبدالله بن الزبير متضايقاً من وجود الحسين عليه السلام بمكة لأنه لا مكان له مع الحسين عليه السلام.

وأما الأمويون فقد كانوا مذعورين لحركة الحسين عليه السلام ولالتفاف الناس حوله بمكة، ثم بداية تحركّه عبر رسائله إلى وجهاء أهل البصرة، وتواتر الأخبار عن وصول كتب أهل الكوفة ورسلهم إلى مكة ولقائهم بالإمام عليه السلام.

وقد قام الأمويون بعدة خطوات هي:

١ ـ عزل والي المدينة ـ كما سبق ذكره ـ وضمها إلى ولاية عمرو بن سعيد الأشدق والي مكة، وهذا الأشدق كان قد بادر يزيد بكتاب أرسله إليه لما وصل الحسين عليه السلام إلى مكة واستقرّ بها والتفّ الناس حوله، حذّره فيه من استقرار الحسين عليه السلام بمكة واجتماع الناس عليه وما في ذلك من خطر على خلافته، أرسل له هذا الكتاب وبعد ذلك الحوار الذي جرى بينه وبين الحسين عليه السلام وقد ذكرناه آنفاً أول هذا المجلس.

فرق كبير بين هذا الوالي الجديد المتعطش للدم وذلك الوالي ـ الوليد ـ الذي كان محترماً للحسين عليه السلام وحافظاً لحرمته، وقد بقي الوليد على موقفه حتى بعد أن عزله يزيد عن ولايته مكة، ثم سمع أن الحسين عليه السلام قد تركها متوجهاً إلى العراق، فبادر وأرسل كتاباً إلى عبيد الله بن زياد الوالي الجديد للكوفة بعد أن كان والياً على البصرة قبلها، جاء فيه: «**أما بعد، فإن الحسين قد توجّه إلى العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة بنت**

(١) تاريخ الطبري، ٣٨٤/٥ ـ تاريخ ابن الأثير ٢٧٦/٣ ـ مروج الذهب للمسعودي، ٦٥/٣ وغيرهما ـ والرجز للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد.

رسول الله ﷺ، فاحذر يا ابن زياد أن تأتي إليه بسوء، فتهيج على نفسك وقومك أمراً في هذه حديثاً، لا يصدَه شيئ، ولا تنساه الخاصة والعامَة، أبداً ما دامت الدنيا»[١].

وطبيعي أن ابن زياد لم يلتفت إلى هذا الكتاب ولم يترتب عليه أثراً.

٢ ـ توجّه الوالي الجدي إلى المدينة المنوّرة وتهديد أهلها، وكان قد قدم إليها في شهر رمضان، فصلّى بالناس صلاة العشاء، وخرج في الصباح على الناس وعليه قميص أحمر وعمامة حمراء، فرماه الناس بأبصارهم مستنكرين ما هو عليه، فصعد المنبر وخطبهم قائلاً: «**يا أهل المدينة، ما لكم ترمونني بأبصاركم كأنكم تقرونني سيوفكم؟ أنسيتم ما فعلتم؟ أما لو انتقم في الأولى ما عدتم إلى الثانية، أغركم أن قتلتم عثمان فوجدتموه صابراً حليماً، وإماماً، فذهب غضبه وذهبت ذاته، فاغتنمتم أنفسكم، فقد وليكم إمام بالشباب المقتبل البعيد الأمل، وقد اعتدل جسمه، واشتد عظمه، ورمى الدهر ببصره، واستقبله بأسره، فهو إن عضَ لهس، وإن وطىء فرس، لا يقلقه الحصى، ولا تفزغ له العصا**».

ثم ذكر ابن الزبير وقال: «**والله لنغزونَه، ثم لئن دخل الكعبة لنخرقنها عليه، على رغم أنف من رغم**»[٢].

وإذا به يرعف وخرج الدم من أنفه، وهو على المنبر، فألقى إليه رجل عمامة فمسح بها دمه، فقال آخر من خثعم: «ودمٌ على المنبر في عمامة. فتنة عمّت وعلا ذكرها، ورب الكعبة»[٣].

٣ ـ مراسلة يزيد لعبد الله بن العباس..

لم يكتف يزيد بعزل الوليد وتنصيب ووالٍ متعطش للدماء على الحجاز

---

(١) البحار، ٣٦٨/٤٤ ـ فتوح ابن أكثم، ١٢١/٥.
(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ٢٦٨/٢.
(٣) سمط النجوم العوالي، د ٥٧/٣.

من جهة وهو الأشدق، ومن ثمّ والٍ آخر أجرأ منه على الدم الحرام على الكوفة وهو ابن زياد، لم يكتف بذلك بل راح يحاول الضغط على الحسين عليه السلام من خلال رؤساء البيت الهاشمي مثل عبد الله بن العباس حيث وصله كتاب من يزيد يقول فيه: «**أما بعد، فإن ابن عمك حسيناً، وعدو الله ابن الزبير، التويا ببيعتي ولحقا بمكة، مرصدين للفتنة، معرضين أنفسهما للهلكة، فأما ابن الزبير فإنه صريعُ القنا، وقتيل السيف غداً، وأما الحسين فقد أحببت الأعذار إليكم أهل البيت مما كان منه، وقد بلغني أن رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم، ويمنّونه الخلافة، ويمنّيهم الإمرة، وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسينُ وبتّه، وأنت زعيم أهل بيتك، وسيد بلادك، فألقه فارددُه عن السعي في الفتنة، فإن قبل منك وأناب، فله عندي الأمان، والكرامة الواسعة، وأجري عليه ما كان أبي يجريه على أخيه، وإن طلب الزيادة فاضمن له ما أؤديك، وأنقد ضمانك، وأقوم له بذلك وله عليَّ الأيمان المغلّظة، والمواثيق المؤكّدة، بما تطمئن به نفسه، ويعتمد في كل الأمور عليه، عجّل بجواب كتابي، وبكلّ حاجة لك قِبلي والسلام**... وختم كتابه بهذه الأبيات ومنها:

يا أيها الراكبُ العادي مطيته ... على غذاقرةٍ في سيرها فحمِ
أبلغ قريشاً على نأي المزار بها ... بيني وبين الحسين الله والرحمِ

... إلخ»

فكان جواب ابن عباس: «**أما بعد، فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة، فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنّا برأيه وهواه، يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرها في صدره، يوري علينا وري الزناد، لا فك الله أسيرها....**

وأما الحسين، فإنه لمّا نزل مكة وترك حرم جدّه، ومنازل آبائه، سألته عن مقدمه فأخبرني أن عمالك بالمدينة أساؤوا إليه، وعجلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل على حرم الله مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة، ويطفىء به النائرة، ويخمد به الفتنة، ويحقن به دماء الأمة، فاتق الله في السر والعلانية، ولا تبيتن ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصدهُ بمظلمة، ولا تحفر له مهراة (حفرة) فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمّل أملاً لم يؤت أمله وخذ بحظك من تلاوة القرآن، ونشر السنّة، وعليك بالصيام والقيام، لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإن كلّ ما اشتغلت به عن الله يضرّ ويفنى وكل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى، والسلام»[1].

٤ ـ محاولة عرقلة تحرك الحسين عليه السلام من مكة...

لما خرج الحسين عليه السلام من مكة يوم التروية مع أهله وأنصاره، بعث الوالي عمرو بن سعيد الأشدق، أخاه يحيى بن سعيد ومعه الشرطة لمحاولة منع الحسين عليه السلام من الخروج منها، وتضاربوا بالسياط ولم يقدروا على منع الحسين عليه السلام وركبه، وامتنع الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم امتناعاً قوياً، فقالوا له: يا حسين، ألا تتقي الله، تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمة...

فقال عليه السلام:

«لي عملي ولكم عملكم، أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) ومضى في طريقه متوجهاً نحو العراق»[2].

ثم إن الحسين عليه السلام لما أعلن عزمه على الخروج من مكة، أشفق عليه أحباؤه

(١) تذكرة الخواص، ص٢٤٨ـ٢٥٠ ـ تاريخ ابن عساكر، ٧٠/١٣.

(٢) الطبري، ٣٨٥/٥ ـ ابن الأثير، ٢٧٦/٣ ـ ابن كثير، ١٦٦/٨.

من بني هاشم وغيرهم، وجهدوا محاولين ثنيه عن مقصده، وإن هؤلاء كانوا يخافون على الحسين عليه السلام أن يقتل جسداً، وكان هو عليه السلام يخاف على دين جده وشريعة أمته...

ولما وصل آخر كتاب من الحسين عليه السلام إلى من بقي من بني هاشم بالمدينة، وهو من أقصر الكتب وأشدها ضغطاً للكلمات وبُعداً في المعاني:

«من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح والسلام»[1].

فقد التحق محمد بن الحنفية وأسرع إلى مكة، وكذلك جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومعه ولداه عون ومحمد، وقد وجد الحسين عليه السلام خارجاً من مكة، فأرسل إليه ولديه ومعهما كتاب منه إلى الحسين عليه السلام يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من عبد الله بن جعفر، أما بعد: فإني أنشدك الله أن تخرج من مكة، وأسألك الله لما انصرفت عن هذه الوجهة حيث تنظر كتابي هذا، فإني أخاف عليك من هذا الأمر، الذي أزمعت عليه، أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، فإنّي آخذ لك الأمان من يزيد، ومن جميع بني أميّة، لنفسك ولمالك ولأولادك وأهلك، وإني على أثر الكتاب، والسلام».

فأجابه الحسين عليه السلام بكتاب جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنّ كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمت ما فيه، إعلم أني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، فأخبرني بأمر أنا ماضٍ له كان لي الأمر أو عليَّ، فوالله - يا ابن عمّ - لو كنت في ثقب هامة من هوامّ الأرض لأستخرجوني منها حتى يقتلوني، والله ليعتدنَّ عليّ، كما اعتدت اليهود في يوم السبت والسلام»[2].

---

(١) كاملة الزيارات، ص٧٥.

(٢) مقتل الخوارزمي، ٢١٨/١ - تاريخ الطبري، ٣٨٨/٥ - إرشاد المفيد.

ثم إن عبدالله بن جعفر صار إلى أمير مكة عمرو بن سعيد الأشدق، فسأله أن يكتب أماناً للحسين عليه السلام وأهل بيته.

إن إشفاق أهل بيت الحسين عليه السلام وأهله عليه، لم يكن ليصدّ الحسين عليه السلام عن حركته التاريخية وأما الأمان فإن الأمويين كانوا يسرعون إلى أي محاولة من شأنها أن تبقي الحسين عليه السلام في مكة ولا يخرج منها، لأنهم يستطيعون القضاء عليه وعلى حركته وإخمادها في مكانها، أما إذا خرج الحسين عليه السلام واتصل بالأمة واتسعت دائرة حركته، فإن الوعي سوف يتسع والرفض لسياسة الأمويين سوف يتعمق...

ولهذا نجدهم يبادرون لكتب أمان للحسين عليه السلام فهم من جهة يمنّون بذلك على أرحام الحسين عليه السلام، ومن جهة يقولون أننا بذلنا جهدنا لئلا يخرج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق، ومن جهة ثالثة هي محاولة تبذل من أجل قمع حركة الحسين عليه السلام وتحجيمها.

كيف لا وقد وجدنا يزيد نفسه يبعث بأمان من عنده دون أن يطلب منه أحد ذلك، في كتابه الذي أرسله إلى عبدالله بن عباس، لما بلغه نبأ وصول الحسين عليه السلام إلى مكة ونيته الخروج منها إلى الكوفة (راجع ذلك في بداية المجلس).

على كل حال، فإن والي المدينة، الذي حاول عبر أخيه يحيى وشرطته منع الحسين عليه السلام عن الخروج حتى تضارب الفريقان بالسياط، كتب أماناً من عنده وبعثه مع أخيه يحيى نفسه وجاء معه عبد الله بن جعفر كمحاولة أخيرة لإرجاع الحسين عليه السلام إلى مكة بعدما خرج منها، وقد جاء في هذا الأمان: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أمّا بعد: فإني أسأل الله أن يصرفك مما يوبقك وأن يهديك لما يُرشدك، بلغني أنك توجهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد**

بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل عليّ معهما، فإن لك عندنا الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك الله عليّ بذلك بشهيد وكفيل ومُراع ووكيل السلام عليكم».

فلحقه عبدالله ويحيى مسرعين وسلماه الكتاب، وجهدوا به في الرجوع، فأبى الحسين عليه السلام عليهما، وقال:

«إني رأيت رسول الله ﷺ وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له».

فسأله عبدالله عن الرؤيا، فقال عليه السلام:

«ما حدّثتُ بها أحداً، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربي».

فلما أيس عبدالله منه أمر بنيه عوناً ومحمداً، بالمسير معه والجهاد بين يديه، ورجع هو ويحيى إلى مكة.

وكتب كتاباً في ذلك إلى عمرو بن سعيد: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله، من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلة، فخيرُ الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة، من لم يخفه في الدنيا، فنسأله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبرّي، فجُزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام**»[1].

نعم إن الحسين عليه السلام كان مصراً على الخروج من مكة وتوسعة دائرة نهضته، وإيصال صرحته إلى أكبر مساحة ممكنة، لمواجهة الردة الجاهلية الأموية، ولا شك أن عواطف أهله وخوفهم عليه وإشفاقهم كان يشكّل ضغطاً نفسياً وعاطفياً عليه عليه السلام[2].

---

(١) تاريخ الطبري، ٣٨٨/٥ ـ ابن الأثير، ٢٧٦/٣ ـ ابن كثير، ١٦٣/٨ ـ ومصادر أخرى.

(٢) يمكن للخطيب أن ينهي المجلس هنا، بأن يقول أن ابن جعفر كان ينتظر خبراً عن ابن عمه وابنيه حتى وصول نبأ الفاجعة، حيث أقام مأتماً على الحسين حضره أهل المدينة (راجع كتب السيّر).

وهكذا رجع عبدالله بن جعفر وترك ولديه مع الحسين عليه السلام حتى استشهدا يوم عاشوراء وقال قبل ذلك لأخيه محمد بن الحنفية:

«شاء الله أن يراني قتيلاً وشاء الله أن يراهن سبايا».

أما عبدالله بن عباس الذي بذل جهوداً استثنائية في محاولته منع الحسين عليه السلام من الخروج إلى العراق، حيث اقترح ابن عباس بدائل أخرى عن العراق، وكل ذلك لم يفلح في تغيير إرادة سيد الشهداء عليه السلام.

فكانت آخر محاولات ابن عباس دخوله على الحسين عليه السلام وخطابه له: «يا ابن عمّ، إني أتصبّر ولا أصبر، أقمّ في هذا البلد، فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك ـ كما زعموا ـ فاكتب إليهم، فلينفوا عاملهم وعدوّهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج، فسر إلى اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، لأبيك بها شيعة فتكتب إلى الناس، وتبث دعاتك، فإني لأرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية.

فقال له الحسين عليه السلام:

«يا ابن عمَ، إني لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعتُ وأجمعتُ على المسير، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم، فقد وجبتْ عليَ إجابتهم، وقام لهم العذر عند الله سبحانه.

يا ابن عم، ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله عن وطنه وداره وقراره، وتركوه خائفاً مرعوبا، لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى بوار، يريدون بذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتخذَ دونه وليّاً ولم يرتكب منكراً ولا إثماً؟».

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله، ثم قال: جُعلت فداك يا حسين، إن كان ولا بدّ من المسير إلى الكوفة، فلا تسرّ بأهلك ونسائك، وصبيتك، فوالله إني لخائف، ان تُقتل وهم ينظرون إليك...

(يمكن إنهاء المجلس هنا كذلك.. بأن تقول: وهكذا أيس ابن عباس من منع الحسين عليه السلام، حتى خرج من مكة ووصل إلى كربلاء ولما جاء يوم عاشوراء وبدأت الضحايا والشهداء تسقط فيه، وقف الحسين عليه السلام وهو يقول: لله در ابن عباس كأنه ينظر من حجاب رقيق. قالها الحسين عليه السلام وهو ينظر يميناً وشمالاً ليس له من ناصر ولا معين. وإيراد الشعر المناسب لهذه المصيبة).

فقال الحسين:

«يا ابن عم أني رأيت رسول الله (ص) في منامي وقد أمرني وأنا لا أقدر على خلافه، وأنه أمرني بأخذهنّ معي، يا ابن العم إنهن والله ودائع رسول الله ﷺ لا آمن عليهن أحداً، وهن لا يفارقنني».

فسمع ابن عباس بكاءاً من ورائه، وقائلة تقول:

«يا ابن عباس، تشير على شيخنا وسيّدنا أن يخلّفنا ها هنا ويمضي وحده، لا والله، بل نحيا معه، ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟».

فبكى ابن عباس بكاءاً شديداً وقال: يعزّ عليّ والله فراقك يا ابن العم...

ثم خرج ابن عباس وهو يقول: «**واحسيناه**»[1].

التخلص:

(وننهي المجلس هنا أما بالحالة التي نصوّر فيها علاقة زينب عليها السلام بأخيها الحسين عليه السلام التي لم تفارقه، فكيف حالها يوم عاشوراء أو ليلة الحادية عشرة أو لما رجعت إلى المدينة ودار الحسين عليه السلام خالية... والشعر المناسب لكل مصيبة مما ذكرنا).

(١) اللهوف، ص١٤ ـ الطبري، ٣٨٤/٥ ـ ابن الأثير، ٢٧٦/٣.

أو نقول لقد بكى ابن عباس والحسين عليه السلام أمامه وعنده اخوته وبنوه وبنو عمومته وهو ينزل في حرم الله الآمن ـ إذن ما تقول يا ابن عباس لو نظرت إلى ابن عمك الحسين عليه السلام في عاشوراء وحيداً فريداً، أو أي مصيبة مناسبة أخرى.

أو نقول: بكى ابن عباس لما سمع صوت زينب عليها السلام لا تريد مفارقة أخيها وعندها أخوتها وأبناؤها ومعها عشيرتها، فما تراه يفعل ابن عباس لو رآها يوم عاشوراء تقوم من مصرع إلى مصرع... والشعر المناسب.

أو رآها ليلة الحادي عشر بين الضحايا والنساء الثواكل والأطفال اليتامى مع الشعر المناسب.

أو وهي أسيرة من بلد إلى بلد... والشعر المناسب.

وصول الحسين عليه السلام وركبه إلى كربلاء

أولاً ـ قصائد الليلة الرابعة:

بعد معرفة مناسبة هذه الليلة، فمن الأفضل والمناسب جداً اختيار القصيدة التي تنتهي أبياتها بمسألة الوصول إلى كربلاء والحال التي كان عليه ركب الشهادة.

كما يمكن اختيار أي قصيدة تحكي عن المحرّم وعموم مصائبه وأحزانه.

ومن هذه القصائد ـ على سبيل المثال ـ ما يلي:

١ ـ قصيدة الحاج هاشم الكعبي رحمه الله ومطلعها[١]:

إن تكن كربلا فحيّوا رُباها واطمأنّوا بها نشَّم ثراها

٢ ـ قصيدة الشيخ عبد الحسين الأعسم رحمه الله والتي مطلعها[٢]:

ذِكرُ الطفوف ويوم عاشوراء منعا جفوني لذة الإغفاء

٣ ـ قصيدة للسيد حيدر الحلي رحمه الله وفيها[٣]:

يا تربة الطفّ المقدَّسة التي هالوا على ابن محمد بوغاءَها

ثم بعد اختيار الخطيب للقصيدة المناسبة وهذه الليلة، فله أن يأتي بعدها بما يناسبها من الشعر الشعبي (النعي)، والذي يتضمن منزلة كربلاء ومخاطبتها وعتابها ومساءلتها وما إلى ذلك.

---

(١) راجع الدر النضيد، ص٣١٨ ـ أدب الطف، ٦/٢٢٥. (٣) راجع الدرّ، ص١٨ ـ وديوان السيد حيدر الحلي.
(٢) راجع الدرّ، ص٥٣.

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة:

يمكن اعتماد مقاطع من خطب أو كتب الإمام الحسين عليه السلام المناسبة لهذه الليلة ومضمونها، ممّا يضفي على المجلس قوة وتنسيقاً، ومن هذه العناوين:

«ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً».

«ألا وأني زاحف بهذه الأسرة، على قلّة العدد وكثرة العدوّ وخذلان الناصر».

«اللهم إنا عترةُ نبيّك محمد صلى الله عليه وآله، وقد أُخرجنا وطردنا وأُزعجنا، عن حرم جدّنا وتعدّت بنو أمية علينا اللهم فخذ بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين».

هذه نماذج من كلمات الحسين عليه السلام ويمكن الاستفادة من عناوين الليلة السابقة إذا لم تستخدم هناك، ويمكن إضافة عناوين أخرى مناسبة.

ثالثاً ـ البحث:

لا بد من متابعة المراحل والمنازل التي قطعها ركب الحسين عليه السلام من مكة حتى وصوله إلى كربلاء، والتوقّف عند أبرز المواقف والأحداث التي برزت فيها، وينبغي إلفات نظر الأخوة الخطباء ـ أيدهم الله تعالى ـ إلى أن هذه السيرة فيها مجالات غنيّة للحديث، وأن أغلب روّاد المجالس الحسينية، لا يمتلكون حولها الكثير من المعلومات، بسبب عزوف خطباء المنبر عن بيانها لهم.

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة الرابعة من محرم:

خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى كربلاء:

لقد مكث الإمام الحسين عليه السلام بمكة المكرمة ما يقارب من أربعة أشهر وخمسة أيام، وهي فترة طويلة نسبياً في عمر حركة الإمام الحسين عليه السلام، التقى من خلالها بأهل مكة وحجّاجها ومعتمريها، وراسل أهل البصرة، وجاءته كتب أهل الكوفة، ومنها أرسل سفيره وابن عمه مسلم بن عقيل إليهم. ثم أجرى الأمويون تغييرات إدارية حيث عزل والي المدينة الوليد بن عتبة الذي كان يحترم الإمام الحسين عليه السلام ويجلّه، ووضعت المدينة ومكة تحت ولاية عمرو بن سعيد الأشدق الأموي، وجاءت أوامر الشام بقتل الإمام الحسين عليه السلام وإن كان متعلقاً بأستار الكعبة.

لقد قرر الإمام الحسين عليه السلام مغادرة مكة والتوجّه نحو العراق، وأبلغ أهله وإخوته وبني عمومته هذا القرار، فبذل عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية جهوداً كبيرة وحاوروا الإمام الحسين عليه السلام كثيراً، في محاولة ثنيه عن قراره هذا.

ولو تابعنا تلك الحوارات، ولوجدنا أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعرب لهم عن عدم شعوره بالأمن على نفسه وعلى عياله، إذا بقي بمكة، فكان ردّهم على ذلك اقتراحات إما بالبقاء بمكة مع أخذ الأمان، أو التوجه إلى اليمن لأنه فيها شيعة أبيه عليه السلام أو أن يخوض في أعماق الصحراء، وأطراف المفاوزر حتى تنجلي الصورة.

وكان الإمام الحسين عليه السلام يردّ عليهم، بردّ لا يقوون على مناقشته، حيث كان قد قال لأخيه محمد بن الحنفية:

«أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين اخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً...».

وقال لعبد الله بن جعفر وقد غادر مكة فلحق به وجهد أن يرجع عن توجهه إلى العراق.

فقال له عليه السلام:

«إني رأيت رسول الله ﷺ وأمرني بأمر أنا ماضٍ له».

وقال الإمام الحسين عليه السلام لعبدالله بن العباس:

«يا ابن العم، إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه، وأنه أمرني بأخذهن معي».

إن الإمام الحسين عليه السلام، حينما واجه أحباءه والمشفقين عليه من الخروج إلى العراق، بهذا الأمر الصادر له عن جدّه رسول الله ﷺ، إنما أراد به أن ينهي ضغوطات صدرت عن أهل بيته وغيرهم، بأمر لا يمكنهم النقاش فيه، وتجد كذلك أن الإمام الحسين عليه السلام لم يوضح لهم أبعاد القضية التي خرج من أجلها، وضرورة اتخاذ الموقف الشرعي إزاء ذلك، وهو ما سنجده في خطاباته عليه السلام في الطريق إلى كربلاء وحواراته مع الحر بن يزيد الرياحي وغيره، لأنه إن أثار ذلك ـ وخاصة مع أمثال ابن عباس ـ فإن النقاش والجدال وإيراد الاحتمالات والتفسيرات، سيبدو بلا نهاية، ولهذا أراد الإمام الحسين عليه السلام حسم كل ذلك، حينما ذكر لهم انه إنما خرج بطلب من جدّه رسول الله ﷺ.

نعم لقد ذكر الإمام الحسين عليه السلام، سبباً منطقياً، ينطلق من الموقف الشرعي في إجابة من استغاثوا به، وألحّوا عليه في إنقاذهم من الطغاة والظالمين، حينما أورد عليه السلام سبباً وجيهاً آخر، غير مسألة الرؤيا التي رأى فيها جدّه ﷺ وأمره بأمره.

فقد قال عليه السلام لابن عباس:

«يا ابن عمّ، إني لأعلم انك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعت وأجمعت

على المسير، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم، وقد وجبت عليَ إجابتهم، وقام لهم العذر عند الله سبحانه»[١].

(أوردنا مصادر ما سبق في المجالس السابقة).

إن المشفقين على الإمام الحسين عليه السلام كانوا يسعون لئلا يُقتل عليه السلام ولهذا فقد وضعوا بين يديه اقتراحات، والمهم فيها أن لا تكون وجهته عليه السلام إلى العراق، لأن تجربتي علي والحسن عليهما السلام ما تزال ماثلتين أمام أعينهم، فيزداد احتمال قتل الحسين عليه السلام فيما لو توجه إلى هناك.

وكان الإمام الحسين عليه السلام، يقيّم الأمور غير التقييم الذي يراه الآخرون، ومنهم المشفقون عليه، فقد كان عليه السلام يبين لهم أن مسألة قتله مسألة مفروغ منها، فهو مقتول لا محالة. سواء بقي في مكة، أم توجه إلى اليمن، أو غار في الصحاري والفضاء، أو رحل بركبه إلى العراق.

إن قرار قتله عليه السلام قد صدر، ولا بدّ من أن ينفذه الأمويون، سواء في هذه الساعة أو غيرها، أو بهذا السبب أو ذاك. وهي مسألة حاول الحسين عليه السلام أن يبينها لمن كان يبدي نصحه له وحرصه عليه.

فقد قال عليه السلام لابن عباس:

«يا ابن عباس، إن القوم لن يتركوني، وانهم يطلبونني أينما كنت، حتى أبايعهم كرهاً أو يقتلوني، والله إنهم ليعتدنَ عليَ كما اعتدت اليهود في يوم السبت»[٢].

إن بني أمية لن يتركوا الإمام الحسين عليه السلام وهو بموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وبمنزلته في المسلمين جميعاً، وبمقامه الذي لا ينافسه أحدٌ به، دون أن يبايع

---

(١) الطبري، ٥/٢٨٤ ـ ابن الأثير، ٣/٢٧٦ ـ مروج الذهب، ٣/٦٥.

(٢) راجع الملهوف، ص١٢ ـ وغيره.

ليزيد، وهي المسألة المستحيلة في نظره عليه السلام، فلم يبق إلاّ احتمال واحد وهو قتله لا محالة.

وكان الحسين يعمل على أن يكون هو الذي يختار الساحة التي يقتل فيها، إن الإمام الحسين عليه السلام اختار موقفه الرافض، وسيختار ساحة الشهادة، لا أن تفرض عليه لقد سعى عليه السلام لأن تكون لشهادته أكبر الآثار وأعظم الأصداء، وأوقع الأصوات، إن من أراد ثني الحسين عليه السلام عن الخروج إلى العراق، كان يتصوّر أنه كان يهدف إلى مجرد السيطرة على مقاليد الحكم في الكوفة، ولم يَدُر في خلدهم أنه عليه السلام كان يرى في شهادته فتحاً سيتجاوز عصرهم وزمانهم.

«**من لحق بي استشهد، ومن تخلّف عني لم يبلغ الفتح**».

وكانت اقتراحات بعض الناصحين لعدم الخروج من مكة إلى العراق تنصّب على تصوّر أن الحسين عليه السلام يريد السيطرة على بلدٍ وإقامة حكم فيه، وعلى هذا التصور، فقد كانوا لا يرون وجهاً لخروجه عليه السلام إلى بلدٍ قلق، وعدّو، متمتع فيه، وأعوانه ولهم فيه صولة وجولة، ويزداد تعجب هؤلاء المثقفين ولا يقفون على مغزى خروج الحسين عليه السلام بعياله وأطفاله، إلى هذه المجازفة التي لا يشك أحدٌ بوقوعها، والتي لا يختلف عليها اثنان، وهو ما يجسّد في إجماع كل الناصحين والمشفقين على ما قالوه للحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء، بأن (**قلوب الناس معكم، وسيوفهم غداً عليكم**).

نعم فقد كانوا يتصورون أن هدف الحسين عليه السلام ينحصر في السيطرة على مقاليد الأمور في الكوفة، ولهذا فقد جاءت اقتراحاتهم ونصائحهم منسجمة مع هذا التصوّر، بعدما عجزوا عن منعه من البقاء في مكة أو التوجه إلى اليمن أو أطراف الصحاري والقفار.

فقد «جاء عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، إلى الحسين عليه السلام لمّا علم بعزمه على الخروج إلى العراق، فقال له: إني أتيتك ـ يا ابن عمّ ـ لحاجةٍ، أريد ذكرها نصيحة لك، فإن كنت ترى أنك تستنصحني قلتُها، وأديتُ ما عليّ من الحق، وإلا كففت عما أريد أن أقول؟».

فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«قل، فوالله ما أستغشّك، وما أظنّك بشيءٍ من الهوى».

قال: «قد بلغني أنك تريد العراق، وإني لمشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدنيا، والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومَن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه».

فقال له الحسين عليه السلام:

«جزاك الله خيراً ـ يا ابن عمّ ـ فقد علمتُ انك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما يُقضى من أمر يكنْ، أخذتُ برأيك أو تركتُه، فأنت عندي أحمد مشير، وأنصح ناصح»[1].

وحينما سمع ابن عباس الناس في مكة وهم يؤكدون أن الحسين عليه السلام يريد الخروج منها، دخل على الحسين عليه السلام وهو يقول له: «جُعلت فداك ـ يا ابن عمّ ـ إن الناس قد أرجفوا بأنك سائر إلى العراق، فبيّن لي، ما أنت صانع؟».

فقال له الحسين عليه السلام:

«قد أزمعت السير في أحد أيامي هذه إن شاء الله تعالى».

فقال له ابن عباس: «إني أعيذك بالله من ذلك، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوّهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسرْ إليهم، ففي

(١) الطبري، ٣٨٢/٥ ـ ابن الأثير، ٢٨٥/٣ ـ تاريخ ابن عساكر والمسعودي وغيرهما.

مسيرك لهم ـ لعمري ـ الرشاد والسداد، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم، وأميرهُم عليهم قاهر لهم، وعمّالهُ تجبي بلادهم، فإنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك ان يغرّوك ويكذبّوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك»[١].

شتان ما كان يسعى إليه الإمام الحسين عليه السلام من إعادة الحياة إلى أمّة جدّه صلى الله عليه وآله بشهادته ومن معه ـ وبين من كان ينصحه لكي لا يخرج إلى الكوفة إلاّ إذا هُيأت له وأعدت دوائرها للاستقبال والترحيب، إنهم يريدون من الآخرين أن يضحّوا وأن الحسين عليه السلام القائد يدخل حاكماً ليس إلاّ، لم يكونوا يتصورون أن الإمام الحسين عليه السلام يسعى بأهله وعياله وأطفاله إلى ساحة الشهادة وهو مدرك لهذا المصير.

وحسم الإمام الحسين عليه السلام ذلك السجال والجدال، وخرج من مكّة فجر يوم التروية أي قبل يوم عرفة بيوم، في الثامن من ذي الحجة عام ٦٠ هـ.

وأما عدد الخارجين معه، فقد اختلف في ذلك المؤرخون وأرباب السّير، فقد ذكر البستاني في دائرة المعارف وأيّده الخوارزمي في مقتله ومصادر أخرى، «**أنه عليه السلام خرج من مكة ومعه اثنان وثمانون رجلاً من أهل بيته وخاصته ومواليه**»[٢].

في حين ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق، «**إن الحسين خرج متوجّها إلى العراق في أهل بيته، وستين شيخاً من أهل الكوفة**».

وينقل الذهبي في تاريخه «**فسار من مكة، وخفّ معه من بني عبد المطلب تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان**»[٣]، فيبدو أن الرجال الذين كانوا معه من أهل بيته وأصحابه كانوا بمقدار المائة.

(٢) البستاني، دائرة المعارف ٤٨/٧ ـ مقتل الخوارزمي، ٢١٦/١ ـ ابن الأثير، ٢٧٥/٣.

(١) الطبري، ٣٨٣/٥ ـ مقتل الخوارزمي، ٢١٦/١ ـ ابن الأثير، ٢٧٥/٣.
(٢) البستاني، دائرة المعارف ٤٨/٧ ـ مقتل الخوارزمي، ٢١٦/١ ـ ابن الأثير، ٢٧٥/٣.
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٣/١.

ثم أن الحسين عليه السلام أعطى لكل رجل خرج معه عشرة دنانير، وجمالاً يحمل عليه رحله وزاده، ثم طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وتهيأ للخروج، وكان خروجه يوم الثلاثاء[١]، وكان وصوله عليه السلام إلى كربلاء بعد أربعة وعشرين يوماً في اليوم الثاني من المحرّم لعام ٦١ هـ، يوم الأربعاء أو الخميس.

ولما خرج الحسين من مكة، بعث كتاباً، هو كتاب مضغوط الكلمات قليلها، عميق الأبعاد واسعها.

«من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح والسلام»[٢].

ولم يشابه هذا الكتاب، في قلة كلماته، وعمق أبعاده إلاّ كتاب آخر، بعثه حين وصوله إلى من بقي من بني هاشم بالمدينة، ليقول عليه السلام فيه:

«أما بعد فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل، والسلام»[٣].

ومن بين هذين الكتابين قطع الحسين عليه السلام المنازل والمراحل من مكة إلى كربلاء حيث مرّ عليه السلام وركبه معه بالمنازل وهي: «**التنعيم، الصفاح، ذات عرق، الحاجر، بعض العيون، الخزيمة، زرود، الثعلبية، الشقوق، زُبالة، بطن العقبة، شراف البيضة، الرُهيمة، العُذير، قصر بني مقاتل، قرى الطف، ثم كربلاء**».

التخلص:

وينقل بعض أرباب المقاتل، أن الحسين وركبه، بينما هم يسيرون، إذ وقف جواد الحسين عليه السلام ولم يتحرك، فكأنه شبيه بناقة رسول الله صلى الله عليه وآله حين وقفت عند الحديبية أو حينما وصل المدينة، نعم عندها سأل الحسين عليه السلام عن الأرض التي وقف فيها جواده، فقال له زهير بن القين: سر راشداً، ولا تسأل

(١) مقتل الحسين، للخوارزمي، ٣١٧/١.
(٢) ابن خولويه، الكامل في الزيارات، ص٢٧٥ ـ اللهوف، لابن طاووس، ص٢٧.
(٣) ابن خولويه، أبو الفرج، الأغاني، ١٥١/٨.

عن شيء حتى يأذن الله بالفرج (وكان زهير لا يريد إخباره عليه السلام عن اسمها) ثم قال زهير: إن هذه الأرض تسمّى الطفّ، فقال عليه السلام: فهل لها اسم غيرُه؟، قال: تُعرف بكربلاء. فدمعت عيناه عليه السلام وقال:

«**اللهم أعوذ بك من الكرب والبلاء، ههنا محطّ ركابنا، ومسفك دمائنا، ومحلُّ قبورنا، بهذا حدثني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله**»[1].

(ويناسب هنا إيراد الشعر المناسب لهذه المصيبة، مثل أبيات من قصيدة الشيخ محمد بن فلاح الكاظمي ومنها:

تالله لا أنسى وإن نسي الورى ... بالطفّ وقفة مهره المتسرّع

أجواد هل قيّدتك يد الردى ... حتى وقفت به وقوف تمنّعٍ

أو مقاطع من قصيدة الشيخ عبد الحسين الأعسم ـ المتقدمة ـ إن لم يقرأها الخطيب أول مجلسه مثل الأبيات:

حتى أتى أرض الطفوف بكربلا ... أرض الكروب وأرض كلّ بلاءِ

ويلاهُ إذ وقف الجواد ولم يسرْ ... فغدا يقول لصحبه الخلصاء

يا قوم ما اسم الأرض قالوا نينوى ... قال أوضحوا عنها بغير خفاء

وغيرها.

كما يمكن إنهاء المجلس، بأن يقول الخطيب، هذا يوم نزل فيه الحسين عليه السلام وركبه في كربلاء، ولكن متى رحل ركب الحسين عليه السلام عنها، وبأي حالة...

ثم يذكر بعض مصائب يوم الحادي عشر من المحرّم..

أو يقول: هذا يوم نزلت فيه زينب عليها السلام وحولها أخوتها وأبناؤها وأبناء أخوتها وأبناء عمومتها، وأنصار أخيها... لكن لما خرجت من كربلاء من أركبها

(١) مقتل الحسين، المقرم، ص١٩٢.

ناقتها، وأين مضى عنها اخوتها لا سيما كافلها وحاميها أبو الفضل العباس عليه السلام ...

أو يربط الخطيب بين نزول ركب الحسين عليه السلام اليوم في كربلاء، ثم رجوع ركب السبايا إليه يوم الأربعين حيث هوت بنات رسول الله صلى الله عليه وآله على قبور قتلاهن وزينب أمامهن.

مع ذكر الشعر المناسب لكل مصيبة، وهناك موارد أخرى للخطباء أعزهم الله وأيدهم).

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة الرابعة من محرم:

المنازل من مكة حتى زرود:

بعد أن غادر الحسين عليه السلام المدينة في ٢٨ رجب سنة ٦٠ هـ ثم بقي في مكة من ٣ شعبان إلى ٨ ذي الحجة من السنة نفسها، قرر مغادرتها متوجهاً إلى العراق، في يوم التروية، وهو نفس يوم استشهاد ابن عمّه وسفيره إلى أهل الكوفة مسلم بن عقيل[١].

ارتبك الأمويون لخروجه عليه السلام من مكة، فلما بلغ عمرو بن سعيد الأشدق - والي الحجاز - أن حسيناً خرج، قال: «**اطلبوه، اركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه. فعجب الناس من قوله هذا، فطلبوه فلم يدركوه**»[٢].

وقد اجتاز الحسين عليه السلام وركبه ستة عشر منزلاً في طريقه من مكة إلى كربلاء، فإذا أضفناهما إلى المنازل كانت تسعة عشر منزلاً.

ووصلت أخبار خروج الحسين عليه السلام إلى عاصمة الأمويين وارتبك الأمر، وبقيت مكة والمدينة وسكانهما، والحجاج والمعتمرون وأهل العيون والأعراب

(١) الطبري، ٥/٣٨١ - الإرشاد، ص٢٢٨ - مقتل الخوارزمي، ١/٢٢٠ - تذكرة الخواص، ص٢٤٤.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/٣٧٧.

الذين مرّ بهم ركب الحسين عليه السلام، بقي كل هؤلاء بانتظار ما ستؤول إليه حركته عليه السلام.

فكتب عمرو بن سعيد وأمويون آخرون إلى يزيد يخبرونه بهذا التطوّر البالغ الأهمية، فبادر يزيد بالكتابة إلى عبيدالله بن زياد، بعدما ولاّه الكوفة مع البصرة.

«**أما بعد، فقد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت به أنت من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً تسترق كما تسترق العبيد**[1]، **وعليك بالحسين بن علي، لا يفوت، بادره قبل أن يصل إلى العراق**»[2]، كما ورد في مصادر أخرى.

أما الحسين عليه السلام فقد خرج من مكة مع أهل بيته ومن لحق به من أنصاره، باتجاه العراق وأول مكان مر به الحسين عليه السلام هو:

التنعيم:

وهو على بُعد فرسخين من مكة، وهو المكان الذي يحرم منه للعمرة، وفي هذا المنزل، لقي الحسين عليه السلام عيراً[3] قد أقبلت من اليمن، تحمل وِرساً[4] وحلالاً كثيرة، أرسلها والي اليمن، بُجير بن ريسان الحِمْيَري إلى يزيد، فأخذها الحسين عليه السلام، واستأجر من أهلها جمالاً لرحله ولأصحابه، وقال لصاحب الإبل: من أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، ومن أحب أن ينطلق معنا إلى العراق، وفّيناه كِراه، وأحسنا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا في بعض الطريق، أعطيناه من كراه على قدر ما قطع من الطريق، فمضى معه قوم، وامتنع آخرون.

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٤/١ ـ أنساب الأشراف، ١٦٠/٣ ـ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٩٣/٩.

(٢) ابن عساكر في تاريخ دمشق.

(٣) العير هي قافلة الحمير، ثم كثر استعمالها لكل قافلة، والمراد هنا قافلة الجمال.

(٤) نبات أصفر كالسمسم يصبغ به، يعتبر من زينة تلك الأيام.

ويذكر البلاذري في أنساب الأشراف (٣/١٦٤): «يقال: انه لم يبلغ كربلاء منهم، إلا ثلاثة نفر، فزادهم عشرة عشرة دنانير، وأعطاهم جملاً وصرفهم».

ويبدو من هذا الخبر، أن أصحاب هذه القافلة لم يبق أحد منهم مع الحسين عليه السلام حتى استشهاده، فكان غاية ما بلغوه وصولهم إلى كربلاء، وأجزل الحسين عليه السلام لهم العطاء.

إن استيلاء الإمام الحسين عليه السلام على هذه القافلة، إعلان عن عدم شرعية الحكم الأموي، وعدم أهليته لإدارة أمور المسلمين وأموالهم، فهي خطوة لكسر هيبة الدولة الظالمة، وتنبيه الآخرين على هذه النقطة، وقد مرّ بنا في مجالس الليلة الأولى أن الحسين عليه السلام كان قد استولى على قافلة أخرى أيام معاوية، وأرسل عندها كتاباً إلى معاوية يخبره أنه سيطر على تلك القافلة التي كانت ستذهب إلى خزائن الأمويين حيث تستخدم لشراء الضمائر وقمع أهل الحق والجهاد.

وكان السيد بحر العلوم في (رجاله، ٤/٤٨) قد ميّز بين الخبرين، فأكّد استيلاء الحسين عليه السلام على القافلة المتجهة إلى يزيد ولم يصحح الاستيلاء على القافلة المتجهة إلى معاوية، لأنه موقف الحسين عليه السلام أيام معاوية كان الصلح والمهادنة، بينما أيام يزيد كانت الحرب والمواجهة[1].

الصفاح:

وهي المنزل الثاني الذي مرّ به الإمام الحسين عليه السلام وركبه، بعد التنعيم، وهو موضع بين حُنين وأنصاب الحرم، وقد وصف المؤرخون حركة الإمام الحسين عليه السلام في هذا المنزل بقولهم:

(١) اخبار التنعيم في، الطبري، ٦/٢١٨ ـ مقتل الخوارزمي، ١/٢٢٠ ـ ابن كثير، ٨/١٦٦ ـ ومصادر أخرى.

«وسار من التنعيم مجدّاً لا يلوي على شيء، حتى إذا وصل الصفاح، لقيه الفرزدق الشاعر، وهو وارد إلى مكة بقصد الحج، ومع الحسين عليه السلام، أسيافه وأتراسُه، قال الفرزدق: فقلت: لمن هذا القطار[1]؟. فقيل: للحسين بن علي.

قال: فأتيته وسلّمت عليه، وقلت له: أعطاك الله سؤلك، وأمّلك فيما تحب، بأبي أنت وأمي ـ يا ابن رسول الله ـ ما أعجلك عن الحج؟.

فقال عليه السلام:

«لو لم أعجَل لأخذت».

ثم قال لي: **من أنت، من أين أقبلت؟.**

قلت: امرؤ من العرب أقبلت من الكوفة، فلا والله ما فتّشني عن أكثر من ذلك، ثم قال أخبرني عن الناس خلفك؟.

فقلت: «**الخبيرَ سألتَ، قلوبُ الناس معك، وسيوفهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء**».

قال عليه السلام:

«صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربُّنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمدُ الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاءُ دون رجاء فلم يتعدَ من كان الحقُ نيّته، والتقوى سريرته».

فقلت له: أجل، بلّغك الله ما تحب، وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك، فأخبرني بها، وحرّك راحلته، وقال: السلام عليك، ثم افترقنا»[2].

---

(١) القطار: القافلة التي يتصل بها بعير بآخر، ومنه أخذ المعنى الحديث للقطار باتصال عربة بأخرى (المصنّف).

(٢) الطبري، ٣٨٦/٥ ـ إرشاد المفيد، ص١-٢ ـ الكامل لابن الأثير، ٢٧٦/٣ ـ ابن كثير، ١٦٦/٨ ـ الصواعق المحرمة، لابن حجر، ص١١٨ ـ ومصادر أخرى.

وفي رواية عن الفرزدق، انه قال: «خرجت من البصرة (وليست الكوفة)، أريد العمرة، فرأيت عسكراً في البرية، فقلت عسكرُ مَن؟. قالوا: عسكر حسين بن علي، فقلت: «**لأقضين حق رسول الله ﷺ فأتيته وسلمت عليه..**».

إن الفرزدق لم يفهم من قضاء حق رسول الله ﷺ إلا السلام على الحسين عليه السلام فقط، فهو لم يفهم من هذا الحق نصرته والانضمام إلى رحله والدفاع عنه، والشهادة بين يديه، وهو مستوى فهم شاعر معروف كالفرزدق، فكيف بباقي شرائح الأمة آنذاك؟.

نعم الفرزدق اكتفى بسؤال الحسين عليه السلام عن نذور ومناسك ليس إلاّ. ألمّ تحرّكك يا فرزدق هذه القافلة الماضية إلى ساحة الشهادة الخالدة، كربلاء، أين أنت يا فرزدق من الحسين عليه السلام وحركته.

وقد نظم الفرزدق لقاءه مع الحسين عليه السلام في أبيات منها:

لقيتُ الحسين بأرض الصفاح عليه اليلامق[1] والدرّقُ[2]

ذات عرق:

(وهو موضع يبعد عن مكّة بمرحلتين أو ليلتين، ويقع في آخر وادي العقيق ويعتبر ميقات أهل الشرق ومنه العراق).

«وسار عليه السلام نحو العراق، حتى إذا وصل إلى (ذات عرق) لقيَهُ بِشرُ بن غالب الأسدي وارداً من العراق.

فسأله الحسين عليه السلام عن أهلها وقال:

«**كيف خلّفت أهل العراق؟**».

قال بشر: يا ابن رسول الله، خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية.

---

(١) اليلامق: الأقبية الجبب.

(٢) الدرق: جمع درقة وهي الدرع.

فقال عليه السلام:

«**صدق أخو بني أسد، إن الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد**»[١].

لاحظ اتفاق بشر الأسدي مع الفرزدق في دقة تقييم موقف الأمة آنذاك، فهل يعقل أن الحسين عليه السلام كان بعيداً عن هذا التقييم.

ثم ربما يطرح هنا سؤال: لماذا يسأل الحسين عليه السلام من كان يلقاه، عن أخبار الذين تركهم خلفه؟. أهو مجرد متابعة مواقف الناس، أم أن الحسين عليه السلام كان يهدف إلى تهيأة من كان معه للموقف المُنتظر في كربلاء.

وحكي عن الرياشي عن رجل التقى بالحسين عليه السلام في أثناء الطريق إلى الكوفة، يقول الراوي بعد أن حججت، انطلقت أتعسّف الطريق وحدي، فبينا أنا أسير، إذ رفعتُ طرفي إلى أخبية وفساطيط، فانطلقت نحوها، فقلت: لمن هذه الأخبية، قالوا: للحسين، فقلت: ابن علي وفاطمة؟. قالوا نعم. قلت: في أيّها هو؟. قالوا: في ذلك الفسطاط (الخيمة الكبيرة).

فانطلقت نحوه، فإذا بالحسين عليه السلام متكئ على باب الفسطاط، يقرأ كتاباً بين يديه، فسلّمت، فردّ عليّ. فقلت: يا ابن رسول الله، بأبي أنت وأمّي، ما أنزلك في هذه الأرض القفراء، التي ليس فيها ريفُ ولا مَنعَة؟

قال عليه السلام:

«**إن هؤلاء أخافوني، وهذه كتب أهل الكوفة، وهم قاتليَ، فإذا فعلوا ذلك ولم يدعوا لله محرماً إلا انتهكوه، بعث الله إليهم من يقتلهم، حتى يكونوا أذلّ من فرام الأمة**»[٢][٣].

وهذه الرواية دليل آخر على علم الإمام الحسين عليه السلام بأنه ماضٍ نحو الشهادة.

---

(١) مثير الأحزان، ابن نما، ص٢١ ـ اللهوف، لابن طاووس، ص٢٩.

(٢) فرام الأمة: الفرام: خرقة تضعها المرأة في قبلها أيام حيضها. الأمة: المرأة المملوكة.

(٣) البحار، ٣٦٨/٤٤ ـ ابن كثير، ١٦٩/٨.

الحاجز:

أورد الحموي في معجم البلدان: الحاجز،ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو المكان الذي يجتمع فيه أهل البصرة والكوفة، ومنه ينطلق أهل البصرة إذا أرادوا المدينة[١].

ولما ورد الحسين عليه السلام الحاجز من بطن الرمّة كتب إلى أهل الكوفة، جواب كتاب مسلم بن عقيل (رض) وبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وورد فيه:

«أما بعد، فقد ورد عليَ كتاب مسلم بن عقيل يخبرني باجتماعكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، ويثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصتُ إليكم من مكة، يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، فإذا قدِم عليكم رسولي، فانكمشوا في أمركم، فإني قادم في أيامي هذه»[٢].

ومحتوى هذا الكتاب، قد يستشهد به من يذهب إلى أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن عالماً بمصيره، ولكن يمكن أن يفسّر الكتاب، ونظائره بأنه عليه السلام كان يعمل ما ينبغي عمله، من مواقف ويتخذ الطبيعي من القرارات، مع علمه بما ينتظره من شهادة، والله أعلم.

وفي رواية أخرى[٣] أن الإمام الحسين عليه السلام، إنما أرسل عبدالله بن يقطر بالكتاب وليس قيس بن مسهر، ومن المحتمل أن الإمام الحسين عليه السلام، بعث بكتابين مع رسولين انسجاماً مع طبيعة الظرف وتعدد الاحتمالات الخطرة المحيطة بالكوفة، فإذا لم يصل أحدهما وصل الآخر.

وقيس صحابي من بني صيدا بطن من بني أسد، من شيعة الكوفة، شجاع

---

(١) الحموي، معجم البلدان ٤/٢٩٠.

(٢) الطبري، ٥/١٩٥ ـ ابن كثير، /٨ ٢٦٨ ـ ينابيع المودة، للقندوزي، باب ٦١ ـ الإرشاد، ص٢٠٢ ـ الأنساب، ٣/١٦٧.

(٣) احتمله الشيخ المفيد في الإرشاد، وروضة الواعظين النيسابوري، ص ١٥٢.

مجرّب، حمل العديد من الكتب بين أهل الكوفة والحسين عليه السلام، وحينما أخذ هذا الكتاب ألقي القبض عليه في القادسية من قبل الحصين بن نمير التميمي رئيس الشرطة وأدخل إلى الكوفة ومضى إلى ربّه شهيداً بعدما صلى على علي والحسين عليهما السلام، ولعن يزيد ومعاوية فألقي من شاهق حتى تقطعت أعضاؤه واستشهد[١].

بعض العيون:

وسار عليه السلام من الحاجز، وكان لا يمر بماء من مياه العرب، إلاّ اتّبعوه[٢].

إن هذه الأعداد الغفيرة التي اتبعت الحسين عليه السلام كانت تظن أن الحسين عليه السلام لن يُقتل وأنه سيتسلّم بلداً مهيئاً له، ولكنا سنعرف أنهم تفرقوا بعد انجلاء الصورة لهم.

وكان عند عين من تلك العيون، عبد الله بن مطيع العدوي، وهو نازل به، فلما رأى الحسين عليه السلام قام إليه واحتمله وأنزله، وقال له: بأبي أنت وأمي ـ يا ابن رسول الله ـ ما أقدمك؟.

قال عليه السلام:

«كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إليَ أهل العراق يدعونني إليهم».

فقال عبد الله: «أذكّرك الله ـ يا ابن رسول الله ـ وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة رسول الله، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله، لئن طلبت ما في أيدي بني أميّة ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمةُ الإسلام تنتهك، وحرمةُ قريش،

(١) راجع: الطبري، ٣٩٥/٥ ـ اللهوف، ص٣٢ ـ الإرشاد، ص٢٠٣.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٨/٨.

وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض نفسك لبني أميّة. فلم يلتفت إليه الحسين عليه السلام، وأبى إلاّ أن يمضي قدماً»[١].

وعجيب أمر هؤلاء القوم، وكأنهم في منأى عن بني أمية وجرائمهم، فبدلاً من أن يقفوا مع الحسين عليه السلام وينصرونه ويمضوا معه، إذا بهم يتوسلون إليه أن يرجع،ثم أين حرمة الأمة وحرمة الإسلام وقد انتهكها الأمويون، ولهذا «**لم يلتفت إليه الحسين عليه السلام**».

ومن جهة أخرى فإن عبيد الله بن زياد، أخذ بتوزيع نقاط الحراسة والمراقبة على طول الطريق، في أطراف الطرقات فلا يسمح لأحد بالدخول من الحجاز إلى العراق، أو الخروج منه.

«**فأقبل الحسين عليه السلام حتى لقي الأعراب، فسألهم عن خبر الكوفة، فقالوا: لا ندري، غير أنّا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، فسار تِلقاء وجهه عليه السلام**»[٢].

الخزيمية:

وهو منزل ينسب إليه خزيمة بن حازم في وسط المسافة بين مكة والكوفة، وأقام عليه السلام في الخزيمية، يوماً وليلة.

التخلص:

فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب عليها السلام وقالت: إني سمعت هاتفاً يقول:

ألا يا عينُ فاحتفلي بجُهدِ ... فمن يبكي على الشهداء بعدي

على قومٍ تسوقُهم المنايا ... بمقدارٍ إلى إنجازِ وعدِ

---

(١) الطبري، ٣٩٦/٥ ـ الكامل، لابن الأثير، ٢٧٧/٣ ـ الإرشاد، ص٢٠٣.

(٢) روافد الواعظين، النيسابوري، ص١٧٥ ـ إرشاد المفيد، ص٢٠٣.

فقال عليه السلام:

«يا أختاه كل الذي قضي فهو كائن»[١].

وهنا يمكن للخطيب أن ينهي هذا المجلس، وهو يحسن قراءة هذين البيتين بصوت شجي ويعرج على إحدى المصائب لما وصلت إلى كربلاء.

أو يقول: هذه مرة أخبرت أخاها بما سمعته، وأما آخر ما قالته لأخيها في يوم عاشوراء لما ودّعته الوداع الأخير...

ويورد الشعر المناسب من القريض والشعبي.

الموضوع الثالث الذي يمكن طرحه في الليلة الرابعة من محرم:

المنازل من زرود وحتى كربلاء:

زَرُود:

والاسم مشتق من الزَرّد وهو البلع، ولعلها سميّت بذلك لأنها أرض تبتلع المياه التي تمطرها السحائب، وهي رمال بين الثعلبية والخزيمية، وفيها بركة وحوض ماء. هذا ما نقله الحموي في معجم البلدان.

وفي هذا المنزل حدث أمران أحدهما أفرح الحسين عليه السلام والآخر أحزنه. وانتظر المسير بالحسين عليه السلام إلى (زرود) فأقام فيها ليلته، وقد نزل بالقرب منه زُهير بن القين البجلي، وكان شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً مقداماً، له في المغازي والفتوحات، مواقف مشهورة، ومواطن مأثورة، وكان في بداياته منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام عثماني الهوى.

وقد حج زهير في سنة ٦٠ هـ، ولما رجع من مكّة جمعه الطريق مع

(١) ابن نما، مثير الأحزان، ص٢٣.

الحسين عليه السلام وكان مع زهير جماعة من فزارة وبجيلة، وكان يكره أن يساير الحسين عليه السلام في الطريق، أو ينازله في منزل واحد. فإذا سار الحسين عليه السلام تخلّف زهير، وإذا نزل الحسين عليه السلام في منزل، تقدّم زهير فنزل في آخر.

فنزل الحسين عليه السلام يوماً في منزل، لم يجد زهير بُدّاً من أن ينزل معه (وهو زرود) فنزل الحسين وأصحابه في جانب، ونزل زهير وأصحابه في جانب آخر.

وهذا عائد إلى طبيعة هذا المنزل الجغرافي، فهو منزل صحراوي يقع بين منزلين متباعدين وفيه بركة ماء وحوض، فلم يجد زهيراً من سبيل إلا أن ينزل في نفس المكان الذي سبق للحسين عليه السلام أن نزل فيه.

فبينما أصحاب زهير جلوسٌ، على طعام لهم، إذ أقبل رسولُ الحسين عليه السلام وسلّم ودخل، والتفت إلى زهير قائلاً: إن أباً عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه، فطرح كل إنسان ما في يده من طعام كأن على رؤوسهم الطير، كراهية أن يذهب زهير إلى الحسين عليه السلام.

فأطرق زهير برأسه إلى الأرض ملياً، فقالت له زوجته (دلهم بنت عمرو) وكانت واقفة على رأسه تُروّح له (أي بيدها مروحة لتحريك الهواء لزوجها): «سبحان الله أيبعث إليك ابنُ رسول الله ثم لا تأتيه، فلو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت..».

يمكن هنا التركيز على هذه النقطة لإبراز دور المرأة في واقعة كربلاء ومنها موقف زوجة زهير بن القين هذا.

فأتاه زهير ـ على كرهٍ ـ فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه.. فأمر بفسطاطه ورحله وثِقله، فحُوِّلَ إلى جهة الحسين عليه السلام، ثم قال لامرأته: **إلحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خيراً، وقد عزمت على صحبة الحسين لأفديه بروحي وأقيه بنفسي**»، فأعطاها مالها (حقوقها المالية) وسلّمها إلى بعض بني عمومتها ليُوصلها إلى أهلها.

فقامت إليه، وبكت في وجهه، وودعته وقالت: خار الله لك، أسألك ان تذكرني عند جدّ الحسين يوم القيامة.

وقال زهير لأصحابه: «**من أحبَ منكم أن يتبعني، وإلاّ فهو آخر العهد مني، سأحدثكم بحديث: إنا غزونا (بُلُنجر)**[1] **ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم ففرحنا.**

فقال لنا سلمان[2]**: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟.**

فقلنا: نعم.

فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد ﷺ فكونوا أشدّ فرحاً، بقتالكم معهم، مما قد أصبتم من الغنائم في هذا اليوم، فأما أنا فإني أستودعكم الله»[3].

وفي (زرود) أُخبر الحسين عليه السلام بقتل ابن عمه مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، فاسترجع كثيراً، وترحّم عليهما مراراً، وبكى وبكى معه الهاشميون، وكثر الصراخ والعويل من جانب النساء.

(وهنا يمكن للخطيب أن ينهي مجلسه، إذا جعل (زرود) آخر منزل في المجلس السابق، حيث يعرّج هنا على مصيبة حميدة بنت مسلم بن عقيل، وبكائها، واهتمام الحسين عليه السلام بها، وفي هذه المصيبة أبيات شعر جيّدة وشجيّة، ولعل أشهر أبيات هذه المصيبة قول الشاعر:

لم يبكها عدم الوثوق بعمّها ... كلا ولا الوجدُ المبرّحُ فيها
لكنها تبكي مخافة أنها ... تمسي يتيمة عمّها وأبيها

(١) بُلُنجر: مدينة في اذربيجان فتحت أيام عثمان على يد سلمان بن ربيعة الباهلي تقع حالياً قرب مدينة أردبيل في شمال غرب إيران، (أنصار الحسين، الزنجاني، ص١٤٠).

(٢) قيل هو سلمان الفارسي (رض) وكان ضمن ذلك الجيش، أو قائده سلمان الباهلي، والأول أولى.

(٣) راجع ما ذكر في الطبري، ٣٩٧/٥ ـ ابن الأثير، ٢٧٨/٣ ـ مقتل الخوارزمي، ٢٢٢/١ ـ انساب البلاذري، ١٦٨/٣ ـ اللهوف، لابن طاووس، ص٣٠ ـ وإرشاد المفيد ـ وغيرها.

أو قول الشاعر في قصيدته:

قضيت ولم تدرِ كم في (زرود) عليك العشيّة من نائحة
وكم طفلة لك قد أعولت في الحشا قادحة
يعززها السبطُ في حجره لتغدوَ في قربهِ فارحة

إضافة إلى أبيات نعي بالشعبي وأبيات أبوذيّة كثيرة في هذه المصيبة.

حتى ارتجّ الموضع لقتل مسلم بن عقيل (رض)، وسالت الدموع كل مسيل[1].

وكان الحسين عليه السلام قد علم باستشهاد مسلم (رض) عن طريق رجلين قدما من الكوفة وهما (عبدالله بن سليم الأسدي والمنذر بن المشمعل الأسدي، اللّذين قالا للحسين عليه السلام بعدما اخبراه بما رأياه بالكوفة: ننشدك الله يا ابن رسول الله، إلاّ انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس بالكوفة ناصر).

فقام آل عقيل، وقالوا:

«**لا نبرح حتى ندرك ثارنا، أو نذوق ما ذاق أخونا**».

فنظر إليهم الحسين عليه السلام وقال:

«**لا خير في العيش بعد هؤلاء**»[2].

أقول: إن إصرار الحسين عليه السلام على مواصلة طريقه نحو الكوفة، مع علمه باستشهاد سفيره مسلم بن عقيل (رض) وإحباط مشروع الكوفة، يرجّح القول القائل أنه عليه السلام كان ماضٍ للشهادة، لأنه يعلم أن لا سبيل لإيقاظ الأمة إلا تلك الدماء الزكيّة، وقد أفاض المحلّلون والمؤلفون كثيراً في هذه المسألة.

ونعود لنقول: أن زرود هو أبرز منزل نزله الحسين عليه السلام لضخامة أحداثه.

---

(١) الطبري، ٩٩٥/٦ ـ ابن كثير، ١٦٨/٨ ـ اللهوف، ص٤١.

(٢) الكامل، لابن الأثير، ١٧/٤ ـ سير أعلام النبلاء ـ الذهبي، ٢٠٨/٣.

الثعلبية:

وأكمل الحسين عليه السلام مسيرته نحو الكوفة ـ كما كان مخطّطاً ـ ولم يثنه خبر استشهاد مسلم وهانىء، وسار عليه السلام حتى نزل (الثعلبية) ممسياً ـ أي في المساء ـ فلما أصبح إذا برجل من أهل الكوفة، يكنّى (أبا هرّة الأزدي) قدأتاه، فسلّم عليه، ثم قال له: يا ابن رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد صلى الله عليه وآله؟

فقال الحسين عليه السلام:

«يا أبا هرة، إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، يا أبا هرة: لتقتلني الفئة الباغية، وليولينَهم الله تعالى ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليُسلّطن الله عليهم من يُذلّهم»[1].

ونؤكّد مرّة أخرى، أن الإمام الحسين عليه السلام كان يقوم بعملية تعبئة نفسية ومعنوية للمواجهة الكبرى يوم عاشوراء، عبر ذكره الشهادة وحتمية المواجهة الدامية مع الأمويين.

وفي الثعلبية أتى الحسين عليه السلام رجلٌ وسأله عن قوله تعالى:

﴿ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾[2].

فقال عليه السلام:

«إمام دعا إلى هدى، فأجابوا إليه، وإمام دعا إلى ضلالة، فأجابوا

---

(١) أخذنا من الرواية ما ذكرنا أعلاه، وتمامها (... حتى يكونوا أذلّ من قوم سبأ، إذ ملكتهم امرأة منهم، فحكمت في أقوالهم ودمائهم" ولم نذكرها في المتن، لأنها قد تثير بعض التساؤل والأشكال حول المرأة وموقعها في الإسلام، ولهذا ينبغي على الأخوة الخطباء ـ أيدهم الله ـ أن لا يتحكموا بكل شيء يقرأونه، بل عليهم معرفة الظروف والأجواء ومراعاة حساسية ما يطرح على المنبر، والله الموفق، راجع اللهوف، ص٢٩ ـ مقتل الخوارزمي، ٣٢٤/١ ـ أعيان الشيعة ،للأمين، ١٨٤/٤ ـ أمالي الصدوق، المجلس، ٣٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية/٧١.

إليه، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: ﴿فريق في الجنّة وفريقٌ في السعير﴾[١]»[٢].

وفي هذا المكان (الثعلبيّة) اجتمع بالحسين عليه السلام رجل من أهل الكوفة، فقال له الحسين عليه السلام:

«أما والله لو لقيتك في المدينة لأريتُك أثر جبرائيل في دارنا، ونزوله بالوحي على جدي ﷺ. يا أخا أهل الكوفة، من عندنا مستقى العلم، أفعلموا وجهلنا؟. هذا مما لا يكون»[٣].

أقول هل أن هذا الكوفي هو نفسه أبو هرة المتقدم أم لا؟.

وحدّث بجير من أهل الثعلبية، قال: مرّ الحسين بنا، وأنا غلام، فقال له أخي: يا ابن بنت رسول الله، أراك في قلّةٍ من الناس، فأشار عليه السلام بالسوط إلى حقيبة رجلٍ، وقال:

«هذه مملوءة كتباً»[٤].

وهكذا نجد أن إجابات الحسين عليه السلام متعددة، حسب الشخص السائل، وما يطرحه من سؤال، والكل تشير إلى أنه عليه السلام ماضٍ لأمرٍ يدركه ويستعد له.

الشقوق:

وهو منزل من منازل بني أسد.

وفي هذا المنزل التقى الحسين عليه السلام برجل مُقبل من الكوفة، فسأله عليه السلام عن أهل الكوفة، فأخبره الرجل: إنهم مجتمعون عليه، فقال عليه السلام:

«إن الأمر لله، يفعل ما يشاء، وربنا تبارك وتعالى هو كل يوم في

---

(١) سورة الشورى، الآية/٧.

(٢) راجع أمالي الصدوق، ص١٩٣.

(٣) راجع: بصائر الدرجات للصفّار، ص٣ ـ أصول الكافي، باب مستقى العلم من بيت آل محمد ﷺ.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٠٥/٣.

شأن ثم أنشدهم:

فإن تكنْ الدنيا تعدُّ نفيسةً ... فدارُ ثوابٍ لله أعلى وأنبلُ
وإن تكنْ الأموال للترك جمعها ... فما بالُ متروكٍ به المرءُ يبخلُ
وإن تكنْ الأرزاقُ قسماً مقدّراً ... فقلةُ حرصِ المرء في الكسب أجملُ
وإن تكنْ الأبدانُ للموتِ أنشأت ... فقتلُ امرئٍ بالسيفِ في اللهِ أفضلُ»[1]

وتضيف بعض المصادر بيتاً خامساً:

عليكم سلامُ الله يا آل محمد ... فأني أراني عنكم سوف أرحلُ

ولاحظ معي ـ أخي الخطيب الحسيني ـ إن الحسين عليه السلام لم يتغيّر موقفه لما أخبره هذا الرجل الكوفي أن الناس مجتمعون عليه، بل أنه عليه السلام أكّد ما سينتظره وركبه من موعد مع الشهادة.

زُبالة:

وهو موضع باسم امرأة اسمها زُبالة بنت مسعر من العمالقة، وهو منزل فيه حصن وجامع لبني أسد، (معجم البلدان للحموي).

وحينما انطلق به عليه السلام المسير إلى زُبالة، أتاه نعي عبدالله بن يقطر[2]، رسوله الذي أرسله من الطريق إلى أهل الكوفة، ويحمل كتابه إلى مسلم بن عقيل (راجع المنزل الرابع ـ الحاجز ـ).

فلمّا كان قريباً من القادسية، قبض عليه الحصين بن نمير مع شرطته،

---

(١) ابن شراشوب، المناقب، ٩٥/٤، الخوارزمي في مقتله، ٣٢١/١.

(٢) عبدالله بن يقطر: صحابي جليل من محبّي أهل البيت عليهم السلام، وهو لدة الحسين عليه السلام (أي ولدا في زمن واحد)، وأبوه يقطر كان خادماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمه ميمونة تعمل في بيت علي عليه السلام، ولد قبل الحسين بثلاثة أيام، احتضنت امّه ميمونة الحسين عليه السلام فهو اخو الحسين من حيث الحضانة، (راجع أسد الغابة في معرفة الصحابة للجزري).

وسرّحه إلى عبيدالله بن زياد الذي أمره أن يصعد المنبر وينال من علي والحسين عليهما السلام.

فصعد عبدُالله بن يقطر المنبر وقال:

«أيها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله، أتيتكم لتنصروه وتؤازروه، على ابن مرجانة وابن سمية الدَعي ابن الدَعي، لعنه الله».

فأمر به عبيد الله بن زياد فألقي من أعلى القصر فتكسّرت عظامه، فمات رحمه الله[1].

وفي هذا المنزل حدث تطوّر بالغ الأهمية في تنقية وتصفية الركب الحسيني، وإعداد الفئة المهيأة لخوض غمار الحرب والفوز بالشهادة.

لما بلغ الحسين عليه السلام قتلُهُ، وكان قد أخبر ـ من قبل بمقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل (رض)، جمع الناس وخطبهم، وقال فيما قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنه قد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبدالله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتُنا، فمن أحبَ منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه حرجٌ منّا ولا ذمام».

فتفرّق الناس عنه عليه السلام يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، ونفرٍ يسير من انضمّوا إليه، وكان قد انضمّ إليه، جمعٌ غفير من الأعراب في الطريق؛ لظنّهم أنه سيأتي إلى بلدٍ قد استقامت له طاعة أهله، فكره عليه السلام أن يتّبعهُ إلاّ الذين أقدموا على ما أقدم عليه من الشهادة والمواساة على الموت[2].

---

(١) الطبري، ٣٩٨/٥ ـ الخوارزمي، ٣٢٤/١ ـ أنساب الأشراف للبلاذري، ١٦٩/٣.

(٢) الطبري، ٢٢٦/٦ ـ ابن الأثير، ٧٨/٣ ـ تاريخ الإسلام للذهبي، ٣٤٥/٢٠ ـ ومصادر أخرى كثيرة.

بطن العَقَبة:

ثم سار عليه السلام من زُبالة حتّى مرّ ببطن العَقَبة، فنزل فيها، فلقيه شيخٌ من بني عكرمة يقال له: عمرو بن لوذان، قال له: أين تريد؟ فقال عليه السلام: الكوفة. فقال الشيخ: أنشدك الله لمّا انصرفت، فوالله ما تقدم إلاّ على الأسنّة وحدّ السيوف، وان هؤلاء، الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطئوا لك الأشياء، فقدمتَ عليهم، كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحالة التي تذكر فإني لا أرى لك أن تفعل».

فقال الحسين عليه السلام:

«يا عبدالله، ليس يخفى عليَ الرأي، ولكن الله لا يُغلب على أمره، ثم والله لا يدعونني، حتى يستخرجوا هذه العَلَقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك، سلّط الله عليهم من يذلّهم، حتى يكونوا أذلُّ فِرَقِ الأمم»[1].

إن هؤلاء يتصورون أن الحسين عليه السلام إنّما تحرّك لأنه يريد استلام مقاليد الحكم، ولهذا فهم يعجبون من إصرار الحسين عليه السلام على المسير وكل المؤشرات تدعو إلى التريّث بل الرجوع.

وقال الحسين عليه السلام لأصحابه في هذا المنزل:

«ما أراني إلاّ مقتولاً».

قالوا: وما ذاك يا أبا عبدالله؟.

قال عليه السلام:

«رؤيا رأيتها في المنام».

قالوا: وما هي؟.

---

(١) الطبري، ٣٩٩/٥ ـ ابن الأثير، ٢٧٨/٣ ـ الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي، ص٣٧ ـ إرشاد المفيد، ص٢٠٦.

قال عليه السلام:

«**رأيت كلاباً تنهشني، أشدّها عليَّ كلبٌ أبقع**»[1].

وهنا يمكن ان ننهي هذا المجلس بأن نقول:

نعم صدق جدّك رسول الله ﷺ يا سيدي يا أبا عبدالله، فحينما سقطت على رمضاء كربلاء وأحاط بك الظالمون هذا يضربك بسيفه والآخر يطعنك برمحه، والآخر يرميك بسهم... ولكن أشدهم عليك اللعين شمر بن ذي الجوشن.

وزينب عليها السلام واقفة وهي تنظر إليك وتنادي:

يا ابن أمي يا حسين، يا حبيبي يا حسين، نور عيني يا حسين.

ثم إيراد ما يناسب من الشعر.

أو يقال: هذه رؤيا رآها الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء، ونهاية أخرى سيراها الحسين عصر تاسوعاء حينما غفى بباب خيمته وأخبر عنها أخته زينب التي بكت وصرخت... إلخ.

وهذا مجلس ثالث لليلة الرابعة، التي نسير فيها مع الركب الحسيني، باتجاه كربلاء.

ملاحظة: يمكن للمجلس الأول المتقدم (الليلة الرابعة) أن يستفاد منه في هذه الليلة، كما يمكن الاستفادة منه في مجالس الليلة الثالثة المتقدمة.

شراف:

منزلٌ يُنسب إلى رجل بهذا الإسم، كان قد استنبط عين ماء عذب (معجم البلدان) ثم كثرت فيها الآبار.

---

(١) الطبري، ٣٩٩/٥، ابن الأثير، ٢٧٨/٣، الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي، ص٣٧ ـ إرشاد المفيد، ص٢٠٦.

(٢) أعيان الشيعة، ١٨٨/٤ ـ المفيد، الإرشاد، ص٢٠٦.

ثم سار عليه السلام من بطن العقبة، حتى نزل (شَراف)، فأقام فيها إلى الليل، فلما كان وقت السَحَر، أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويُكثروا"

وهذا الأمر من الحسين عليه السلام، عُرفت أبعاده، في اليوم التالي، ومع التطوّر الذي سيغيّر مسار الركب الحسيني نجو الكوفة. ـ كم كان مقرراً ـ إلى كربلاء كما سيحدث لاحقاً...

ثم سار عليه السلام صدر يومه، أي أنه عليه السلام ترك شراف وواصل المسير إلى منتصف النهار.

حتى انتصف النهار، إذ كبّر رجلٌ من أصحابه.

فقال الحسين عليه السلام: الله أكبر، ممّ كبّرت، قال: رأيت النخل.. أي أنها علامات على الوصول إلى نهر الفرات حيث غابات النخيل، والتي كان من كثرتها أنها تبدو سوداء من بُعد، ولهذا كان العراق يُعرف بـ أرض السواد.

فقال له جماعة من أصحابه: والله ما رأينا في هذا المكان نخلةً ـ قط ـ.

فقال الحسين عليه السلام: فما ترونه؟. قالوا: نراه أسنة الرماح وآذان الخيول.

فقال عليه السلام: أنا ـ والله ـ أرى ذلك. ثم قال لأصحابه:

«أما لنا ملجأ نلجأ إليه، ونجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم بوجه واحد؟».

فقيل له: هذا (ذوحُسَم)[1] إلى جنبك، فمل إليه عن يسارك، فإن سبقتَ إليه، فهو كما تريد..

فأخذ الحسين عليه السلام إليه ذات اليسار، وسبق إليه، وضرب أبنيته (خيامه) وأنزل عائلته.

قال الراوي: فما كان بأسرعَ ما أن طلعتْ علينا هوادي الخيل[2]، فتبيّناها

---

(١) اسم جبل يبعد رحلتين عن الكوفة، كان النعمان بن المنذر يصطاد فيه، وللنابغة فيه أبيات

(٢) هوادي الخيل: أعناقها، مفردها: هادي: وهو العنق من الخيل أو الإبل.

وعدلنا (أي تركوا طريقهم الأول)، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا، كأن أسنّتهم اليعاسيب[١]، وكأن راياتهم أجنحةُ الطير.

وجاء القوم زهاء ألف فارس، مع رئيسهم الحرّ من يزيد الرياحي، وكان قد بعثه ابن زياد من الكوفة، ليحبس الحسين عليه السلام عن الرجوع إلى المدينة أينما وجده، ويُقدم به الكوفة..

فجاؤوا حتى وقفوا أمام الحسين عليه السلام في وقت الظهيرة، وكان الوقت شديد الحرّ، والحسين عليه السلام وأصحابه معتّمّون (لابسوا العمائم) - فتقلدوا أسيافهم.

فلما رأى الحسين عليه السلام ما بالقوم من العطش، أمر فتيانه أن يُسقوا القوم، ويُرشفوا الخيل ترشيفاً[٢] ففعلوا وأقبلوا يملئون القِصاع والطساس[٣] من الماء، ثم يدنونها من الفرس، فإذا عُبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه، وسقي الآخر، حتى سقوهم وخيولهم عن آخرهم...

قال علي بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذ - فجئتُ في آخر مَن جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الراوية - والراوية عندنا السقاء[٤] - فلم أدرِ ما يقول. ثم قال: يا ابن الأخ، أنخ الجمل، فأنختُه.

فقال عليه السلام: إشرب، فجعلتُ كلما شربتُ سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: إخنث السقاء، أي اعطفه - فلم أدرِ كيف أفعل..

فقام الحسين عليه السلام بنفسه فخنثه، فشربتُ وسقيتُ فرسي.

(١) الأسنة: مفردها سِنان وهو نصل الرمح، اليعاسيب، مفردها يعسوب وهو ذكرُ النحل أو أميرها، وإذا طار فرش جناحيه، فشبّهوا الرماح باليعسوب.

(٢) رشف الماء بشفتيه: بالغ في مصه، والمعنى هنا: السقي قليلاً قليلاً...

(٣) القِصاع: مفرده قَصعَة (بالفتح): الإناء الكبير، الطساس: مفرده طسة أو طست (لغة في الطشت).

(٤) الراوية: الجمل الذي يستقي عليه الماء، في لهجة أهل الحجاز، والحسين عليه السلام تكلم بلهجته الحجازية فلم يفهم المقابل.

يمكن للخطيب الحسيني هنا أن يعلّق على مدى خُلُق الإمام الحسين عليه السلام حتى مع الذين جاؤوا لحربه، وأهمية تخلقنا بأخلاق الحسين عليه السلام التي هي أخلاق جده صلى الله عليه وآله وأخلاق القرآن، وهذه النقطة يمكن أن تكون ـ كذلك ـ باباً للتخلص رائعاً، حيث يقارن بين أخلاق الحسين عليه السلام وأخلاق أعدائه...

ويمكن إيراد الأشعار المناسبة هنا، كما في قصيدة للدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، ومنها:

ورأيتُك النفسَ الكبيرةَ لم تكن حتى على مَن حاربوك حقودا
فعلمتُ أنك نائل ما تبتغي حتماً وإن يكُ شلوُك المقدودا[1]

ولم يزل الحرّ موافقاً للحسين عليه السلام حتى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام الحجاجَ بن مسروق الجعفي[2] أن يؤذّن بالناس، فأذّن الحجّاج، فلما حضرت الإمامة، خرج الحسين عليه السلام في إزارٍ ورداءٍ ونعلين متكئاً على قائم سيفه، فاستقبل القوم وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أيها الناس، إنها معذرة إلى الله (عز وجلَ) وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقَدِمَتْ عليَّ رسُلُكمْ: (أن أقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعلَ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق)، فإن كنتم على ذلك، فقد جئتكم، فأعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين، انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي جئت منهُ إليكم».

فسكتوا جميعاً، فقال الحسين عليه السلام للمؤذن: أقمْ، فأقام لصلاة الظهر، فقال

---

(١) راجع ديوانه رحمه الله.

(١) من أصحاب الحسين المبرّزين، وكان يلقّب بـ(مؤذن الحسين)، وأعظم به من لقب، لمن جعل الصلاة قائمةً إلى يوم القيامة.

الحسين عليه السلام للحرّ: أتصلّي بأصحابك؟. فقال الحرّ: بل تُصلّي أنت ونصلّي بصلاتك..

فصلّى بهم الحسين عليه السلام، وبعد فراغه دخل الخيمة، فاجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه، ودخل خيمةً قد ضربت له، واجتمع إليه بعض أصحابه، وعاد الباقون إلى صفوفهم، وأخذ كل رجل منهم بعنان دابته، وجلس في ظلها من شدة الحرّ.

ولما كان وقت العصر أمر الحسين عليه السلام أن يُتهيّأ للرحيل، ثم أمر المؤذن فنادى لصلاة العصر، وأذّن وأقام، فاستقدم الحسين عليه السلام، فصلّى بهم صلاة العصر، فلما فرغ انصرف بوجهه الشريف نحو القوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، أيها الناس، إنكم إن تتقوا الله، وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن ـ أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ـ أولى بولاية هذا الأمر، من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعُدوان، وأن أبيتم إلاّ الكراهية لنا والجهل بحقنا، وكان رأيكم ـ الان ـ على غير ما أتتني به كتبكم وقَدِمَتْ به عليَّ رسُلُكم، انصرفت عنكم».

فقال الحرّ: ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر..

فأمر الحسين عليه السلام عقبة بن سمعان، فأخرج خُرجين[1] مملوءين كتباً، فنُثرت بين يديه..

قال الحر: إني لست من هؤلاء، الذين كتبوا إليك، وإني أُمرت أن لا أفارقك ـ إذا لقيتُك ـ حتى أُقدمك الكوفة على ابن زياد ـ..

فقال الحسين عليه السلام:

«الموت أدنى إليك من ذلك».

---

(١) الخُرج: حقيبة من صوف أو غيره.

ثم أمر أصحابه بالركوب، وانتظر هو حتى ركبت نساؤه، ثم قال لأصحابه: انصرفوا، فحال القوم بينهم وبين الانصراف.

فقال الحسين عليه السلام للحرّ:

«ثكلتك أمّك ماذا تريد؟».

فقال الحُرّ: أما لو غيرُك من العرب يقولها لي ـ وهو على مثل هذه الحال التي أنت عليها ـ ما تركتُ ذكرَ أمّه بالثكل، كائناً من كان، ولكن ما لي إلى ذكر أمّك من سبيل،إلا بأحسن ما نقدر عليه.

فقال له الحسين عليه السلام:

«فما تريد؟».

قال الحرّ: إذاً والله لا أدعك. فترادّا ـ مِراراً ـ فلما كثر الكلام بينهما، قال الحُرّ للحسين عليه السلام: إني لم أؤمر بقتالك، وإنما أُمرتُ أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت، فخذ طريقاً نصفاً بيني وبينك، لا يُدخلك الكوفة، ولا يردّك إلى المدينة، حتى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد، فلعلّ الله أن يأتي بأمرٍ يرزقني فيه العافية، من أن أبتلي بشيء من أمرك، فخذها هنا، فتياسرّ عن طريق (العُذيب والقادسية).

(ومن هنا تغيّر خط المسيرة الحسينية من طريق الكوفة إلى يسار الطريق الموصل إلى كربلاء أخيراً).

فسار الحسين عليه السلام وأصحابه على غير الجادّة (الطريق العام)، والحرّ يسايره في أصحابه، وهو يقول: يا حسين إني أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتُقاتلنّ، ولئن قوتلت لتهلكّن، فيما أرى.

(فالحر يبدو أنه كان يظن أن الحسين عليه السلام لم يضع الشهادة أمراً قائماً أمامه).

فقال الحسين عليه السلام:

«أفبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطبُ أن تقتلوني؟. وسأقول لك كما قال أخو الأوس لابن عمه حين لقيه، وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ، فخوّفه ابن عمّه، وقال له: أين تذهب فإنك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبوراً وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متُّ لم أُلَمْ كفى بك ذلاً أن تعيش وتُرغما»

فلما سمع الحرّ ذلك منه، تنحّى عنه، وأخذ يسير بأصحابه في ناحية، والحسين عليه السلام في ناحية[1]، وهنا صُدم الحرّ بموقف الحسين عليه السلام هذا، وعلم أن الحسين عليه السلام يعلم أنه ماضٍ للمواجهة الدامية، ولهذا ترك مسايرة الحسين عليه السلام.

البيضة:

وهي أرض واسعة لبني يربوع بن حنظلة.

وفيها، خطب الحُسين عليه السلام أصحاب الحرّ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«أيها الناس: إن رسول الله قال: من رأى سلطان جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان

(١) راجع ما ذكرنا اعلاه، في تاريخ الطبري، ٤٠٣/٥ ـ تاريخ ابن الأثير، ٢٨٠/٣ ـ مناقب ابن شهراشوب، ٩٦/٤ ـ إرشاد المفيد، ص٢٠٨ ـ أنساب الأشراف، ١٧١/٣.

وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق مَنْ غيّر، وقد أتتني كتبكم وقَدِمت عليَ رسُلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلموني، ولا تخذلوني فإن أتممتم علي بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم ولكم في أسوَة، وإن لم تفعلوا أو نقضتم عهدكم، خلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور مَن اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

عُذَيب الهجّانات:

في هذا المنزل أخذ بعض شيعة الكوفة بالالتحاق بالحسين عليه السلام، مخترقين حصار ابن زياد لها.

وهو واد لبني تميم يبعد عن القادسية ستة أميال، أضيف إلى الهجّانات، لأن هجائن إبل النعمان بن المنذر ملك الحيرة، كانت ترعى في هذه الوادي[2].

ولم يزل الحُرّ يساير الحسين عليه السلام في الطريق على غير الجادّة، حتى انتهوا إلى (عُذيب الهجّانات)، فإذا هم بأربعة نفر على رواحلهم، قد أقبلوا من الكوفة لنصر الحسين عليه السلام، وهم: عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه ومجمع بن عبدالله المذحجي، ونافع بن هلال الجملي، ومعهم غلام لنافع وهو يجنّب فرساً

(١) الطبري، ٦/١٢٩ ـ ابن الأثير، ٤/٢١ ـ أنساب الأشراف، ٣/١٧٠.
(٢) معجم البلدان.

لنافع، وكان خروجه من الكوفة قبل هؤلاء النفر، وأوصى غلامه أن يتبعه بفرسه[١].

وكان معهم دليلهم الطرمّاح بن عدي الطائي، فكان قد امتار لأهله ميرة (الطعام) من الكوفة فخرج على غير الجادّة، فالتقى بهؤلاء النفر في عَرَض الطريق، حتى إذا قاربوا الحسين عليه السلام، ورأوه من بعيد، حدى بهم الطرماح فقال:

يا ناقتي لا تذعري من زجري ... وأسرِ بنا قبل طلوع الفجرِ
خير ركبان وخير سَفر ... حتى تحلَّ بكريم البجرِ
الماجد، الحرّ رحيبَ الصدر ... أتى بهِ الله لخيرِ أمر
ثمتّ أبقاهُ بقاءَ الدهرِ

فلما انتهوا إلى الحسين عليه السلام أنشدوه الأبيات، فقال عليه السلام:

«**أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قُتلنا أم ظفرنا**».

ثم أن الحرّ أراد حبسهم، أو ردّهم إلى الكوفة، فقال للحسين عليه السلام: هؤلاء ليسوا ممن أقبل معك.

فصاح به الحسين عليه السلام وقال:

«**لأمنعهم مما أمنع عنه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني، وهم بمنزلة من جاء معي، وقد كنت أعطيتني، ألاّ تعرَض لي بشيء، حتى يأتيك كتاب ابن زياد، فإن بقيت على ما كان بيني وبينك، وإلا ناجزتك؟**».

فكفّ الحرّ عنهم، فالتحقوا بالحسين عليه السلام وأصحابه.

---

(١) إن الأوضاع الأمنية القاسية التي فرضها ابن زياد بعد استشهاد مسلم بن عقيل في الكوفة، جعلَ تحرّك، رجال الشيعة البارزين في غاية الصعوبة، وإذا خرج أحدهم على فرسه اتهم بأنه يريد الحرب والخروج نحو الحسين، ولهذا نجد نافع وكذلك حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة، ربما آخرون، يبعثون خيولهم مع عبيدهم ليوهموا الآخرين أنها خارجة للرعي ثم يلحقون به ويركبوا الأفراس باتجاه الحسين عليه السلام.

ثم إن الحسين عليه السلام سأل هؤلاء النفر الكوفيين الذين التحقوا به، عن رأي الناس، فأخبروه، بان الأشراف عظمت رشوتهم، وقلوب سائر الناس معك والسيوف عليك، ثم أخبروه عن قتل قيس بن مسهر الصيداوي فقال عليه السلام:

«**﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة منزلا، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك**».

وقال له الطرماح: رأيت الناس قبل خروجي من الكوفة، مجتمعين في ظهر الكوفة، فسألت عنهم فقيل: إنهم يُعرضون ثم يُسرَّحون إلى الحسين عليه السلام فأنشدك الله أن لا تقدم عليهم، فإني لا أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلاّ هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكفى: وسر معنا، لتنزل جبلنا الذي يدعى (أجا)، فقد امتنعنا به عن ملوك غسان وحميَر ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام، حتى تأتيك طيّ (قبيلة) رجالاً وركباناً وأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي، يضربون بين يديك بأسيافهم، إلى أن يستبين لك ما أنت صانع.

فجزاه الحسين عليه السلام وقومه خيراً، وقال: «إنّ بيننا وبين القوم عهداً وميثاقاً، ولسنا نقدر على الانصراف، حتى تتصرف بنا وبينهم الأمور في عافية، فاستأذنه الطرماح ووعده بأن يوصل الميرة إلى أهله، ويعجّل لنصرته، فأذن له وصحبه الباقون، فأوصل الطرماح الميرة إلى أهله ورجع مسرعاً، فلما بلغ عذيب الهجّانات، بلغه خبر قتل الحسين عليه السلام فرجع إلى أهله»[1].

(لاحظ عدم تقدير طرماح لأهمية الموقف فآثر ان يوصل الميرة، إلى أهله ففاتته سعادة الدنيا والآخرة).

---

(١) الطبري، ٤٠٦/٥ ـ ابن الأثير، ٢٨١/٣ ـ مقاتل الطالبيين، ص١٩ ـ مروج الذهب، ٧٢/٢.

قصر بين مقاتل:

حيث فيه قصر يُنسب إلى مقاتل بن حسّان التميمي ويقع بين عين التمر والشام، على مقربة من كربلاء[١].

ولم يزل الحسين عليه السلام يجدّ السير، والحُرّ يسايرهُ، حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل، فرأى فُسطاطاً مضروباً، ورمحاً مركوزاً، وفرساً واقفاً، فقال، فقال عليه السلام: لمن هذا الفُسطاط؟

فقيل: هو لعبيد الله بن الحرّ الجحفي، فبعث عليه السلام إليه الحجّاج بن مسروق الجحفي، فسأله عبيد الله عما جاء به. فقال:

«**هدية إليك وكرامة ـ إن قبلتها ـ هذا الحسين بن علي، يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أجرت، وإن قُتلت استُشهدت**».

فقال عبيد الله: «إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهية، أن يدخلها الحسين وأنا فيها لكثرة من رأيته خارجاً لمحاربته، وخذلان شيعته، فعلمتُ أنه مقتول، ولا أقدر على نصره، والله ما أريد أن أراه ولا يراني»[٢].

فأعاد الحجاج كلامه إلى الحسين عليه السلام، فقام عليه السلام بنفسه ومشى إليه في جماعة من أهل بيته وصحبه، فدخل عليه الفُسطاط، فوسّع له ابن الحرّ عن صدر المجلس.

يقول ابن الحرّ: ما رأيت أحداً ـ قط ـ أحسن من الحسين، ولا أملأ للعين منه، ولا رقّقتُ على أحدٍ رقتي عليه، حين رأيتُهُ يمشي والصبيان حوله[٣]،

---

(١) معجم البلدان للحموي.

(٢) الاخبار الطوال، الدنيوري، ص٢٤٦ ـ إرشاد المفيد، ص٢٠٩.

(٣) أقول: وهنا تخلّص جيد، كأن يقول الخطيب: يا ابن الحر رفقت على الحسين حينما رأيت الصبية والأطفال حوله، وهو الحياة ومعه أهل بيته وأصحابه، فكيف حالك لو نظرت إليه مطروحاً والأطفال يلوذ بعضهم ببعض، والنار قد التهمت المخيم، والمنادي ينادي: أحرقوا بيوت الظالمين.... إلخ.

ونظرت إلى لحيته، فرأيتُها كأنها جناح غراب (أي كانت لحيته عليه السلام سوداء)، فقلت له: أسواد أم خضاب؟

قال عليه السلام:

«يا ابن الحرّ، عجّل على الشيب».

فعرفت أنه خضاب.

(لاحظ أن ابن الحرّ يريد أن يهرب من المراجعة التي لا بد منها في بيان موقفه إزاء مشاركته في نصرة الحسين عليه السلام).

ولما استقر المجلس بأبي عبدالله عليه السلام، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا ابن الحرّ، إن أهل مصركم هذا (الكوفة) كتبوا إليّ، إنهم مجتمعون على نصرتي، وسألوني القدوم عليهم، وليس الأمر على ما زعموا، وإن عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبك؟».

قال ابن الحرّ: «وما هي يا ابن رسول الله؟».

فقال عليه السلام:

«تنصر ابن بنت نبيّك وتقاتل معه».

قال ابن الحرّ: «والله، إني لأعلم أن من شايعك لسعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإن نفسي لا تسمح بالموت، ولكن فرسي (المُلحِقة) فأركبها، فخذها فهي لك، فاركبها حتى تلحق بمأمنك، وأنا لك بالعيالات حتى أردّها إليك».

فقال عليه السلام:

«أما إذا رغبت بنفسك عنا. فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك (وما

كنت متخذ المضلين عضُداً﴾[١]، ولكنه فرَ فلا لنا ولا علينا، فوالله لا يسمع واعيتنا أحدٌ ثم لا ينصرنا إلاَ أكبَه الله على وجهه في نار جهنم».

قال ابن الحر: «أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله، ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحله»[٢].

(راجع كيف ندم ابن الحر وأبياته هي مما ينبغي حفظها لخطيب المنبر الحسيني في المصادر وفي كتب المقاتل (٢) وغيرها).

قرى الطفّ:

ولما كان آخر الليل، أمر عليه السلام فتيانه بالاستقاء والرحيل من قصر بين مقاتل، ولم يزل الحسين عليه السلام يتياسر إلى أن انتهى إلى نينوى والحرّ يسايره، ويحاول رده إلى الكوفة والحسين عليه السلام يمتنع عليه امتناعاً شديداً.

فإذا هم براكب على نجيب[٣] له وعليه السلاح، متنكبٌ قوساً مقبلٌ من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى إليهم عرفوه، فإذا هو مالك بن النسر الكندي، جاء وسلّم على الحرّ وأصحابه، ولم يسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد، فإذا فيه: «**أما بعد فجعجع[٤] بالحسين حين يبلغك كتابي هذا، ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا بالعراء في غير خُضرة وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام**».

(١) سورة الكهف، الآية/١٨.
(٢) الطبري، ٤٠٧/٥ ـ ابن الأثير، ٢٨٢/٣ ـ خزانة الأدب، البغدادي، ٢٩٨/١ ـ الأخبار الطوال ص٢٤٩.
(٣) النجيب: النفيس النادر من كل شيء.
(٤) الجعجعة: الإزعاج والحبس والتضييق.

فقرأ الحرُّ الكتاب على الحسين عليه السلام وأصحابه، فقالوا: «**دعنا ننزل نينوى أو الغاضريات أو شَفيَة**».

فقال، لا أستطيع إن الرجل عينٌ (جاسوساً) عليّ.

فالتفت زهير بن القين إلى الحسين عليه السلام وقال: «**يا ابن رسول الله، إن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال مَن يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا ما لا قِبَل لنا به**».

فقال: عليه السلام:

«**ما كنت لأبدأهم بقتال حتى يبدؤوني**».

فقال زهير: سر بنا ـ يا ابن رسول الله ـ إلى هذه القرية، فإنها حصينة، وهي على شاطئ الفرات فإن منعونا قاتلناهم، فقال الحسين عليه السلام: ما اسمها؟ قال زهير: تسمّى (العُقر).

فقال عليه السلام:

«**اللهم إني أعوذ بك من (العُقر)**».

قال زهير فسر بنا يا ابن رسول الله حتى ننزل كربلاء، فإنها على شاطئ الفرات.

فعند ذلك دمعت عينا الحسين عليه السلام وقال:

«**اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء**».

كربلاء:

ثم سار عليه السلام والحُر يسايرُه ويمانعُه، حتى إذا وصلوا كربلاء، قال الحسين عليه السلام لأصحابه:

«**أهذه كربلاء؟**».

قالوا: نعم يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام:

«هذا موضع كرب وبلاء، انزلوا، ها هنا محط رحالنا، ومناخ ركابنا، ومقتل رجالنا، ومسفكُ دمائنا، وهنا محلٌ قبورنا، بهذا حدثني جدّي رسول الله...».

وكان وصولهم يوم الخميس الثاني من المحرم عام ٦١ هـ[١].

بداية التخلص:

وهنا لا بأس بإيراد الأبيات المناسبة لهذه المصيبة وقد أشرنا إلى بعضها في نهاية المجلس الأول من الليلة الرابعة ـ هذه ـ المتقدم، أو أي شعر مناسب آخر، مثل أبيات من قصيدة للحاج هادي الكواز ومنها:

نزلوا بأكناف الطفوف ضُحىً ... من دونهم وقفوا

وإلى الجنانِ عشيةً رحلوا ... وبحبهم أرواحهم بذلوا

أو يختم المجلس بقولنا: «ثم جمع الحسين عليه السلام وُلْدَه وأخوته وعموم أهل بيته ونظر إليهم وبكى، ثم قال:

«اللهم إنا عترة نبيّك محمد صلى الله عليه وآله وقد أخرجنا وطُردنا وأُزعجنا عن حرم جدّنا، وتعدّتْ بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا، وانصرنا على القوم الظالمين»[٢].

(وهنا يمكن للخطيب أن يصور حال عيال الحسين عليه السلام ونسائه وهن يسمعن الكلام حيث بدت علائم المأساة وفراق الأحبة تلوح أمامهم).

---

(١) للهوف، ص٣٣ ـ الطبري، ٥/٤٠ ـ ثم ابن الأثير، ٣/٢٨٢ ـ أنساب الأشراف، ٣/١٧٦.

(٢) البحار، ٤٤/٣٨٣ ـ مقتل الخوارزمي.

ومن المناسب هنا إيراد الشعر الملائم لهذه الحالة، مثل مقاطع من قصيدة الشريف الرضيّ، وهو يخاطب رسول الله ﷺ ومطلعها:

كـــــربلا لا زلت كـــــرباً وبلا ... مـــــا لقي عندك آل المصطفى

ومنها:

وضيـــــوف لفــــلاة قـــــفـــــرة ... نزلوا فيـها على غـيـر قِـرى

لم يذوقوا الماء حتى اجتمعوا ... بحــدا لسـيفٍ على ورد الردى

يا رســـول الله لو عــاينتـــهم ... وهُم مـــا بين قـــتلٍ وســـبا

أو يقارن نزولهم اليوم مع رحيلهم من كربلاء، كما ذكرنا ذلك سابقاً فراجع.

سفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل رضوان الله عليه

ابتداءً من هذه الليلة تبدأ المجالس الحسينية بالتخصّص، إذ أن من الممكن للخطيب أن يقرأ ما بدا له في الليالي الأربع السابقة، وإن كان الترتيب الذي ذكرناه آنفاً في مجالسها هو الأولى والأفضل، أما في الليالي ٥ وحتى ١٠ فلا بد من أن تنتهي المجالس بمصائب محدّدة ليس للخطيب أن يجتازها إلى غيرها، والله الموفق.

والليلة الخامسة مخصصة لسفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل (رض).

أولاً ـ قصائد الليلة الخامسة:

لقد حظي شهيد الكوفة مسلم (رض) بعدد مهم من القصائد الرثائية نختار منها ثلاثاً:

١ ـ قصيدة للشيخ كاظم سبتي رحمه الله، ومطلعها[١]:

إن رمت خير حمىً وخير مقيلِ فاعقل بمثوى مسلم بن عقيلِ

٢ ـ قصيدة الشيخ قاسم الملاّ، أضاف إليها السيد باقر الهندي رحمهما الله أبياتاً، ومطلعها[٢]:

لحيّيكم مهجني جانحة ونحوّكم مقلتي طامحه

---

(١) راجع: سفير الحسين، للشيخ عبد الواحد المظفر، ص١٤٩.

(٢) راجع: كتاب الشهيد مسلم بن عقيل (رض) للسيد عبد الرزاق المقرم، ص٢٩٩.
كتاب سفير الحسين عليه السلام، للشيخ عبد الواحد المظفر، ص١٤٥.

٣ ـ قصيدة للسيد صالح الحلي رحمه الله ـ ومطلعها[١]:

لو كـــان ينقعُ للعليل غليلُ فـاض الفـراتُ بمدمـعي والنيلُ

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة:

في هذه الليلة يختـار عنوان مستلّ من كتب الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة أو من كتبهم إليه عليه السلام، فيما يتعلق بموضوع مسلم بن عقيل (رض) مثل:

١ ـ من كتاب الحسين عليه السلام الذي بعثه مع سفيره مسلم (رض) إلى أهل الكوفة:

«... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل...».

٢ ـ من كتاب شيعة الكوفة إلى الحسين عليه السلام:

(... الحمد لله الذي قصم عدوّك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة بغير رضاً منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بعُدت ثمود، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحق...).

٣ ـ من كتاب مسلم بن عقيل (رض) الوحيد إلى الإمام الحسين عليه السلام، وبعد وصوله إلى الكوفة:

(أمّا بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي).

ثالثاً ـ البحث:

في ليلة مسلم بن عقيل (رض) هذه، مجال كبير للحديث، عن التشيّع في

---

(١) راجع: كتاب الشهيد مسلم بن عقيل (رض) للسيد عبد الرزاق المقرم، ص٣١٢.

الكوفة وتاريخ ذلك، وعن علاقة أهلها بأهل البيت عليهم السلام، وعن وفود أهل الكوفة للإمام الحسن عليه السلام، ثم الإمام الحسين عليه السلام بعيد الصلح وحتى قبل وفاة معاوية، وعن التحرك الأخير للكوفة بعد ورود نبأ وفاة معاوية وامتناع الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد وهجرته إلى مكة. حديث مستفيض ومتعدد الرؤى حول حركة مسلم بن عقيل (رض)، إن كان في الخطوات التي اتخذها، أو تغير ظروف الكوفة بتغيّر واليها، أوالخيارات المطروحة أمام مسلم بن عقيل (رض)، وكيفية محاربته واستشهاده وموقفه مع ابن زياد.

وسنطرح ثلاثة موضوعات في بحث هذه الليلة من المحرّم...

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة الخامسة من محرم:

وعي الكوفة عبر وثيقة تأريخية:

(من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاقه من شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته والمسلمين من أهل الكوفة، أما بعد فإنا نحمد الله الذي قصم عدوّك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها واغتصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضاً منها، فقتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعُداً له كما بعُدت ثمود... إنه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق...).

للنصوص والوثائق في كل حركة تاريخية أهمية قصوى لأنها تعكس الحالات المتفاعلة في مسيرتها وطبيعة ومدى المستوى الفكري والعقائدي لرموز تلك الحركة والناس عامة... وفي حركة الحسين عليه السلام الكثير من النصوص، تلك الحركة التي لا تزداد مع الأيام إلاّ رسوخاً وعطاءً ولذلك تجد الأمة وأجيالها الحاجة ماسة إليها وهو من أهم أسباب خلودها بما تزود الأجيال من توجيه وعطاء ودروس...

وإن مسألة اختيار الحسين عليه السلام الكوفة كمحور وهدف لتحركه وثورته قد ذكرت لها عدة أسباب، مثل الظلم الذي عاشته الكوفة من الأمويين بمختلف جوانبه الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، وكوجود قاعدة جماهيرية نوعية قياساً مع باقي الأمصار آنذاك، ومن جهة ثالثة موقعها باعتبارها قاعدة عسكرية توجه منها الجيوش الفاتحة الغازية ويتواجد فيها عدد كبير من الجند.

كما أن الكوفة كانت هي البلدة الوحيدة التي ما فتأت تطلب قيادة الحسن عليه السلام ومن ثم الحسين عليه السلام في زمن معاوية وبعده، قبل إعلان رفض الحسين عليه السلام لبيعة يزيد وبعدها حينما كان في مكة.

وهو مؤشّر وعي متميز لها ساعد في وجوده وانتشارحلبة الصراعات الفكرية والتيارات السياسية التي كانت تعتمل في مجتمع الكوفة.

ولعل هذا النص الذي بين أيدينا يعتبر من المؤشرات الواضحة لهذا الوعي وهي مجرد وثيقة مهمة لا تعكس وعي مرسليها فقط ولا رأي الجو الفكري الذي تربوا فيه فقط بل وتعطينا صورة لبعض الظلامات والتجاوزات التي كانت ترتكب مع الأمة ومع المفاصل الواعية الموالية فيها، وهذا الكتاب بعثه أربعة من الرجال قتل منهم مع الحسين عليه السلام، حبيب بن مظاهر، وكان من الذين تمكنوا من اختراق الحصار الذي ضربه ابن زياد على الكوفة مخافة لحوق أهلها بالحسين عليه السلام كما قاد الآخرون ثورة التوابين وقتلوا فيها.

وهذا بحد ذاته يكسب هذه الوثيقة أهمية أبلغ لأنها كتبت بأيد رجال صادقين:

﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾.

ونحاول الآن ـ بعد الاتكال على الله تبارك وتعالى ـ أن نأخذ فقرات هذه الوثيقة التأريخية الرائعة.

١ ـ تبدأ الوثيقة بحمد الله تعالى لأنه (قصم عدوك):

أي معاوية بموته واختفائه من مسرح الأحداث تلك الشخصية التي عملت بمكرها وخداعها وتضليلها على اختلاس الأمر من أهله وغيرت ما غيرت وبدلت ما بدلت ولهذا عبروا عنه (الجبار العنيد) بما يعني التجبّر والفساد من إصرار على الظلم والجور كأنها تكاد تحكي المعاناة والألم الذي كانوا يعانونه منه وتأتي دالة على وعيهم بالدور الذي لعبه في صيرورة الأمة إلى ما وصلت إليه ثم تؤكد الوثيقة ذكر بعض ما اقترفته يداه من فظائع:

٢ ـ (الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها).

حاكية عن الطريقة اللاشرعية والملتوية التي اتبعها للوصول إلى مبتغاه ومراده بعملية ابتزاز واضحة مكشوفة حين حارب الإمام العادل عليه السلام حتى انتزى على منبر رسول الله ﷺ، وكأنها تذكر بحديث عنه ﷺ في هذا الشأن.

وبذا يحدد هؤلاء الطريق الشرعي لقيادة الأمة لا أن كل من يتملك أمرها بظلم أو احتيال أو مكر يصير هو الخليفة وولي الأمر الذي تجب طاعته.... فأي خطورة تكمن في مثل هذا الحاكم الذي يجلس مجلس رسول الله ﷺ ويشرّع كما يشرّع ﷺ ويغير أحاديثه وسنّته!!.

فالأمة هي المغدورة وهي صاحبة الخسارة والحيف إذا هيأت الأمر لأمثال هؤلاء فالأمر هو لها لأن شريعة الله جاءت لإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور.

٣ ـ (واغتصبها فيئها).

وهي إشارة إلى الحيف الاقتصادي الذي عانت منه الأمة عموماً والواعون منها خصوصاً، فقد كان من صفات معاوية أنه يغتصب الحق الذي جعله الله للأمة تدير به عجلة الحياة الاقتصادية ويوزع مال الله بين عباد الله كما أراد الله لا كما يشتهي، فكيف يمكن أن يتم التوافق بين هذا القول وقول معاوية

الذي خطب الناس ذات يوم قائلا: «أيها الناس المال مال الله وأنا خليفة الله من أشاء أعطي ومن أشاء أمنع»!!.

ولهذا أرسل معاوية إلى كافة عمّاله باصطفاء الذهب والفضة وأن يوزع الباقي على الناس، ومنهم زياد بن أبيه الذي بادر بتبليغ أوامر معاوية إلى كافة عمّاله ووكلائه ومنهم عمرو بن الحكم (أحد شيوخ البخاري) فلما بلغه ما ذكر في كتاب معاوية قال: لقد جاءني كتاب قبل كتاب معاوية وهو كتاب الله حيث أمرني بتوزيع الأموال على مستحقيها، وفعلاً فقد وزع المال حسب ما أراد الله لا ما أراد معاوية... فلما بلغ ذلك معاوية، أمر باستدعائه ثم حبسه وأمر به فضرب حتى مات.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه السياسة في اغتصاب فيء الأمة هي المجاعة والضيق الاقتصادي. تلك المعاناة التي سجل بعض معانيها أحد الشعراء بقوله:

معاويُ إننا بشر فاسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتموها ... فهل من قائم أو من حصيد
فهبنا أمة ذهبت ضياعاً ... يزيدُ أميرها وأبو يزيد
أتطمع بالخلافة إذ هلكنا ... وليس لنا ولا لك من خلود[1]

ونعود إلى متابعة الوثيقة.

٤ ـ (وتأمّر عليها بغير رضا منها):

والذي هو عبارة عن تعبير آخر عن المقطع الأول ولكن هنا التأكيد واضح على مسألة عدم رضا الأمة عن تصرفه كما أنها تعطي تعبيراً آخر عن تسلطه وتلبسه لباس المؤامرة.

---

(١) خزانة الأدب.

٥ ـ (ثم قتل خيارها واستبقى شرارها):

وهي صفة في غاية الدقة تعرف بها الحكومات الجائرة من غيرها، تُرى على من يجرد الحاكم سيفه؟ أيجرده على أهل الفساد والانحراف؟ أيتابع الأشرار لكي يريح منهم البلاد والعباد؟ ولكي تأمن منهم الأرض أم العكس هو الموجود، فإذا طال السيف رقاب المؤمنين الأخيار فهي علامة صارخة على ظلم الحاكم وانحرافه وهذه الصفة كانت من أوضح الصفات في الفترة التي تلت صلح الحسن عليه السلام إلى ثورة الحسين عليه السلام..

فقد شهدت هذه الفترة أفظع عمليات المطاردة والتصفية والتشريد فقد قتل فيها حجر بن عدي الكندي الصحابي الجليل مع ولده همام وسبعه من الكوفة في مرج عذراء، كما قتل عمرو بن الحمد الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فيها، وجيء برأسه إلى زوجته المعتقلة آمنة بنت شريد في سجن دمشق وقتل رشيد الهجري بعد قطع يديه ورجليه ولسانه وقتل عمر الحضرمي مع أصحابه العبّاد الزهّاد، وهكذا استمرت حملات التصفية الجسدية لحواري أمير المؤمنين عليه السلام وأعمدة الولاء في الأمة حتى قبيل استشهاد الحسين عليه السلام حين صلب ميثم التمار قبل وصول الحسين إلى كربلاء بعشرة أيام.

في نفس الوقت استبقى الفساق والأشرار من الانتهازيين والظالمين حيث أشيع أمر شراء الذمم مثل الحتات عم الفرزدق، الذي وفد على معاوية مع رجلين حيث أعطى كل واحد منهما مائة ألف واعطاه سبعين ألفاً فلما كانوا في طريق الرجوع ودار بينهم الكلام غضب الحتات ورجع إلى معاوية قائلاً: فضحتني في بني تميم أما حسبي فصحيح أولست ذا سن مطاعاً في عشيرتي؟. قال: بلى، قال: فما بالك خسست بي دون القوم وأعطيت من كان عليك أكثر ممن كان لك؟ فأجابه معاوية بلا حياء: إني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك فقال: وأنا اشترٍ مني ديني!!

٦ ـ (وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها).

وهذا أمر كان رائجاً في تلك الفترة فقد منح معاوية خراج مصر إلى عمرو بن العاص ما دام حياً مكافأة له على موقفه منه. حتى خيم الفقر في أمصار المسلمين عدا الشام التي أغدق عليها بالأموال والعطايا.

ومرّ معاوية في حجه على يثرب فاستقبله أهلها مشاة وهم الأنصار فقال لهم: ما منعكم أن تتلقوني كما يتلقاني الناس؟.

فقال له سعيد بن عبادة: منعنا من ذلك قلة الظهر وخفة ذات اليد وإلحاح الزمان علينا وإيثارك بمصروفك غيرنا!.

فقال معاوية استهزاءاً: أين أنتم عن نواضح المدينة؟.

فرد عليه سعيد: نحرناها يوم بدر يوم قتلنا حنظلة بن أبي سفيان!!

وأما ما لاقاه شيعة أهل البيت عليهم السلام خاصة من التجويع والتهجير والقتل فهو أمر عظيم حيث بعث إلى كافة عماله بنسخة واحدة (انظروا إلى من قامت عليه البينة انه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه).

التخلص:

ثم قاموا بهدم بيوت شيعة أهل البيت عليهم السلام، وتوسعت المعركة من الميدان الاقتصادي إلى الميدان الاجتماعي إذ أمر كافة عماله بعدم قبول شهادة الشيعة مبالغة منه في إذلالهم وهجّر زياد بن أبيه خمسين ألف شيعي من الكوفة إلى خراسان.

وهذا وغيره فوجد الحسين عليه السلام أنه لا سبيل للوقوف بوجه هذه الانحرافات وتنبيه الأمة إلى ما آل إليه أمرها من الظلم والجور إلا سبيل الدم المراق، سبيل الشهادة ولغة الدماء.

فما رأى السبط للدين الحنيف شفا إلا إذا دمه في كربلا سفكا

ولما سمع الكوفيون باستقراره عليه السلام بمكة جاءت الرسل وكثرت الكتب فبعث ابن عمّه مسلماً ليستبين صدقهم، وتحرك الحسين عليه السلام حتى وصل إلى منزل في طريقه إلى كربلاء، يسمى (زرود) وهناك رأى فارسين مقبلين من جهة الكوفة.

ثم يذكر الخطيب نبأ استشهاد مسلم وهانئ وبكى الحسين عليه السلام وأهله ثم توجه عليه السلام نحو الخيام وما صنعه مع يتيمة مسلم حميدة، وهناك أبيات شعر شجية في ذلك، راجع مجالس الليلة الرابعة حول الوصول إلى (زرود).

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة الخامسة من محرم:

تأملات في حركة مسلم بن عقيل (رض):

«.. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب أنه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً ان شاء الله..».

تتميز الأبحاث التي يكون موضوعها التاريخ وأحداثه عن تلك الأبحاث ذات المواضيع الطبيعية بأمور لعل من أبرزها أن الواضيع الطبيعية تتميز بسهولة وإمكانية إعادة التجربة ودراسة النتائج حول أي معادلة بتوفير العناصر المطلوبة وإجراء التفاعل لتأتينا النتائج طبيعية ومؤكدة، في حين أن مسائل التاريخ ودراسته وسبر أغواره لا تتوفر فيها عناصر الوضوح والمختبرية والنتيجة المؤكدة التي توفرت في أبحاث العلوم الطبيعية التطبيقية.

وأحداث واقعة كربلاء الخالدة وما سبقتها من تطورات وما تلتها من تغيرات فيها الكثير من مجالات التأمل والدراسة ومحاولة استنطاق الحدث التاريخي لارتباطه بمواقفنا وتصرفاتنا باعتباره حجة لنا أو علينا في اتخاذ خطوة ما أو الإحجام عن أخرى.

ولا شك أن في حركة مسلم بن عقيل (رض) خاصة نقاط واضحة تحتاج إلى موقف وتأمل ودراسة. ومشكلتنا مع أحداث التاريخ والسير أن بعض الكتاب والمؤرخين لا يكتفون لعرض الحدث التاريخي بل يحاولون تفسير ذلك وإبرازه ضمن منحى معين في التفكير أو التقييم... وبالتالي يدخل ذلك التفسير والتأويل ضمن تلك الواقعة التاريخية فيدخل عنصر وعي واستيعاب وإيمان المؤرخ في إعطاء وجه دون آخر للواقعة التاريخية.

فتجد حادثة واحدة في مصدرين تاريخيين كل منهما يخرجها إخراجاً يختلف عن الآخر.

نعود لما ذكرناه من ان في حركة مسلم (رض) وتطورات خطته في الكوفة والأحداث الدراماتيكية المتفاعلة المتغايرة السريعة في الكوفة الكثير من التساؤلات والتأملات.. نحاول في هذا المجال الوقوف عند بعض نقاط هذه الحركة.

النقطة الأولى:

ما ذكرته كتب التاريخ عن رسالة بعث بها مسلم بن عقيل (رض) إلى الإمام الحسين عليه السلام بعدما غادر مكة متوجهاً إلى الكوفة ومروره بالمدينة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله ووداع أهله ثم استأجر رجلين ليدلاه على الطريق فأضلاّه حتى ماتا من العطش وبلغ مسلم الطريق بشق الأنفس بإشارة من الدليلين قبل موتهما، فهنا تشاءم مسلم من هذا الحدث المؤلم وبعث رسالته إلى الإمام الحسين عليه السلام مع قيس بن مسّهر الصيداوي يخبره فيها بما جرى عليه وهو يقول:

«.. وقد تطيرت من وجهي هذا فإن رأيت أعفيتني عنه وبعثت غيري والسلام»[1].

(١) الطبري، ابن الأثير، الأخبار الطوال، البحار، إرشاد المفيد..

فلما وصل كتاب مسلم (رض) ردّ عليه الإمام عليه السلام بكتاب فيه:

«أما بعد فقد خشيت أن لا يكون قد حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء عن الوجه الذي وجهتك إليه إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهناك إليه والسلام عليك».

فلما قرأ مسلم (رض) الكتاب قال:

«أما هذا لست أتخوفه على نفسي، ثم أقبل على وجهه».

١ ـ فلنتوقف أولاً عند كتاب مسلم إلى الحسين عليه السلام ... فنقول إن تشاؤم مسلم المزعوم هنا من حادث ربما يحدث مع أي مسافر يقطع تلك الصحراء لأمر خاص أو تجارة أو حج إلخ.. لا يسوّغ لمسلم أن يتنصل عن مسؤوليته الكبيرة فضلاً عن أن يقترح على الحسين عليه السلام استبداله بآخر!! فكيف يتأتى هذا مع اختيار الحسين عليه السلام له وتفضيله إياه في هذه المهمة، حيث قوله لأهل الكوفة:

«أني بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي».

وأوكله مهمة في غاية الخطورة والأهمية؟ وكيف ينتكس على أثر حادث طارئ يمكن أن يحدث لأي مسافر في تلك الظروف؟ والحسين عليه السلام لم يكتب هذا الكتاب له إلا بعدما أطلع على الموقف واحتمالاته الخطيرة، فبعد أن كثرت الكتب على الحسين عليه السلام وهو في مكة حتى بلغت إثنا عشر ألف كتاب دخل عليه السلام البيت وصلى ركعتين بين الركن والمقام وسأل الله الخيرة في ذلك ثم طلب مسلم بن عقيل (رض) وأطلعه على الحال(!!) وينبغي أن نتأمل هذه المقالة ـ وأمره بالمسير إلى أهل الكوفة[1]، وقال عليه السلام له:

(١) اللهوف، لابن طاووس ـ ويضيف الخوارزمي في مقتله مفصلاً.

«إني موجهك إلى أهل الكوفة وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء فامض على بركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة ثم عانقه الحسين وودعه فبكيا جميعاً»[1].

فكيف بمن مرّ في هذا الإعداد وهذا الإطلاع على الموقف أن يطلب الإعفاء بمجرد حدوث هذا الأمر الطارئ.

٢ ـ وحتى لو لم يطلعه الحسين عليه السلام على الموقف، أو لم يكن مسلماً واعياً بأحداث تلك المرحلة ألم يكن متفاعلاً ومطلعاً على الأحداث الرهيبة التي حلت برجالات وشيعة عمه أمير المؤمنين عليه السلام، وإذا لم يكن بتلك الحالة من الوعي لما أمكن الحسين عليه السلام أن يختاره لتلك المهمة الكبرى.

٣ ـ إن مسلم على علم تام بكل تطورات حركة الحسين عليه السلام ابتداءً من أخذ الحسين عليه السلام لمجموعة من فتية بني هاشم معه إلى قصر الإمارة وبداية المواجهة وحتى لو لم يكن مسلمٌ مع تلك المجموعة فلا شك انه كان على اتصال بها.

٤ ـ إن الذي تذكره كتب التاريخ أن أهل بيت الحسين عليه السلام اقترحوا عليه أن يتنكب الطريق في خروجه من المدينة كما صنع ابن الزبير، حيث نصت بعض المصادر على أن المتحدث به هو مسلم بن عقيل (رض) أي أن الرجل كان يعي حقاً خطورة موقف الحسين عليه السلام في رفضه البيعة وخطورة موقفهم معه!!.

فرجل بذلك الإعداد العام والإعداد الخاص والأخص كيف يعقل منه أن يكتب ما نسب إليه !!

---

(١) بحر العلوم، ١٥٣ و ٢١٦.

(عام باعتباره من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وخاص باعتباره ممن خرج مع الحسين عليه السلام، الأخص باعتباره قد اختير لهذه المهمة بالذات).

إن الأعجب من ذلك كتاب الحسين له عليه السلام وفيه اتهام مباشر لمسلم بالجبن وإن جاء بشكل غير محدد، وعلى هذا الكتاب عدة إشكالات:

١ ـ هذا الكتاب لو صح يكشف عن عدم دقة الحسين عليه السلام في اختياره مسلماً لهذه المهمة وهو ما أجمعت كل المصادر على تقييمه له (وثقتي من أهل بيتي).

٢ ـ نفس أسلوب الكتاب لا يليق بأدب الحسين عليه السلام خاصة وهو يخاطب به أخاه وابن عمه.

٣ ـ وحتى لو صح أن مسلماً أرسل ذلك الكتاب له لكان الأليق والأنسب مع خلق الحسين عليه السلام أن يكون كتاب الحسين عليه السلام مذكراً له بما أطلعه على حال مهمته والصفات التي اختارها فيه لهذه المهمة، فالحسين عليه السلام بأخلاقه العالية الذي سقى من جاءوا لحربه ماءاً في قلب الصحراء الملتهبة، كيف يقسو بهذا الشكل على مسلم.

٤ ـ كما أن الموقف المطلوب في هكذا تطور غير مترقب ـ على فرض ـ أن يوكل الحسين عليه السلام المهمة لرجل آخر أوعى من مسلم (رض) لمسؤوليته لا أن يجبره على أن يمضي في طريق ثبت من بدايتها الرجل غير المناسب له.

إذن مجمل هذه المناقشة تجعلنا نشكك في صحة الكتابين، نعم ربما بعث مسلم بكتاب يخبره بما جرى عليه لا أن يطلب منه إعفاءه، وممكن أن يكون الحسين عليه السلام رد عليه بكتاب يشجعه ويحثه لا أن يتهمه بالجبن...

النقطة الثانية:

من الأمور التي أثيرت وما تزال تُثار حول نشاط مسلم (رض) في الكوفة هو لماذا لم يسيطر مسلم وشيعته عليه السلام على قصر الإمارة ليقطعوا الطريق على أي تحرك غير متوقع من قبل الأمويين في محاولة السيطرة ثانية على الكوفة؟

خاصة إذا رجعنا بعض الشيء إلى الوراء وقرأنا في كتب الكوفيين إلى الإمام عليه السلام في مكة (**وهذا النعمان بن بشير لسنا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة ولا نخرج معه في عيد ولو قد بلغنا انك أقبلت إلينا، أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله**).

والمفروض أن يجيء مسلم كمجيء الحسين عليه السلام فلماذا لم يبادروا إذن إلى ما كتبوه للحسين عليه السلام مسبقاً له.

ويمكن أن نصل إلى الإجابة عن هذا الإشكال باستذكار جملة أمور:

١ ـ إن مهمة مسلم بن عقيل (رض) التي بينها الحسين عليه السلام في كتابه للكوفة لم يكن منها مسألة السيطرة على الكوفة، فهو قد بعث لاستقراء الجو العام ودراسته الواقع دراسة ميدانية وإخبار الحسين عليه السلام بذلك:

«**وأمرت أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب انه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت به عليَّ رسلكم وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله؟**».

لم يثبت أن الكوفيين أرادوا السيطرة على القصر ومنحه مسلم (رض)، إن المسألة ليست بتلك البساطة المتصورة.. فمسلم كان في أيامه الأولى ـ وصل مسلم في ٥ شوال وقتل في ٨ ذي الحجة ـ في وضع دراسة واستقصاء للوضع ولم تمض مدة يستطيع من خلالها اتخاذ مثل هذا القرار لو أنه كان مخولاً به، ولا يمكنه اتخاذ ذلك القرار وهو بعد لم

يعرف صدق مشاعر الناس ولم يرتب للأمر ولم يتهيأ له، ولعله لو تحرك لذلك وفشل للامه الناس والتاريخ والحسين عليه السلام على تحركه ذاك.

٤ ـ إن النعمان بن بشير لم يكن بالرجل العامي صحيح أنه لم يبد كثيراً من الضغط والإرهاب لقمع حركة مسلم بن عقيل (رض) ولعل ذلك أو لأن مسلم بن عقيل (رض) نازل في دار صهره المختار، ولعله يحب العافية كما قيل، النعمان هذا لم يكن يحب أهل البيت عليهم السلام كما يتصور البعض فأبوه بشير أول من بايع أبا بكر يوم السقيفة وهو وأبواه كانا الأنصاريين الوحيدين مع بني أمية، والنعمان هو الذي أرسل قميص عثمان وأصابع زوجته نائلة إلى معاوية في الشام حتى ان اتخذها أكبر عمل دعائي لحرب أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا نجد أنه خطب في الكوفة وهدد وأوكد ولو تحرك مسلم لما كانت حركته بلا مواجهة، ففي الكوفة أتباع مخلصين للأمويين لأنه من كتب ليزيد حول مسألة مسلم (رض) هو من عامة الجند وهو من عامة الناس الذين يميلون مع السلطة وأبنائها، فلم يكن الأمر اذن بتلك السهولة المفترضة المتوقعة.

٥ ـ إن مسلم بن عقيل (رض) أراد أن يستثمر جو المعارضة السلمية التي سمح بها النعمان بن بشر ليتوغل أكثر في المجتمع الكوفي بحرية فلماذا يستعجل مسلم بن عقيل (رض) أمراً قد يفضي إلى تطورات غير معروفة، ثم هو يكتب للحسين عليه السلام وينتظر منه الجواب، فقد تحدث الحرب تمزقاً في الساحة ودماراً وثاراتٍ وحزازات.

٦ ـ لم يكن من المتوقع تحرك ابن زياد بتلك السرعة حتى انه أخرج معه خمسمائة رجل من البصريين ليكونوا معه إذا دخل الكوفة فلم يره أحدٌ لفرط السرعة التي كان يسير بها نحو العراق.

لعل هذه النقاط توضح إشكال السيطرة على قصر الإمارة.

النقطة الثالثة ـ في تفرق الناس عن مسلم عليه السلام:

من النقاط المهمة والتي تثير الكثير من التساؤلات هي تفرق الناس عن مسلم (رض) بتلك الكيفية التي تضعها كتب التاريخ والسّير، والأشد غرابة هنا هو تفرق خُلَّص أصحابه لا سيما من عقد لهم الأولوية في هجومه على قصر الإمارة، وهم عبد الرحمن بن كريز الكندي على ربع كنده وربيعة ومسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وأبو ثمامة الصائدي على تميم وهمدان، والعباس بن جعده بن هبيرة على قريش والأنصار، خاصة بالنسبة للشخصيات التي حظيت بشرف الالتحاق والنصرة الحسين عليه السلام والشهادة بين يديه مما يسقط احتمال قتلها أو اعتقالها أو تغير ولائها مثل حبيب، وابن عوسجة، وأبي ثمامة الصائدي وآخرين وهم شخصيات لها دورها ومكانتها الاجتماعية والقبلية.

وقد سأل أحد العلماء عن ذلك فقال انهم أعدوا أنفسهم للشهادة بين يدي الحسين عليه السلام وهذه الإجابة غير صحيحة، لأنهم لم يعرفوا بعد بتحرك الحسين عليه السلام الذي كان في نفس يوم مقتل مسلم في ٨ ذي الحجة، ثم هل يكون ذلك مبرراً لترك قائدهم ومبعوث إمامهم وحده يواجه في الأزمة؟.

وأجاب آخر أنهم أدركوا أن الأمر لا مجال فيه لأي احتمال بنجاح مسلم وبذا لم يرتئوا أن يعرضوا أنفسهم للقتل وهم يعرفون النتيجة مقدماً... ولا أظن أن هذه الإجابة شافية كذلك.

ومع ثقتنا بموقف هؤلاء الشهداء المخلصين الذين شاركوا مسلماً في حركته وانتهوا بنصرة الحسين عليه السلام والقتل معه، قد يكون هناك سبب لم يصلنا عبر كتاب التاريخ ولعل الأمور حصلت بسرعة مذهلة وارتباك وتفرق غير متوقع ولعل بعضهم اعتمد على الآخر وظن أن مسلماً معه فلان من أنصاره وهذا يحدث كثيراً في الظروف الأمنية الطارئة والشديدة الخطورة.

ومع ذلك تبقى المسألة غير واضحة تماماً إذ يذكر التاريخ أنه انتهى إلى

المسجد ومعه ثلاثمائة رجل... أفلم يكن من هؤلاء مخلص من شيعته الأوفياء أو من القادة الذين يعتمد عليهم؟!..

التخلص:

وعلى كل حال فقد بقي مسلم وحيداً مستفرداً وهو المتحير الذي يتلفت يميناً وشمالا - يعز على كل موالٍ غير ذلك - نعم وهذا حيث يقذفه زقاق إلى زقاق وطريق إلى آخر حتى انتهى به الأمر إلى باب فجلس عنده وقد أحس بالتعب بعد يوم من الشدائد والمحن والتغيرات الرهيبة يشغله أمر نفسه وأمر أهله أكثر مما يفكر بنفسه وبينما هو متفكر وإذا بالباب يُفتح عن امرأة رأت رجلاً بهي الطلعة مهاب الجانب عليه علامات الشرف يجلس على باب دارها.

قالت: ما جلوسك على باب دارنا؟.

فتردد وتحير ثم قال: اسقني. فأخرجت له ماءً فشرب وحمد الله، وأرجعت الإناء ورجعت فوجدته على حاله جالساً.

فقالت: يا عبدالله ألم تشرب؟. قال بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم أعادت عليه مثل ذلك فسكت.

فقالت في الثالثة: سبحان الله يا عبد الله قم عافاك الله إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على باب داري، ولا أحلّه لك.

فلما وصل الأمر إلى حالة الإشكال الشرعي قام (وتصفه الروايات وقد اسودت الدنيا في عينيه) وقد تبادرت منه دمعة.

فقالت: مم بكاؤك؟ ولم أقل لك شيئاً وأنت رجل ذو وقار.

فقال: وأي أمر أمض لقلبي وأجلب لحزني وهو قولك (اذهب إلى أهلك).

فقالت: معاذ الله في هذا؟.

قال: اعلمي أنه ليس لي أهل في هذا المصر ولا عشيرة، فهل لك أجر ومعروف ولعلي مكافئك بعد اليوم؟. ويا لها من كلمة.

فقالت: من أنت؟.

فقال: إن كنت تسأليه عن البلد فأنا من بلد الوحي والتنزيل، وان كنت لم تسأليني عن العشيرة فأنا ممن خدمتهم ملائكة الجليل وإن تسألين عني فإني مسلم بن عقيل.

حين ذلك لطمت وجهها وقالت واخجلتاه منك يا سيدي واخجلتاه من عمك أمير المؤمنين ادخل إلى دارك وبيتك.

ثم يكمل المصيبة إلى أن جاءت طوعة تسأل عنه فقيل لها أنه قد استشهد ورميت جثته من أعلى قصر الإمارة.

الموضوع الثالث الذي يمكن طرحه في الليلة الخامسة من محرم:

خطوات مسلم بن عقيل (رض) إلى الكوفة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من الكوفة ثمانية عشر ألفا، فعجَل الإقبال حين يأتيك كتابي والسلام».

هنا أول وآخر كتاب وصل إلى الحسين عليه السلام من مسلم بن عقيل (رض) لما وصل الكوفة، فهو الكتاب الوحيد إذن الذي عكس فيه مسلم الحالة التي استقبل فيها بالكوفة، والسؤال الذي يطرح هنا هل أن مسلماً (رض) وعى مجتمعه الذي أرسل إليه أم انه بعث الكتاب انخداعاً بالجو الجماهيري العام المتعاطف مع أهل البيت عليهم السلام. خاصة وأن هناك أموراً يكون قد قالها أصحابها ليشيروا ولو بطرف خفي إلى احتمال صدق مواقف ذلك المجتمع.

أعني أن مسلماً (رض) لما وصل إلى الكوفة واجتمع إليه الناس وكلّما دخل

عليه مجموعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام الذي بعثه معه إلى الكوفيين وهم يبكون ويبدون استعدادهم لنصرته وتأييده حيث أن عابس ابن أبي شبيب الشاكري (ره) قام وقال: (**إني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم وما أغرّك بهم والله إني أحدثك عمّا أنا موطّن عليه نفسي والله لأجيبنكم إذا دعوتم ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله**) وما كاد ينتهي ابن أبي شبيب الشاكري من مقالته هذه حتى وثب حبيب (رض) وقال: (**رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز من القول وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما أنت عليه**) ثم قال سعيد بن عبدالله الحنفي مثل قولهما.

وهؤلاء الثلاثة رجال صدقوا وقتلوا بأجمعهم بعد ذلك يوم عاشوراء.

أقول ألم تكن هذه المقالات تشير إلى عدم اطمئنان الثلة المؤمنة لهذا الاندفاع الجماهيري؟؟.

لا شك وأن ذلك الأمر أخذه بالإعتبار سفير الحسين عليه السلام ولكنه يعلم كما يعلم كل أصحاب المبادئ أن استجابات الناس واستعداداتهم متفاوتة في الدفاع عن مبدأ ما وفكرة ما.

ولهذا كان الناس في ذلك الوقت ـ واقعاً ـ صادقين في اندفاعهم إذ لا ضريبة تدفع من أجل البيعة فالوالي مسالم والجو العام مع مسلم (رض) فلم لا يبايع الناس وهم مؤمنون بالحسين عليه السلام وبصدقه ونزاهة حركته ولا ريب أن ذلك التطور طمأن مسلم بن عقيل (رض)، فأرسل كتابه الأول والأخير للحسين عليه السلام.

فما هي الخطوات التي خطاها مسلم (رض) حين وأثناء تلك الفترة في ولاية النعمان بن بشير.

١ ـ اتخاذه دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي مقراً لعمله وغرفة لعمليات حركته تأتي اليه أفواج المبايعين.

فالرجل من ثقاة الشيعة وشجعانها، ومن رجال الكوفة المشهود لهم بالفضل والمنزلة، كما أنه صهر للوالي، إذ أن المختار كانت زوجته ابنة الوالي النعمان بن بشير.

٢ ـ قام مسلم بتوزيع المسؤوليات على أصحابها، فمثلاً كانت مهمة أبو ثمامة الصائدي جمع الأموال التي يحتاجها تحركه وكان مسلم بن عوسجة الأسدي يأخذ البيعة له. وهو دائم اللقاء بهم والتحدث معهم.

فاختار إذن مجموعة من خيرة أصحاب عمه وابن عمه عليه السلام كحلقة ارتباط بينه وبين الأمة ومجساً دقيقاً وصادقاً لتحركهم.

٣ ـ فتح سجلاً للمبايعين وعشائرهم.

٤ ـ اهتمامه بشراء السلاح واستئجار بيوت تكون مقراً للرجال ومشاجب للأسلحة. وهكذا كانت الأمور تجري على خير ما يؤمل ويرتجى.

ولكن لا يسكت المنحرفون وأعداء الله والدين عن هذا التحول المبارك في مسيرة الأمة فكانت مراسلة مجموعة من العناصر الموالية للأمويين إلى يزيد يحذرونه من خطورة ترك الأمر هكذا في الكوفة.

فكتب عبد الله بن مسلم الحضرمي وعمارة بن عتبة بن معيط (أخو الوليد) وعمر بن سعد إلى يزيد: (أما بعد فإن مسلم بن عقيل (رض) قدم الكوفة وبايعته شيعة الحسين بن علي فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوّك فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو يتضعف).

فكان الاختيار على السفاك بن السفاك عبيد الله بن زياد الذي كان مجيئه إلى الكوفة يعني تغييراً مريعاً في حركة مسلم بن عقيل (رض) وعلاقة الناس بها لأن حكومة المستبدة تأثير كبيرة على ميول الناس وتوجيهاتهم.

وهكذا أعلنها ابن زياد تهديداً ووعيداً وتخويفاً في الأمة أجمع ثم استدعى

العرفاء وأخافهم (من وجدنا في عرافته رجل من جماعة ابن عقيل صلبناه على باب داره).

فكانت خطوات ابن زياد:

١ ـ تسخير العرفاء لإحضار كل المعارضين للنهج الأموي وتقديم أسمائهم وأعمالهم وعشائرهم.

٢ ـ قيام العرفاء بدور الرقابة لمتابعة من له ميل مع مسلم (رض).

وكما ذكرنا يصلب العريف الذي لم يخبر عمن في عرافته من شيعة الحسين عليه السلام وإلا يمكن أن يتعهد بعدم وجود المخالف للحكم في عرافته وقام العرفاء بتلك المهمة التي كانت تستهدف أموراً:

ـ الحد من تيار التعاطف الجماهيري مع مسلم.

ـ الضغط على المبايعين بالانسحاب وإعلان التبرؤ.

٣ ـ المبالغة في إشاعة أجواء الخوف والرعب وتسخيرها لقتل روح الاندفاع الرسالي في الأمة.

٤ ـ إشاعة وتركيز مفهوم الأخلاقية المادية في شراء الذمم والرشاوى.

٥ ـ محاولة إثارة التعصب القبلي.

٦ ـ الترغيب بالوعود المعسولة فيما لو أطاعوا ابن زياد.

٧ ـ التخويف من الخطر الوهمي القادم من الشام.

ولهذا كان على مسلم (رض) اتخاذ خطوات مقابلة ليفسد على ابن زياد حركته، فبدأت مرحلة العمل السري والمتكتم والدقيق وانسحبت مظاهر الولاء التي كانت ظاهرة إلى همهمات وإشارات والخطوات التي قام بها مسلم (رض):

١ ـ نقل مقر إقامته من دار المختار إلى دار هانئ بن عروة لأسباب:

٢ ـ أن دار المختار قد عرفت واكتشفت من قبل الناس والدولة على حد سواء حينما كانت الجماهير تؤمها لإعلان البيعة لمسلم (رض).

٣ ـ إن الحماية التي كان يوفرها الوالي السابق قد ذهبت بنهايته.

٤ ـ لأن هانئ بن عروة إضافة إلى قدمه في الإيمان والولاية فهو رجل صاحب جاه اجتماعي وامتداد جماهيري كبير وتعاطف قبائلي لا يستهان به. صحابي هو وآبوه.

٥ ـ هناك أمر كشف عن تطورات الموقف وهو وجود حالة احترام بين زياد وابن عروة كشف عنها ابن زياد لما علم بوجود مسلم في بيته وذكرها من قبيل ذكر الجميل والفضل على هانئ (**ألم تعلم أن زياد قد قتل هذه الشيعة عدا أبيك وعداك!!**).

وبالتالي فإن اختيار مسلم لهذه الدار مقراً يعتبر أفضل الخيارات المطروحة أمام سفير الحسين عليه السلام.

٦ ـ إصدار أوامر مشددة بالسرية وهذا أمر واضح من خلال بقاء ابن زياد متحيراً لعدة أيام لا يدري كيف يهتدي إلى مكان ابن عقيل حتى تمكن بمسألة الاختراق عبر جاسوسه المحترف معقل.

٧ ـ أوامر مسلم بن عقيل (رض) إلى العناصر البارزة والمكتشفة بالخروج إلى خارج الكوفة وتحديد ساعة صفر معينة لاقتحام القصر على ابن زياد كالمختار ورايته الخضراء وابن عبد الله بن الحارث بن نوفل برايته الحمراء.

٨ ـ إعطاءه كلمة السر (**يا منصور أمت**) للرجال الذين جمعهم في عدة دور في الكوفة مع السلاح.

وهنا يأتي السؤال عن تطور كبير وهو زيارة ابن زياد لدار هانئ ليعود شريك بن عبدالله الهمداني الشخصية الشيعية الكبيرة التي جاءت من جهة البصرة حيث تمارض فأخبر ابن زياد أنه يريد عيادته.

فهنا قال شريك لمسلم (رض) (**لا يفوتنك إذا جلس**) ولكن ابن زياد جاء

وخرج ولم يخرج إليه مسلم (رض) ولم يباغته بسيفه على الرغم من نداءات شريك له:

فما الانتظار بسلمى أن تحيوها حيّوا بسلمى وحيوا من يحييها
كأس المنية بالتعجيل اسقوها

فلماذا لم يخرج مسلم (رض) لقتل ابن زياد ولانتهاء تلك المحنة؟؟

١ ـ نراجع أصل الاقتراح لماذا يطلب أساساً من قائد الحركة أن يقوم بهذه المهمة، لماذا لم يقترح شريك وغيره على رجل آخر القيام بهذه المهمة والقضاء على ابن زياد من جهة وعدم إحراج مسلم من جهة أخرى.

٢ ـ إن مسلم أجاب بما سأله شريك عن عدم خروجه على ابن زياد بأن ذلك يعود لأمرين:

١ ـ كراهية هانئ أن يقتل في بيته (وقيل بل زوجته).

٢ ـ الحديث الذي سمعه ممن سمعه عن رسول الله ﷺ:

«**إن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن**).

٣ ـ فإذن هناك سببان أبرزهما مسلم بن عقيل (رض) بحيث يؤدي ذلك الى:

١ ـ أن يسبب إحراجاً شديداً لهانئ الذي استضافه وخدمه في أحرج الظروف فكيف يقوم بفعل يؤدي إلى إحراج مضيفه.

٢ ـ عدم إمكانية بقاء مسلم في دار هانئ مستقيلاً ولا يعلم أحد بالتطورات التي تحصل فيما لو قتل ابن زياد هناك

٣ ـ التسبب بإحراج موقف هانئ اجتماعياً وقبائلياً بحكم صلاته وعلاقاته وموقعه الاجتماعي. ولكن هل أن هانئ لم يكن بذلك الوعي التي نمتلكه الآن وننظر من خلاله الأحداث.

٤ ـ قتل ابن زياد يغير المعادلة بأجمعها.

والسبب الآخر الذي منع مسلماً هو الحديث الذي سمعه فإنه سوف يغتال ابن زياد والفتك أعم من الاغتيال وإن كان قد يأتي بهذا المعنى؟.

والواقع أنه لا يوجد إشكال شرعي على اغتيال ظالم كهذا لينتصر به الإسلام وأهله فإذن لا بد أن يكون المانع ذلك هو الأسلوب الأخلاقي للتعامل مع الآخرين أصدقاء كانوا أو أعداء والا يكن في نهج الإسلام ابتداءً الحرب والاعتداء على الآخرين وابن زياد إلى تلك الساعة لم يتحرك ولم يصدر منه شيء.

٤ ـ كما أن من المحتمل أنه قرر عدم مصلحة تلك الخطوة أما باجتهاده وتقييمه للواقع، أو لوصية خاصة من الحسين عليه السلام وإلا فلما لا يهرب من المواجهة ولا تعوزه الشجاعة واليأس ولا يعوزه حسن التدبير منعه إلقاء القبض على هانئ. ندائه بكلمة السر يا منصور أمت وتوزيع الألوية والإحاطة بالقصر.

التخلص:

ورغم تلك الانتكاسة فقد بقي (رض) على ثباته وإصراره ولم يبد للعدو أي خضوع عندما أحيط به في دار طوعة بعد تفرق الناس عنه وهو يرتجز ويقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع ... فأنت بكأس الموت لا شك جارع

فصبراً لأمر الله جل جلاله ... فحكم قضاء الله في الخلق شائع

أقسمت لا أقتل إلا حراً ... وإن رأيت الموت شيئاً نكرا

كل امرئ يوماً ملاقٍ شرا ... رد شعاع الشمس فاستقرا

حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ولما بعث ابن الأشعث يستمد رجالاً من ابن زياد قال لقد بعثناكم إلى رجل واحد فصنع بكم هذا الصنيع فكيف إذا بعثناكم لغيره

يعني بذلك الحسين عليه السلام ولكثرة ما أعياه نزف الدم وبعد أن طعنه رجل برمح سقط وتكاثر عليه القوم فبقي على ثباته وقد شتت شمل دولة ابن زياد في تلك المواجهة الباسلة ومن ثم عاد فمرغ كبرياءه ابتداءً من دخوله عليه ولم يسلم، فهو يقول لمن قال له سلم على الأمير (ما هو لي بأمير).

وعندها قال له ابن زياد بعد محاورة عنيفة: «**قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام**».

فأجابه: «**أما انك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه أما انك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك..**». ولما أمر به أن يصعدوا به إلى القصر ويقتلوه ويرموا رأسه وجثته، صعد وهو يذكر الله ويكبر ويستغفر ويقول:

«**اللهم أحكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وأذلونا..**».

ثم وجه وجهه إلى جهة المدينة ورمق السماء بطرفه وانطلقت دمعة من عينه وهو ينظر إلى أهله القادمين من مكة...

ويمكن أن يعرّج على مصيبة دخول السبايا إلى الكوفة ومجيء يتيمته حميدة ولقائها مع طوعة التي قصت لها ما جرى على أبيها وإيراد الشعر المناسب.

أنصار الإمام الحسين عليه السلام

تختص هذه الليلة في موضوعاتها ومصائبها بذكر أنصار الحسين عليه السلام، وما يؤدي إلى بيان مواقفهم يوم عاشوراء، مع ذكر تراجم البعض منهم.

أولاً ـ قصائد الليلة السادسة:

تحفل القصائد الرثائية بعدد واضح من القصائد التي تعنى بذكر الأنصار ومواقفهم وتضحياتهم ومن هذه القصائد.

١ ـ قصيدة السيد رضا الهندي رحمه الله، ومطلعها[١]:

أوَ تجدَ أبيضَ القذالُ وشابا　　　أصبوا لوصل الغيدِ أو أتصابى

٢ ـ من قصيدة للسيد جعفر الحلّي، رحمه الله ويختار من قول الشاعر[٢]:

في معركٍ قد ضاق في أهله　　　واتّسع الخرقُ ولاحَ الفنا

٣ ـ قصيدة للسيد رضا الهندي رحمه الله ومطلعها[٣]:

كيف يصحو بما تقول اللواحي　　　من سقته الهموم أنكد راحِ

---

(١) الدر، ص١٠ ـ الرياض، ص١٣٤.

(٢) الرياض، ص٢٣٤.

(٣) الرياض، ص١٣٧ ـ الدّر، ص٨٧.

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة

يمكن اقتطاع بعض المقاطع من خطب الإمام الحسين عليه السلام فيما يخصّ أنصاره وتقريظهم، مثل قوله عليه السلام:

«إني لا أعلم أصحاباً أوفى من أصحابي ولا أهل بيت أبرَ من أهل بيتي».

أو قوله عليه السلام:

«والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمّه».

أو ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام فيهم:

«هم سادة الشهداء لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق».

وما يناسب ذلك من المعاني والعناوين.

ثالثاً ـ البحث:

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة السادسة من محرم:

اختبار الحسين عليه السلام لأصحابه وإعدادهم ليوم المواجهة في عاشوراء:

قال سيد الشهداء عليه السلام:

«والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس[1]، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه».

بهذه العبارة الرائعة قيّم الحسين عليه السلام وبيّن صلابة أصحابه وذوبانهم في حركته، وتوطينهم لأنفسهم للقتل معه. وانظر إلى دقة تعبيره عليه السلام التي استخدمها في وصفهم وتقريظهم، (الأشوس) وهو الشديد الجريء في القتال

(١) الأقعس: وهو الثابت الشديد الذي يمشي وصدره بارز وقد التصق ظهره بصدره.

مع شعور بالاستعلاء والنخوة، (وتشاوس الرجل، أي نظر بمؤخر عينه تكبّراً أو تغيظاً)، فهم شجعان قد امتلئوا فخراً وقوة واستعلاءً على أعدائهم.

دكّوا رباهم ثم قالوا لها وقد جثوا نحن مكان الرُبى

ويا لهما من وصفين رائعين طمأن بهما الحسين عليه السلام قلب أخته الحوراء عليها السلام، ليلة عاشوراء لما سألته هل استعلمت من أصحابك نياتهم؟!.

ولو توقفنا عند قول الحسين عليه السلام هذا، فإن هذا التقييم لأصحابه جاء بعد اختبار وابتلاء:

«والله لقد بلوتهم...».

لقد أراد الحسين عليه السلام أن يواجه عنجهية بني أمية، الذين تيقنوا من موت نخوة الإسلام في نفوس المسلمين، موت العزائم وخور الهمم، أراد الحسين عليه السلام أن يهيئ أصحاباً أبطالاً يواجهون ذلك التحدي، ويثبتون معه إلى آخر الطريق، بلا تلكؤ ولا تردد، ولو أن شخصاً واحداً فقط من أصحاب الحسين عليه السلام أبدى تنازلاً وندماً، والتحق بالجيش الأموي، لاستخدمهُ الأمويون استخداماً سيئاً، ولما كانت واقعة كربلاء بذلك البهاء، وتلك البطولة والشموخ الأسطوريين.

نعم لقد أدخل الحسين عليه السلام الذين اتّبعوه في اختبارات متتالية:

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

لقد ذهبت بعض المصادر، إلى أن الذين لحقوا بالحسين عليه السلام من الأعراب ومن لقيهم في الطريق بلغوا ستة آلاف، وقد يكون هذا العدد مبالغ فيه، ولكنه يكشف ضخامة عددهم... فكيف انتهوا إلى ذلك العدد القليل من (٧٢ ـ ١٤٥) كحد أعلى.

(١) سورة آل عمران، الآية/١٤١.

نعم. لقد قام الحسين عليه السلام بعدة اختبارات ومراحل تمحيص، حتى لم يبق معه إلا المخلصون الأوفياء. وأبرز هذه الاختبارات هي:

الاختبار الأول:

لما تأكد الحسين عليه السلام من استشهاد ابن عمه مسلم (رض) ورسوله عبدالله بن بقطر، خطب الناس في زبالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل (رض) وهاني بن عروة وعبدالله بن بقطر وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه حرج منا ولا ذمام».

فتفرق عنه الناس يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة ونفر يسير ممن انضموا إليه. وكان قد لحق به عليه السلام جمع غفير من الأعراب في الطريق، لظنهم أنه سيأتي إلى بلد قد استقامت له طاعة أهله.

كان عليه السلام دائماً ما يذكر ما جرى على يحيى بن زكريا عليه السلام، وكيف أن رأسه كان يحمل من بلد لآخر... وكان شبحُ الموت وما ينتظر ركبه من قتل، مخيماً على ذلك الركب. ولم تكن هناك أجواء توحي بالغلبة عبر تمنّيات يطلقها الحسين عليه السلام بل كان عليه السلام يؤكد ما يسمعه ممن يلقاه في طريقه من أن قلوب الناس معه وسيوفهم عليه!!.

الاختبار الثاني:

ولما وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء، قام خطيباً فيمن بقي من أصحابه بعدما جمع أهل بيته ونظر إليهم وقال:

«اللهم إنا عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وقد أُخرجنا وطُردنا وأُزعجنا عن حرم جدّنا، وتعدت علينا بنو أمية. اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين».

ثم جاء عليه السلام إلى أصحابه وقال:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلَّ الديّانون. أما بعد؛ فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»!!.

فهنا الحسين عليه السلام يعرض أمام أصحابه الموقف الجديد ويعلن فيه تصميمه على الموت!! فما يكون ردهم على هذه المقالة؟.

ولهذا بادر زهير قائلاً:

«سمعنا يا ابن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين، آثرنا الموت معك على الإقامة فيها»!

ثم قام برير وقال:

«لقد منَّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك».

وقام نافع بن هلال فذكر للحسين عليه السلام ما قاساه جده ﷺ وأبوه عليه السلام ثم قال:

«وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته، فلن يضرَّ إلا نفسه والله مغنٍ عنه! فسر بنا راشداً معافى مشرّقاً إن شئت أو مغرّباً ... وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك»!.

إذن أدرك أصحاب الحسين عليه السلام أن مقالته لم تكن مجرد إخبار بحال معينة وإنما هي محاولة لاستنطاق مواقفهم ونياتهم.

إنهم على وعيهم وبصيرتهم، التي ترجموها بموقفهم العملي يوم عاشوراء،

حتى صرّح عدوهم عمرو بن الحجاج صارخاً بجماعته: «أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين». شجاعة، وعي، استماتة (تضحية). فهم لم يكونوا مجرد شجعان وأبطال بل كانوا إضافة إلى كل هذا واعين مدركين!.

والحسين عليه السلام كان يمارس عمليتين متضادتين ظاهرياً، ولكنهما تؤديان إلى اصطفاء هذه الثلة المخلصة، واستخلاص هذه المجموعة النقيّة. فقد كان عليه السلام تارة يدعو إلى نصرته (قبل يوم عاشوراء)، وتارة يطرح على من لحق به واتبعه أنهم غير ملزمين ببيعته... فلماذا يدعوهم أولاً، ولماذا يأذن لهم بالانصراف ثانياً؟.

إن الإمام الحسين عليه السلام كان يريد توسيع دائرة التفاعل مع ثورته، ومواجهة مخطط الأمويين في إماتة روح الجهاد والمقاومة، وكلما كثر الأنصار اتسعت هذه الدائرة، ولهذا كان يدعو إلى نصرته، أما لماذا يأذن لهم بالانصراف ويخيّرهم بين البقاء معه أو الابتعاد عنه فهذا لأنه لا يريد أتباعاً كيفما اتفق. أنهم كانوا في مستويات وعي واستعدادات للتضحية مختلفة، فلا بد أن يقوم بعملية غربلة وتمحيص، ثم انتقاء واصطفاء ضمن مواصفات يرتئيها!!.

الاختبار الثالث:

وكان هذا الاختبار ليلة عاشوراء، على أثر التغيّر الحاد الحاصل في موقف الجيش الأموي، إذ زحف لحربه عصر تاسوعاء، فاستمهلهم الحسين عليه السلام سواد ليلتهم تلك...

وهنا لا بد من معرفة مدى الاستعداد وتصعيد مستوى المواجهة. وهكذا نجد أن كل اختبار من هذه الاختبارات كان بعد تغيّر حاد في منحنى مسيرة الركب الحسيني، فالأول كان بعد التأكّد من تغيّر أوضاع الكوفة سلبياً، واستشهاد مسلم وهاني وعبدالله بن بقطر.

والاختبار الثاني؛ كان عند الوصول إلى كربلاء، وحبسه عن التحرك وإنزاله في أرض على غير ماء..

والاختبار الثالث؛ بعدما زحفت الجيوش لحربه عصر يوم تاسوعاء ومساء عاشوراء.

فقد جمع عليه السلام أصحابه قرب المساء، وحمد الله وأثنى عليه، وذكر نعمه تعالى عليه:

«اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين. أما بعد؛ فإني لا أعلم أصحاب أوفى ولا خيراً من أصحابي. ولا أهل بيت أبر ولا أوصل، من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً».

وبعد هذه المقدمة قال عليه السلام:

«ألا وأني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وأني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ. ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فإن القوم إنما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»!.

والملاحظ أن هذا الخيار قد وصفهُ الحسين عليه السلام، أمام أهل بيته كما وضعهُ أمام أصحابه. لحراجة الموقف وغياب أي احتمال، إلا احتمال المواجهة والحرب المعروفة النتيجة مسبقاً.

إن الحسين عليه السلام يعطي خيار الانسحاب لأصحابه وأهل بيته، ليكشف هذا الاختبار عن عمق إيمان تلك النفوس، ومواقف أولئك الصفوة التي رددتها الأجيال ودرستها القرون.

فبعد أنّ ردّ أهل بيته وأكّدوا موقفهم وعزمهم، قام مسلم بن عوسجة وقال:

«أنحن نخلّي عنك وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ أما والله لا أفارقك حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضرب بسيفي، ما ثبت قائمهُ بيدي».

ثم قال سعيد بن عبد الله الحنفي:

«والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا، ثم أحرق حياً، ثم أذرى يُفعل بي ذلك سبعين مرة، لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً».

وقال زهير:

«والله وددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة، وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك».

وهكذا صفت تلك النفوس وطهرت، ونجحت في الاختبار، وهكذا مدحهم أمام أخته الحوراء عليها السلام:

«والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني، استيناس الطفل إلى محالب أمّه».

مدح وثناء بعد عدة اختبارات وتمحيص وابتلاء.

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ما أثنى الله تعالى على عبد من عباده من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله، إلا بعد ابتلائه».

فكرامات الله في الحقيقة نهايات، بداياتها البلاء!.

التخلص

وكانت النتيجة؛ تلك البطولة الفريدة وذلك الثبات الأسطوري، حتى قيل لرجل شهد واقعة الطف مع ابن سعد: ويحك أقتلتم ذرية رسول الله؟

فقال: عضضت بالجندل، أنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها على مقابض سيوفها، كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، تلقي نفسها على الموت، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً، لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أمّ لك!!!.

ومن عظم نفوسهم، أنهم لم يسمحوا بأي أذىً يمس سيدهم وإمامهم. بل ولا يمس أحداً من أهل بيته قبلهم، فكانوا السباقين للقتال والدفاع عن آل الله وآل رسوله يوم عاشوراء.

وتذكر كتب المقاتل أن الهاشميين يقدمهم أبو الفضل عليه السلام، والأنصار يقدمهم حبيب، جاءوا إلى الحسين عليه السلام يحتكمون: أيّهم يبدأ القتال. فسمع الحسين عليه السلام مقالة كل فريق. ولما رأى إصرار الأنصار على التضحية، دمعت عينه وقال:

«بل يبدأ بذلك أنصارنا».

فكبّروا ورفعوا سيوفهم عالياً...

﴿ولقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه..﴾.

حيث أبلوا البلاء الحسن، وبرزوا إلى مصارع العزّ والإباء، باندفاع وإخلاص وشمم... وكل من أراد منهم الخروج إلى المعركة استأذن الحسين عليه السلام في الدفاع عنه والذبّ عن حرمه... وتهافتوا على الموت.

وكل يقول إذا أراد الاستئذان:

«السلام عليك يا أبا عبد الله..».

وهو يقول:

«**وعليكم السلام ويقرأ قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾**».

حتى بقي الحسين عليه السلام وحيداً فريداً في ساحة كربلاء، ينادي عليهم بأسمائهم ولا من مجيب أو مغيث... (ثم ندخل في المصيبة باعتبار الأبيات المناسبة من فصيح وشعبي).

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة السادسة من محرم:

دور المرأة المؤمنة، في واقعة الطف:

في ليلة الأنصار، نتعرض لمواقف بعض المؤمنات يوم عاشوراء حيث لا بد من تأكيد دور المرأة المؤمنة، في واقعة الطف، ونبدأ بآيات قرآنية ثم بمسيرة سريعة على بعض مواقف نسوة مؤمنات مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أمير المؤمنين عليه السلام ونربط ذلك بواقعة كربلاء.

وهنا اخترنا (آية قرآنية) كعنوان لأول مرة في مجالسنا لمزيد من التنويع وتوسّيع مادة (العنوان) أمام الخطيب الحسيني.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1].

وردت هذه الآية بعد آيات ذكرت المنافقين والمنافقات، وعرّضت بهم وفضحت مكائدهم...

ثم جاءت هذه الآية لتعطي صورة رائعة عن فئة المؤمنين رجالاً ونساءً. ولتوضّح مدى العلاقة والولاية والمسؤولية التي تناط بكلا الفئتين... إنها

(١) سورة التوبة، الآية/٧١.

مسؤولية التصدي لأعداء الدين، والقيام بأكبر المهمات في المجتمع المسلم، ألا وهي مهمة (**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**).

والإسلام حينما يعطي للمرأة هذه المنزلة الخطيرة، ويقلّدها هذه المسؤولية العظيمة، ليشير إلى نظرته حول أهمية دور المرأة في المجتمع.... ويجب أن لا ننسى، أن هذه الآيات نزلت في عصور التخلف والجهل والاحتقار الكامل للمرأة.

فالحضارة اليونانية؛ تنظر إلى المرأة كمخلوق منحط لأنها نسل الشيطان.

والهنود يوجبون على المرأة أن تخاطب زوجها بخطاب الإله والملك ولا يحق لها التزوج عند موته. وكانت ظاهرة (الساتي) منتشرة؛ وهي حرق الأرامل مع أزواجهن عند موتهم.

واليابانيون؛ يوجبون أن تعيش المرأة تحت سيطرة رجل أبداً ولا يرون لها ميراثاً.

والصينيون؛ كان يحق لهم بيع نسائهم وحرقها، وهناك شاعر صيني يتحدث عن لسان امرأة فيقول: ما أقبح وآلم أن يكون الإنسان امرأة، إذ ليس في الأرض شيء رخيص مثلها!!

والرومان يعتقدون أن المرأة هي المظهر الكامل لتجسد الشيطان وكل الأرواح المؤذية، بل وما تزال لحد الآن وفي أوروبا ومدنيتها الحديثة توجد بعض الدول التي لا ترى للمرأة حقاً في التملك والإرث...

ولنعود إلى الآية المباركة ونتساءل هل هناك مصاديق لهذا المفهوم القرآني الكبير والعظيم؟... فهل هناك نساء وقفن مواقف رسالية مع المؤمنين؟...

نعم، إن هناك نماذج إيمانية لنساء مؤمنات، لا زالت تشع عطاءً وروعةً. وتنير أمام نسائنا وفتياتنا طريق الإيمان، ليكنّ لهنّ القدوة الصالحة، بدلاً من تعلق بعض فتيات المسلمين بالممثلات والمغنيات!! فيحفظن قصص حياتهن،

ومخازي علاقاتهن اللامشروعة، وما هو عدد الأفلام التي مثّلنَ والأدوار وإلخ... وقد حاول أعداء الإسلام أن يزيحوا النماذج الإيمانية من فكر وتطلعات المرأة المسلمة، لتنصب مكانها الصور المهزوزة والخبيثة لنساء ساقطات منحرفات.

إذن فلنرجع إلى تاريخنا الإيماني ونسائله، عن نماذجنا النسوية التي قامت بأدوارٍ مهمة في تربية الأجيال وشدّها نحو شرعة السماء. فهذه آسية بنت مزاحم، التي عاشت في بيت فرعون ذلك الطاغية الذي جعل من نفسه إلهاً دون الله... فبرغم شدة ظلم زوجها وإغراءات المنصب والأموال والمكانة الاجتماعية المرموقة، فقد آمنت بموسى عليه السلام ودينه. وقالت:

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾[1].

حتى تعرضت للتعذيب، ودقت المسامير في كفيها وقدميها، ما صدها ذلك عن دينها!.

وموقف آخر لا يقل روعة وعطاءً عن موقف آسية وهو موقف أم عُمارة (نسيبة بنت كعب المازنيّة) التي قال عنها النبي ﷺ:

«إن موقفها خير من موقف فلان وفلان وأخذ يعدد رجالاً انهزموا وتركوا النبي ﷺ وحده، يوم أُحُد».

نعم فهذه المرأة وقفت تدافع عن رسول الله ﷺ وعن عقيدتها المتمثلة بشخص النبي ﷺ، وعن موقفها كامرأة مؤمنة مهاجرة، حتى ضربت على عاتقها ضربة أجافتها، واستمرت في علاجها لمدة ستة أشهر... وكانت تحمل الماء وتسقيه للمقاتلين، وتحمل سيفاً تذب به عن وجه رسول الله ﷺ. ثم جاءت وهي تقود جملاً عليه ثلاث جنائز لزوجها وأخيها وابنها وقد أشاع المنافقون

(١) سورة التحريم، الآية/١١.

مقتل النبي ﷺ (في واقعة أُحُد) لتثبيط عزائم المؤمنين وفلّ قوتهم، فاعتلاها الهمّ من هذه الإشاعة. ولكن لما رأت وجه رسول الله ﷺ قالت: من هذا؟!. الحمد لله الذي أراني وجهك يا رسول الله... قال: من أنت؟. وكانت تدفع الجمل وتقول: حلّ، حلّ، أنا أم عمارة. فقال ﷺ:

«عظم الله لك الأجر بمن فقدت».

فقالت: الحمد الله الذي أراني وجهك يا رسول الله، كل مصيبة من بعدك جلل.

وهناك موقف لامرأة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهي سوادة بنت عمارة الهمدانية، التي وفدت على معاوية بعد استتباب الأمر إليه، حيث تعرض حيُّها إلى هجوم واستباحة الطاغية بسر بن أرطأة، فجاءت معاوية تطالب بحقها وبحق قومها، ومهدت له حيث قالت: فإما عزلته شكرناك وإما لا عرفناك. فقال معاوية: إياي تهددين بقومك، لقد هممت أن أردك إليه، على قتب أشرس فينفذ حكمهُ فيك. فسكتت ثم قالت:

صلى الإله على روح تضمّنه ... قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفوناً

قد حالف الحق لا يبغي به ثمناً ... فصار بالحق والإيمان مقروناً

قال: ومن ذلك! قالت: علي بن أبي طالب. قال: ما أرى عليك منه أثراً... قالت: بلى، أتيته يوماً في رجلٍ ولاّه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين، فوجدتُهُ قائماً يصلّي، فانفتل من الصلاة وقال برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل، فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال:

«اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك وترك حقك».

ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بينةٌ من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءَهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين

بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك، حتى يأتي من يقبضه منك والسلام) فعزله.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها. فقالت: إليّ خاصة أم لقومي عامة؟ قال: وما أنت وغيرك. قالت: والله إذن هي الفحشاءُ واللؤم، إن كان عدلاً شاملاً وإلا يسعني ما يسع قومي، قال: هيهات علمكم ابن أبي طالب الجرأة. وغرّكم قولُه:

لقلت لهمدان ادخلي بسلام ولو كنت بوّاباً على باب جنةٍ

اكتبوا لها حاجتها!!! وهناك عدة نساء تعرضن لترويع معاوية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما النساء اللواتي ساهمن في ثورة الحسين عليه السلام، وسطّرن مواقف الإباء والثبات في زمن تهرب فيه الرجال عن مسؤولياتهم، رغم طلب الحسين عليه السلام لهم بالمشاركة والنصرة... ولكنه زمن الخنوع وأيام الوهن وضعف الإرادة وتكالب الناس على الدنيا وحطامها الزائل...

نعم تطالعنا مواقف لنساء المبدأ، اللواتي شاركن في أحداث الطف الدامية، التي ما تزال تضخ عطاءً للأجيال...

فهذه دلهم بنت عمرو؛ زوجة زهير بن القين التي قالت لزوجها عندما حطوا رحالهم في زرود، وجاء إليه رسول الحسين عليه السلام، فتحير ووجم ولم يعرف جواباً فبادرته قائلة: **سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله ﷺ ولا تجيبه؟ ما ضرّك لو أتيته فسمعت كلامه ثم انصرفت؟.**

فكان موقفها سبباً لتحوّل زهير إلى معسكر الحسين عليه السلام.

ولما فارقها بكت وقالت له مودعة: «**خار اللهُ لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام**».

وهذه امرأةُ علي بن مظاهر أخ حبيب، يراها زوجها متكئة على عمود خيمتها شاردة الذهن مفكرة.

فقال لها: أنت في حلٍّ مني، فإنه لا بد من قتل الحسين عليه السلام وأنصاره وأنا منهم. فما كان منها إلى أن انتفضت وهي تقول متسائلة عن مصير بنات الرسالة والنبوة فيخبرها ببقائهن وتعرضهن للسبي، فقالت: «**أيسرك أن ترى بنات رسول الله ﷺ سبايا وأنا لستن معهن؟ لا يا علي أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء**».

فذاقت الشهادة وذاقت السبي ولو إلى أمد قصير قياساً بالهاشميات...

وحينما يثب أبو وهب عبيد الله بن عمير الكلبي يجاهد دون الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وكان جديد عهد الزواج وقد التحق بركب الحسين عليه السلام في الطريق مع أمّه وزوجته، فقامت إليه زوجته وتعلّقت به وهي تقول: لا تفجعني في نفسك فإنّا جديد عهد بالزواج! وإذا بأمه تقول له: «**بني لا تسمع كلامها وامضي لنصرة الحسين عليه السلام وبيَض وجهي عند جد الحسين**»!.

وهكذا برز وقتل رجلين وعاد يترجز للحسين عليه السلام، وإذا بزوجته قد حملت عمود خيمة وهي تقول: «**لا أدعك حتى أقتل معك..**».

فتعجب من تغيّر موقفها، وقال لها: «**كنت تمنعيني عن القتال والآن جئت تقاتلين معي**»!.

فقالت له: «**لا تلمني إن واعية الحسين كسرت قلبي**».

قال: «**ما الذي سمعتيه منه؟**».

فقالت: «**رأيته في باب الخيمة ينادي: وا قلة ناصراه**»!.

ولما قُتل زوجها ذهبت إليه وجلست عند رأسه، وهي تقول، هنيئاً لك الجنة ثم ضُربت بعمود من حديد فماتت قرب زوجها... وهي أول امرأة قتلت من أنصار الحسين عليه السلام...

ثم خرجت أمه حاملة عموداً وقيل سيفاً وبرزت إلى الأعداء، حتى أدركها الحسين عليه السلام وأرجعها إلى المخيم وهو يقول لها:

«لا يخيّب الله رجاءك»!.

التخلص:

وينحني التاريخ إجلالاً أمام امرأة لم تعرف للعطاء حداً، وهي تشارك بأعظم ما يمكن أن تكون المشاركة يوم الطفوف؛ حيث يسقط زوجها شهيداً مخضباً بدماء الرسالة معطراً بأريج الفداء في الحملة الأولى التي سقط فيها خمسون رجلاً من أصحاب الحسين عليه السلام.

فلما رأت هذه المرأة قلة أصحاب الحسين عليه السلام شيئاً فشيئاً، والحسين عليه السلام يدير طرفه رافعاً صوته:

«أما من مغيث يغيثنا أما من ناصر ينصرنا أما من ذاب يذب عنا».

جاءت إلى صبي لها لم يبلغ الحلم بعد، وهو عمرو بن جنادة الأنصاري. وقالت له: **«ألم تسمع استغاثة سيدك الحسين؟».**

قال: **«بلى يا أماه».**

قالت: **«إذن ما وقوفك عندي؟».**

قال: **«أخشى أن يرجعني سيدي».**

قالت له: لا عليك، فقامت إليه قصّرت ثيابه وشدّت حمائل السيف، فمشى الغلام مسروراً. فلما رآه الحسين عليه السلام اغرورقت عيناه بالدمع، وقال:

«هذا غلام قُتل أبوه في الحملة الأولى ولا أحب أن أجمع على أمه مصيبتين في يوم واحد!».

فقال له:

«امض بني وارجع إلى أمك!».

فقال: «**سيدي إن أمي هي التي ألبستني لامة حربي..**».

فقال عليه السلام:

«**ارجع إليها لعلها تأنس بكَ!!**».

فرجع الغلام باكياً إلى أمه، فلما سألته أجابها بأن الحسين عليه السلام أرجعه فقالت: «**لعله استصغر سنك يا نور عيني**». فجاءت به إلى الحسين عليه السلام وهي تمسكه من كتفيه وقالت: «**سيدي يا ابن رسول الله أتفجع امك الزهراء بولدها ولا أفجع بولدي؟ دع ولدي يقاتل بين يديك**».

فأذن له الحسين عليه السلام فبرز وهو يقول:

أميري حسين ونعم الأمير ... سرور فؤاد البشير النذير

علي وفاطمة والداه ... فهل تعرفون له من نظير

مع إيراد الشعر المناسب لهذه المصيبة وهو متوافر وبصورة مؤثرة.

الموضوع الثالث الذي يمكن طرحه في الليلة السادسة من محرم:

بعض الدروس والعبر المستفادة من مواقف أنصار الحسين عليه السلام:

وهو مجلس يمكن أن يقسّم إلى مجلسين وذلك حسب وقت المجلس وظرفه، وللخطيب أن يأخذه بأجمعه إذا كان أمامه متسع من الوقت.

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«**إني لا أعلم أصحاباً خيراً ولا أوفى من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي**».

ما زال مواقف تلك الثلة المؤمنة في نصرة الحسين عليه السلام وأهله يوم عاشوراء محطة للتأمل والتفكر والاعتبار.

ويا لها من كلمة لإمامهم وسيدهم حينما قال:

«**إني لا أعلم أصحاباً خيراً ولا أوفى من أصحابي، وقد قال فيهم**

من قبل أمير المؤمنين عليه السلام: (هم سادة الشهداء لا يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق) لقد حازوا قصب السبق ونالوا ذروة المجد وشمخوا على قمة العظمة والإباء».

يقف على مصرعهم الإمام الصادق عليه السلام ويزورهم:

«السلام عليكم يا أنصار الله وأنصار رسول الله ﷺ وأيضاً أمير المؤمنين وأيضاً فاطمة عليها السلام وأنصار الحسن عليه السلام وأنصار الحسين عليه السلام السلام عليكم يا أنصار الإسلام!!».

فكيف وصل أولئك الشهداء إلى تلك المنزلة واتخذوا تلك المواقف وحازوا تلك الكرامة:

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

لو تتبعنا ترجمة شهداء الطف من الأنصار لوجدنا غالبيتهم العظمى ممن نال تربية خاصة وإعداداً معيناً وخاضوا معاناة وصبروا على إيمانهم حتى توفقوا لنيل درجة الشهادة صحيح أن البعض منهم من وفقهم الله وكانت نفوسهم طاهرة للانجذاب بسرعة مذهلة نحو دائرة الجذب الحسيني كزهير بن القين ذي الميول العثمانية قديماً أو وهب الكندي الذي تذكر بعض المصادر أنه كان نصرانياً فأسلم على يد الحسين عليه السلام مع زوجته وأمه، أو الحر في آخر اللحظات، إنها حالات نادرة وقليلة.

أما الخط العام للشهداء فهم ممن لاقوا تربية وإعداداً وتهيئة خاصة لنيل هذه الدرجة وبلوغ هذه المنزلة...

نجد منهم ثلة من أصحاب النبي ﷺ الذين عايشوا إخبار النبي ﷺ بقتل الحسين عليه السلام وثواب من ينصره وعظمة أولئك الأنصار فمن هؤلاء الصحابة:

١ ـ الأدهم بن أمية العبدي البصري (رض)، يروي عن البخاري وسكن

البصـرة وكان من الذين يجتمعـون في دار مارية بنت منقذ العبدية تلك الدار التي أحتضنت مجموعة من شيعة البصرة الذين لحقوا بالحسين عليه السلام.

٢ ـ أنس بن أبي سحيم ألكاهلي الأنصاري (رض) الذي يروي عن النبي ﷺ والحسين عليه السلام في حجره ﷺ:

«**إن ابني هذا يقتل بأرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره**».

ولما سمع بخروج الحسين عليه السلام من مكة سار حتى التحق به في كربلاء وقتل معه وكان من أصحاب بدر.

٣ ـ عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري (رض) ممن روى حديث النبي ﷺ:

«**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**».

٤ ـ إضافة إلى مجمع بن زياد الجهني (رض) حيث أنه لما خرج الحسين عليه السلام من المدينة مرّ بمنازل جهينة وهم حول المدينة فالتحق به وبقي معه حتى استشهاده.

وصحابة آخرون صحبوا علياً بعد النبي ﷺ وعاشوا مدرسة وترشفوا توجيهاته وعاشوا فكره ومن أولئك الصحابة الذين صحبوا علياً عليه السلام:

ـ حبيب بن مظاهر الأسدي (رض).

ـ مسلم بن عوسجة الأسدي (رض).

ـ هاني من عروة المرادي (رض).

ـ شوذب بن عبد الله الهمداني (رض) (وهو غير شوذب مولى شاكر) صحابي شارك مع علي عليه السلام في حروبه الثلاث وكان حافظاً للحديث.

ـ شبيب بن عبدالله الكوفي (رض) صحابي شارك مع علي في حروبه الثلاث.

٥ ـ جابر بن عروة الغفاري (رض) بدري قتل يوم عاشوراء وكان شيخاً كبيراً.

٦ ـ نصر بن أبي نيزر (رض) من أولاد النجاشي أسلم على يد النبي ﷺ وعاش مع علي وأولاده عليهم السلام حتى استشهاده في كربلاء.

ألا تلحظ البعد التاريخي في الجهاد والولاء لأصحاب الحسين عليه السلام الذين شاركوا علياً في كل حروبه!! هنيئاً لتلك المنزلة العظيمة ولا تتصور أن كل من كان في عهد علي عليه السلام كان له شيعة بحق فكم من سبب له المعاناة والمحن!! وكم ممن انقلب بعد دوران الأمر إلى تيار بني أمية!!.

نعم ثبت المخلصون الذين تربوا تحت منبر أمير المؤمنين عليه السلام وعاشوا توجيهاته وتعليماته وواصلوا تلك التربية مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

ومن هؤلاء الذين اتخذوا التعاليم الأولى من صحبتهم ومتابعتهم لعلي عليه السلام ومدرسته:

١ ـ سعيد بن عبدالله الحنفي (رض): الذي شارك في معارك أمير المؤمنين عليه السلام وكان من المعترضين على صلح الحسن عليه السلام ومن رسل الكوفة وحاملي كتبهم إلى الحسين عليه السلام ويعتمد عليه في إرجاع أجوبتهم ومن أرسله الحسين عليه السلام إلى الكوفة قبل مجيء مسلم لتهيئة الأمر له وهو ممن بعثه مسلم (رض) بكتابه إلى الحسين وبقي مع الحسين من مكة إلى كربلاء حتى استشهاده فدائياً يدرأ السهام والرماح والحجارة عن الحسين عليه السلام!. فيا لها من حياة جهادية رائعة ختمت بالاستشهاد.

٢ ـ وثلاثة أخوة: قاسط، مقسط وكردوس هم أبناء لعبد الله التغلبي كانوا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وممن شاركه في حروبه فهم من بيت ولاء وانقطاع لمدرسة أهل البيت عليهم السلام التحقوا بالحسين ليلة عاشوراء من شهداء الحملة الأولى.

٣ ـ جون مولى أبي ذر حيث التحق بعلي عليه السلام بعد أبي ذر ثم الحسن ثم الحسين حتى استشهاده يوم عاشوراء.

٤ ـ الحارث بن النبهان (رض) مولى الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام التحق بعلي وأولاده حتى استشهاده في عاشوراء.

٥ ـ عباس بن أبي شبيب الشاكري (رض) قديم التعلق بعلي عليه السلام ومدرسته وهو الشجاع المقدام، فلما أراد أن يستأذن في النزال للحرب قال للحسين عليه السلام: «**أشهد أني على هداك وهدى أبيك..**». إنه عمق الامتداد لخط الولاء...

٦ ـ الحجاج بن مسروق الجعفي (رض) كان يقاتل ثم يرجع إلى الحسين عليه السلام وهو مخضب بالدماء ويقف أمامه وبجانبه:

اليوم ألقى جدك النبيا ثم أباك ذا الفدى عليا

ذاك الذي نعرفه الوصيا

٧ ـ شوذب مولى بني شاكر (رض) كان بيته مألفاً للشيعة يذكرون فيه فضائل ومآثر أهل البيت عليهم السلام.

وقد شدني كثيراً شهيدان من شهداء الطف ذوا تاريخ إيماني وجهادي ومواقف يقف أمامها المرء متأملاً متفاعلاً ممتلئاً إحساساً بالنشوة والفخر لانتمائه إلى مدرسة خرجت مثل هذه النماذج الرائعة:

أولهما: زاهر بن عمرو الكوفي (رض) من أهل بيعة الشجرة، صحب علياً عليه السلام وشاركه في حروبه ثم كان من جماعة عمرو بن الحمق المنتفضة على حكومة معاوية ووواليها على الكوفة زياد، فألقي القبض على حجر وأصحابه واختفى عمرو بن الحمق الخزاعي ومعه زاهر حتى وصلا إلى الموصل ثم عرف مكان اختفائهما وجهز والي الموصل عثمان بن الحكم مجموعة لقتالهما فألقى القبض على عمرو بن الحمق حتى قتل وحمل رأسه وهو أول رأس حمل في الإسلام إلى دمشق.

وأما زاهر بن عمرو الكندي فقد استطاع الإفلات منهم وبقي متخفياً حتى

سمع بخروج الحسين إلى مكة فالتحق به وبقي معه حتى استشهاده!! في الحملة الأولى.

وثانيهما: عمرو بن جندب الحضرمي (رض) الذي حضر مع علي عليه السلام الجمل وصفين وكان من جماعة حجر بن عدي الكندي ولما ألقي القبض على حجر بعد تلك الانتفاضة اختفى وتوارى عن الكوفة وعاش في مكان آخر حتى هلاك زياد فرجع إلى الكوفة ولما جاء مسلم بن عقيل (رض) بايع مسلماً وبقي معه إلى أن تفرق الجمع ولما أرادوا حبسه مع من حبس في الكوفة من شيعة مسلم بن عقيل (رض) هرب واخترق الحصار والتحق بالحسين عليه السلام في الطريق ومضى معه حتى استشهاده!!.

يا لهما من مجاهدين تحملا أعباء الدفاع عن دينهما وعقيدتهما وتحملا من أجل كل هذه المعاناة ففرق كبير بين من يعيش على العقيدة وبين من يعيش لها ويضحي من أجلها.

انظر إلى التربية القديمة والالتزام وبناء الإنسان كيف أنتج هذا النتاج الرائع في تلك المواقف الحرجة... ومنهم من جرح في معارك مع علي عليه السلام وهو أسلم بن كثير الأزدي (رض) الذي صحب علياً وأصيب يوم الجمل بسهم في رجله فكان يعرج. بعدها خرج من الكوفة وأدرك الحسين عليه السلام في كربلاء وقاتل معه.

وأكثر ما يشد من مواقف أولئك الثلة الصالحة التي رضخت للولاء في كيانها وسلوكها وفكرها رجل كان من أصحاب علي عليه السلام ويحمل لواء أزد البصرة في معارك علي عليه السلام واسمه هفهاف بن المهند الراسبي (رض) هذا الرجل ـ ولعله جاء من البصرة ـ وصل إلى كربلاء يوم العاشر من المحرم وكانت الحرب قد وضعت أوزارها وجسد الحسين عليه السلام قد رضته الخيول ودماء الثلة الطاهرة تروي رمال كربلاء بالنجيع فلما وصل الرجل ورأى ما حدث صرخ وا إماماه وا حسيناه، ثم حمل سيفه وأخذ يضرب في أعداء الله حتى قتل رجالاً

وجرح آخرين ثم اجتمعوا عليه فأردوه قتيلاً، الله أكبر يا له من موقف ويا لها من شهادة ويا له من وسام!!.

فهكذا يصنع الولاء العميق والتاريخ الإيماني والتربية القديمة في النفوس فتخرج لنا هذه البطولات الرائعة والمواقف العظيمة.

إذن فغالبية الشهداء كانوا ممن تلقوا تربية وإعداداً مسبقاً... أفصحوا عن عميق تربيتهم وتدينهم والتزامهم في ساحة الطف، في حين ابتعد وهرب الذين التحقوا بالحسين عليه السلام في الطريق فما أحرانا أن نأخذ هذا الدرس الرائع من أولئك الشهداء. أن نهتم بمسألة التربية والإعداد، أن نجهد أنفسنا ونتعبها من أجل تربية الآخرين وهدايتهم.

الدرس الثاني الذي يمكن استفادته من شهداء وأنصار الحسين عليه السلام هو انك تجد فيهم شرائح مختلفة ومستويات متباينة وصوراً عديدة، تجد فيهم الشيخ الكبير الصحابي البدري (كأنس بن كاهل وجابر بن عروة الغفاري رضوان الله عليهما) وتجد فيهم الغلام والذين لم يبلغ الحلم كعمرو بن جنادة بن عبد الله الأنصاري، تجد فيهم المرموق اجتماعياً كزهير وحبيب وهانىء بن عروة، وتجد فيهم من لم يعرفوا إلا يوم عاشوراء كجون وأسلم وأبو وهب (عبد الله بن عمير الكلابي) وزوجة وهب، تجد فيهم الحجازي والبصري والكوفي وتجد فيهم كبار الفقهاء كحبيب وبرير شيخ القراء في جامع الكوفة وتجد بينهم الكلبي الذي كان نصرانياً وأسلم على يد الحسين عليه السلام مع زوجته وأمه.

فالحسين عليه السلام كان يرحب بالجميع يرحب بالحر ويقول له:

«لقد أصبت خيراً وأجراً».

ويرحب بالشابين الغفاريين وهما عبدالله وعبد الرحمن من أبناء عروة الغفاري أبو همان من الشيعة وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ويقول لهما:

«إني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين».

يطلب حبيب بن مظاهر من الحسين عليه السلام الإذن في دعوة حي من أحياء بني أسد كانوا نازلين قريباً من كربلاء، الى نصرته فيجيبه الحسين عليه السلام ويذهب حبيب بالفعل ولكن الخبر يتسرب إلى ابن سعد فيهيئ جيشاً لحربهم وإرجاعهم.

الحسين عليه السلام يستولي على قافلة هدايا من والي اليمن إلى يزيد ويخير أصحاب الجمال بين الانصراف واصطحابه.

لماذا كل ذلك الحسين عليه السلام يحاول أن يفتح المجال أمام كل طاقة يحاول استثمار كل جهد لا يستهين بأي قدرة، لا يهتم بفئة من المجتمع دون فئة، لا يهتم بالتجار فقط دون الفقراء، لا يهتم بأبناء البيوتات العريقة دون المسحوقين، لا يهتم بأصحاب الدراسات العالية ويترك أصحاب المستويات المتواضعة علمياً.

الحسين عليه السلام فسح المجال أمام الجميع وبرزوا بأجمعهم واختلطت دماؤهم بهدف واحد اختلطت دماء غنيهم مع فقيرهم عالمهم مع بسيطهم وجيههم مع عبيدهم!!.

هناك قول رائع للإمام الباقر عليه السلام:

«ولا تحقرن أحداً من أولياء الله فإن الله قد أخفى أولياءه بين عبيده، فتكون قد حقرت ولياً من أولياء الله».

قد ترى إنساناً بسيطاً متواضعاً حبيباً ولكنه في واقعه ولي من أولياء الله إخلاصاً وتديناً واستقامة...

الدرس ثاني ـ وما أكثر الدروس ـ من واقعة كربلاء أن نهتم بكل الطاقات ولا نفرط بأي منها فلكل دوره ولكل موقعه ولهذا يقف عليهم ـ جميعاً ـ الإمام الصادق عليه السلام في زيارة وارث:

بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم فوزاً عظيماً».

التخلص

يتقدم جون، وكان شيخاً كبيراً عبداً أسوداً كان غلاماً لأبي ذر (رض) ثم انتقل لخدمة علي عليه السلام والى علي عليه السلام حتى جاء مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء، فبرز يطلب الإذن من الحسين عليه السلام قال له:

«**إنما تبعتنا طلباً للعافية**».

ـ أي للسلامة فلم يكن قد عرف بأن يقتل العبد دون سيده أو أن يجبره سيده على ذلك فله الخيار كما فعل بشر بن سمعان الذي لم يبارز ولم يقتل ونجد من واقعة الحرب ـ.

فانكب على قدمي الحسين عليه السلام فقال: «**أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم لا والله حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم أهل البيت**عليهم السلام» فبرز والحسين عليه السلام يشاهده فلما سقط مضرجاً بدمائه جلس الحسين عليه السلام عند رأسه ودعا له:

«**اللهم بيض وجهه وطيب ريحه وأحشره مع محمد** صلى الله عليه وآله **وعرف بينه وبين آل محمد عليهم السلام**».

فكان من يمر بالمعركة يشم منه رائحة طيبة.

إلى أن جاء دور حبيب فبرز وقاتل حتى قتل جمعاً كثيراً ثم طعنه رجل برمحه وضربه آخر ضربة على رأسه فسقط وجاء تميمي فاحتز رأسه (فهّد مقتله الحسين عليه السلام).

ـ وهذا تعبير تتفق عليه جميع المقاتل ـ

واسترجع الحسين عليه السلام كثيراً وقال:

«**عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي..**».

حتى إذا اشتد القتال أخذ أصحابه يستأذنونه بقولهم: «**السلام عليك يا أبا عبدالله السلام عليك يا بن رسول الله**».

ويجيبهم عليه السلام:

«وعليكم السلام أبلغوا عني جدي رسول الله السلام وقولوا له أن حسيناً في الأثر!!».

حتى إذا نفض يديه من أحبته أجال النظر إلى تلك المصارع إلى تلك الأجساد التي تضطرب بدمائها:

فجاءهم سبط الرسول منادياً أحبائي قوموا فالمنام حرام

رضيتم بأن أبقى وحيداً وأنتم ضحايا على وجه الصعيد نيام

أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام

وهذه الليالي تخصص لقمر بني هاشم أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام.

في هذه الليلة يمكن التحدّث حول موضوعات الأخوة وحقوق الأخوة الإسلامية، وقضاء حوائج المؤمنين، وإصلاح ذات بينهم، إضافة إلى سيرة أبي الفضل عليه السلام والتي لم يزوّدنا بها التاريخ إلا في كربلاء وأجوائها، وأما قبل ذلك فما وصل إلينا قليل، وهي نفس المشكلة التي ستواجهنا في الليلتين الباقيتين ٨ و٩ حينما نتحدث عن القاسم والأكبر عليهما السلام.

أولاً ـ قصائد الليلة السابعة:

في أبي الفضل عليه السلام روائع من القصائد نذكر أشهر ثلاثة منها:

١ ـ قصيدة السيد جعفر الحلّي رحمه الله ومطلعها[1]:

وجه الصباح عليّ ليلٌ مظلمُ ... وربيع أيامي عليّ محرّم

هذا وقد ذكرنا في مجالس الثانية والثالثة إمكانية الاستفادة من أول ١٣ بيت من هذه القصيدة، أما إذا أردنا توظيفها في ليلة العباس عليه السلام فعلينا أن نبدأ من الأبيات التي تبدأ بقول الشاعر:

عبست وجوه القوم خوف الموت ... والعباس فيهم ضاحك يتبسّمُ

أو:

ما راعهم إلا تقحّم ضيفهم ... غيران يعجم لفظه ويتمتمُ

(١) راجع الرياض، ص٢٣٩، والدّر، ص٢٨٧.

٢ ـ قصيدة الشيخ محمد رضا الأزدي رحمه الله، والتي تبدأ[١]:

يا للرجال لحادث متفاقم لو حلّ هابطه لدك شمامها

٣ ـ قصيدة للشيخ حسون القطفان رحمه الله ومطلعها[٢]:

هيهات أن يجفو السهادُ عيوني أو أنّ داعية الأسى تجفوني

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة

إذا طرحنا موضوعاً تربوياً أو أخلاقياً فيمكن الاستفادة من الآيات القرآنية الكريمة أو الأحاديث الشريفة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام المناسبة لذلك، وأما السيرة (وهي موضوعنا في هذا الكتاب) فيمكن أن نستفيد من بعض الأقوال في حق العباس عليه السلام مثل قول أمير المؤمنين:

«**إن ولدي هذا قد زق العلم زقاً**».

أو قول الإمام السجّاد عليه السلام:

«**لقد كان عمي العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان**».

أو نأخذ مقاطع من زيارته عليه السلام ونحاول الوقوف عند دروسها وأبعادها.

ثالثاً ـ البحث:

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة السابعة من محرم:

زيارة الحسين عليه السلام:

أن نأخذ مقطعاً من زيارة العباس عليه السلام، ونمهّد له بذكر بعض الروايات حول زيارة الحسين عليه السلام وبعض آثارها، كمقدمة للموضوع ثم نقف عند مقاطع من الزيارة الشريفة.

---

(١) الدرّ، ص٢٧٤ ـ الرياض، ص١١٦.

(٢) راجع الدر، ص٣١٥.

ورد في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام:

(أشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتدياً بالصالحين، ومتّبعاً للنبيِّين..).

تعتبر مفردة الزيارة، من المفردات الأساسية التي دأب أئمة أهل البيت عليهم السلام، على التأكيد عليها، والحثّ باتجاهها، وذلك ضمن هدف كبير يسعى لربط الأمة بشهداء الطف، وإبقاء تلك الشعلة وهّاجة متّقدة.

ومن تلك التأكيدات، ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إن إتيان قبر الحسين بكربلاء فريضة على كل من دان له بالإمامة».

وعن أبي سعيد المدائني قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام (الإمام الصادق) فقلت له: جعلت فداك، آتي قبر الحسين عليه السلام؛ فقال عليه السلام:

«نعم يا أبا سعيد، ائت قبر ابن رسول الله ﷺ، أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين، وأبرَّ الأبرار».

وعن الإمام الرضا عليه السلام في حوار له مع الريّان بن شبيب:

«يا بن شبيب إن سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام».

ولم يرد الأئمة عليهم السلام أن تكون زيارة الإمام الحسين عليه السلام، مجرد وقوف على تلك القبور الطاهرة، بل أخذوا عليهم السلام يوضّحون لشيعتهم شروطاً لا بد من توافرها كي يكونوا بمستوى جني ثمار الزيارة، والوصول إلى عطاءاتها وفهم أبعادها...

فعن الإمام الكاظم عليه السلام:

«أدنى ما يُثاب به زائر الحسين عليه السلام بشط الفرات، إذا عرف حقّه وحرمته وولايته، أن يُغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

ومن جهة أخرى، بيّن الأئمة عليهم السلام لشيعتهم، كيفية زيارة أولئك الشهداء،

فكانت النصوص التي ينبغي للزائر أن يوليها اهتمامه، وأن يعيش مفرداتها بما تكتنزه من مفاهيم وأبعاد؛ عقائدية وفكرية وتربوية.

إن أجواء الزيارة العاطفية، والانفتاح النفسي على شهداء كربلاء، واللهفة في الوقوف على تلك المراقد الطاهرة، توفر أجواءً مثالية في تلقّي الأفكار، وتوغّل المفاهيم التربوية، إلى نفس الإنسان الزائر، وهو يستنطق تلك الأجواء التي تترك أبلغ الأثر وأعمقه، وأقربه إلى الروح والقلب، في زيارة الحسين عليه السلام وبقية الشهداء. وكان لانفراد أبي الفضل العباس بمرقد خاص به عليه السلام، ولمنزلته المميّزة، ومقامه الرفيع قبل ذلك، أن خصصت زيارات بنصوص خاصة، يتلوها الزائر إذا وقف على قبره عليه السلام.

لقد وردت زيارة خاصة بعلي الأكبر عليه السلام وأخرى بالعباس عليه السلام، بعد الزيارة الأساسية للإمام الحسين عليه السلام. في حين أدرج بقية الشهداء في زيارة عامة جمعتهم في مفرداتها وألفاظها...

إذن فقد كان للعباس عليه السلام زيارة خاصة، زاره بها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وحثّوا على ذلك شيعتهم ومواليهم.

ومن بين تلك الزيارات، كانت زيارة وارث، والتي يقول فيها المحققّون أنها أفضل زيارة يزار بها الإمام الحسين عليه السلام، فيما تعتبر زيارة أمين الله؛ أفضل الزيارات التي يزار بها الإمام أمير المؤمنين وبقية الأئمة غير الحسين عليهم السلام.

ونقف عند مقطع من مقاطع زيارة العباس عليه السلام التابعة لزيارة وارث:

(أشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين، ومتّبعاً للنبيّين).

حيث يقف الإمام الصادق عليه السلام ليزور عمّه العباس عليه السلام بهذه الزيارة، ولتقف بعده مسيرة طويلة من زوّاره وشيعته...

(أشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك...)

صفة رائعة، وبُعدٌ واضح في شخصية أبي الفضل عليه السلام، أنها صفة الوعي، والوضوح في الموقف. إن العباس عليه السلام لم يندفع الى مواقفه الخالدة في أحداث نهضة الإمام الحسين عليه السلام، من خلال عاطفة الأخوة أو أواصر الأسرة أو دوافع القرابة أو تعصّب القبيلة.

لقد كانت مواقفه عليه السلام منطلقة من وعي عميق، وفهم يضرب في كل شخصيته عليه السلام. فالأزمات المتلاحقة، والمواقف الحرجة المتتالية، لن يثبت في مواجهتها إلاّ من تمحضت البصيرة في نفسه، وتجذّر الوعي في روحه.

إن العباس عليه السلام تلميذ بارز في مدرسة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، رائد الوعي، ورمز البصيرة في مسيرة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن مواقف العباس عليه السلام الثابتة وإصراره على إكمال المسير، تدل دلالة لا لبس فيها على عمق وعيه وبصيرته.

بعض الناس لا يعرفون عن شخصية العباس عليه السلام إلا جوانب الشجاعة والإقدام والجرأة والاندفاع إلى مواجهة العدو بقوة وشكيمة، وهذا جانب كبير ورائع ولا ينكر في شخصية أبي الفضل عليه السلام حتى لما عُرض لواؤه على يزيد عندما وصل ركب السبايا إلى دمشق، رأى أن السهام قد تركت أثرها على خشبته إلا ما كان منه موضعاً لكفِ العباس، فدهش يزيد وقام وهو يردد: أبيت اللعن يا عباس!!.

إن العباس يتميز بشجاعة هادفة، منطلقة من عمق إيمان وبصيرة واضحة، هذه البصيرة التي انعكست في مواقف عدّة، منها؛ أنه عليه السلام رفض أمانين عُرضا عليه:

- أحدهما: عصر تاسوعاء من قبل خاله عبدالله بن أبي المحلّ الكلابي فردّه ردّاً جميلاً واعتذر لرسول خاله عن قبول الأمان.
- والثاني؛ في يوم عاشوراء، قبل نشوب الحرب، وكان قد تقدّم به الشمر

بن ذي الجوشن حينما نادى: أين بنو أختنا، أين العباس وإخوته؟. وهنا سكت العباس وأخوته ولم يردّوا على هذا النداء. فالتفت الحسين عليه السلام إلى أخوته وقال لهم:

«أجيبوه وإن كان فاسقاً».

نعم لقد احتقر بنو علي عليه السلام هذا الصوت اللئيم، وهذا النداء المتهاوي، إنهم أشبال أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّ مما يؤلم المؤمن ويوجع المجاهد، أن ينسب إلى أناس لا خلاق لهم من دين أو ورع أو خلق.... نعم المرء يسمو فخراً ورفعة حينما ينسب إلى صالح أرحامه، وخيرة أقربائه... وإن كان كل إنسان مسؤول عن موقفه لا موقف غيره...

وكان قول الحسين عليه السلام:

«أجيبوه وإن كان فاسقاً».

إدراكاً لما من أجله أعرضوا عن ذلك النداء. وأخيراً استجابوا لاقتراح أخيهم الحسين عليه السلام، فقالوا للشمر:

«ما شأنك وما تريد؟».

فقال عليه اللعنة: يا بني أختي انتم آمنون، فلا تقتلوا أنفسكم مع الحسين وادخلوا في طاعة أمير المؤمنين يزيد!!.

لاحظ بُعد المنطقين، واختلاف النهجين، وتناقض التوجّهَين!.

فانطلق العباس عليه السلام من بصيرته ووعيه، وردّ عليه ذلك الردّ الحاسم:

«لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له، وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأبناء اللعناء».

إنها ترجمة واضحة للبصيرة، تلك الصفة الرائعة في شخصية أبي الفضل عليه السلام حيث يؤكدها ابن أخيه الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله:

«لقد كان عمي العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان».

ما أروع هذا الثنائي، وعي عميق، وصلابة في المعتقد!!.

وكان يترجم العباس عليه السلام مواقفه، ويشير إلى ذلك اليقين والبصيرة في تلك المواقف... فلما رفض أن يشرب الماء كان يخاطب نفسه الزكية بقوله:

تالله مـــا ذاك فـــعـــال ديني ولا فـــعـــال صـــاحب اليـــقين

ولهذا اختاره الحسين عليه السلام على رأس المجموعة التي بعثها عصر تاسوعاء، للاستعلام عن نية القوم بعدما زحفوا نحو مخيم الحسين عليه السلام.

ويقف بعض المحققين عند مقطع آخر للزيارة:

(لعن الله أمّة استحلت منك المحارم وهتكوا في قتلك حرمة الإسلام).

وحرمة الإسلام لا تهتك بمجرد قتل الشجاع، وانما تهتك بقتل الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء ذوي البصيرة والعلم واليقين.

ثم يأتي المقطع التالي من الزيارة، التي اخترناها في مقدمة المجلس:

(وأشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتدياً بالصالحين، ومتّبعاً للنبيين).

فنقف عند المقطع:

(مقتدياً بالصالحين ومتّبعاً للنبيين).

إن هذا المقطع يأتي مكملاً للمقطع الأول، مقطع البصيرة، فيأتي بعده مقطع الاقتداء والإتباع. إذ يمكن أن نجد واعين متزمتين، معتدّين بأنفسهم، لا يرون أحداً أهلاً للإقتداء به.

كما يمكن أن نجد في المقابل أناساً متّبعين للآخرين ومقتدين بالصلحاء، ولكن رصيدهم من الوعي قد يكون متواضعاً.

فما أروع أن تمتزج البصيرة مع الاقتداء الواعي والهادف.

إن القرآن الكريم أكّد على هذه المفردة التربوية، حينما دعا عموم المسلمين إلى الاقتداء برسول الله، والأتباع له ﷺ:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى واليه على البصرة، عثمان بن حنيف:

«ألا وأن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه....».

إن الإمام الصادق عليه السلام حينما يؤكد على هذه الصفة في شخصية أبي الفضل عليه السلام، فإنما يريد عليه السلام أن يوحي إلى الزائرين أهمية هذه الخاصيّة، وعظمة هذا السلوك، نعم إنها دعوة لأن نقتدي بالنبي ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام والصالحين من العلماء والمؤمنين.

إن من مشاكل الجيل المعاصر، غياب النموذج المتّبع، والقدوة المقتداة. وبمن اقتدى العباس عليه السلام، ومن هم الصالحون؟. أما الأنبياء فقد كانوا حاضرين في شخصية رسول الله ﷺ التي جعلها العباس أمامه للاقتداء والسلوك.

لقد كان رسول الله ﷺ حاضراً وبشكل بارز في مواقف العباس، ومنها قوله عليه السلام لما قطعت يمينه:

والله إن قطعتمُ يميني ... إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقينِ ... نجل النبي الطاهر الأمين

أما الصالحين، فرموزهم والمبرزين منهم، علي وجعفر والحمزة عليهم السلام. اقتدى بأبيه علي وجهاده واستماتته في الدفاع عن رسول الله ﷺ، وها هو العباس اليوم يدافع عن سبط رسول الله ﷺ. واقتدى بجعفر حيث قطعت يداه كما قطعت يدا جعفر بن أبي طالب عليه السلام يوم مؤتة. واقتدى بالحمزة، حين راح شهيداً وحزّ رأسه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية/٢١.

فنال بذلك منزلة يقول عنها الإمام زين العابدين عليه السلام:

«إن لعميَ العباس منزلة، يغبطهُ عليها جميع الشهداء».

التخلص:

ويوم عاشوراء يقف العباس ليقدم أخوته للحرب، وهم عبدالله وعثمان وجعفر، كما وقف رسول الله ﷺ يوم بدر وقد تقدم علي وحمزة وعبيدة بن الحارث...

إقتداء وإتباعاً للنبيين...

وكان العباس عليه السلام يناديهم:

«تقدّموا يا بني أمّي حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله».

لاحظ الوعي، أنه يريد من أخوته، من أشقّائه، أن يترجموا إيمانهم مواقفاً وشهادة ودماً...

ثم التفت بعد ذلك إلى أخيه عبد الله وكان أكبر من عثمان وجعفر...

وقال له:

«تقدّم يا ابن أمّ حتى تُقتل واحتسبك».

وهكذا برزوا وقاتلوا بين يدي أخيهم أبي الفضل حتى استشهدوا:

أفـــدي قــرابين الإلـه ... مــجــزرين على الفــرات
خــيــرٌ الهــدايّة أن يكون الـ ... ـهــدي من زمــرةِ الهــداةِ
من بعــدِ مــا قــضــوا الصــلاة ... قــضــوا فــداءً للصــلاةِ

كم نحن مغبوطون بالانتماء إلى هذه المدرسة المعطاء مدرسة عاشوراء، مدرسة الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء!!.

ثم إن العباس عليه السلام لم يطق صبراً بعد قتل أخوته وأبناء عمومته، فوقف أمام أخيه الحسين عليه السلام يستأذنه في الذبّ عنه ومواجهة الظالمين.

وراحت كلماته تصل إلى مسامع الإمام الحسين عليه السلام:

«لقد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين وأريد أن آخذ ثاري منهم...».

فأجابه الحسين عليه السلام:

«أنت صاحب لوائي، وقائد عسكري... فاطلب لهؤلاء الصبية شيئاً من الماء».

فذهب إلى القوم ووعظهم وحذّرهم غضب الجبّار، فلم ينفع معهم الوعظ فرجع إلى أخيه عليه السلام، فسمع الأطفال ينادون:

«العطش العطش..».

عرف المواعظ لا تفيد بمعشر صمّوا عن النبأ العظيم كما عموا

ودّع أخاه الحسين عليه السلام، وأخذ قربة الماء، وامتشق حسامه وتقدّم نحو الفرات، وجالد القوم حتى أزاحهم عن الفرات، وركز رايته على المسنّاة، ثم دخل إلى الفرات وملأ القربة ماءً، واغترف ماء بيده ولكنه رمى الماء ولم يشرب... نعم لم ينس الحسين عليه السلام وأطفال الحسين عليه السلام (على بصيرة من أمرك..).

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«كان قلب عمّي العباس كصالية الجمر من الظمأ».

الله أكبر ومع كل ذلك لم يبلّ حتى شفتيه اليابستين...

ثم رمى الماء من يده وراح يجالد القوم...

لا أرهب الموتَ إذا الموتُ زقا حتى أواري في المصاليت لقى

إني أنا العباس أغدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقى

واعصوصب عليه القوم، حتى قطعوا يمينه ويساره، ورضخوا رأسه بعامود من حديد..

«وا سيداه وا حسيناه..».

وسمع الحسين عليه السلام استغاثة أخيه العباس...

ومشى لمصرعه الحسين وطرفه بين الخيام وبينه متقسّمُ
قد رامَ يلثمه فلم يرى موضعاً لم يدمه عضّ السلاح فيلثمُ

وأحس العباس عليه السلام بحركة عند رأسه، فقال:

«**يا هذا أقسم عليك بمن تعبد، إلاّ ما تركتني فواق ناقة**».

فقال الحسين عليه السلام:

«**ما تصنع بها؟**».

فقال العباس عليه السلام:

«**حتى يأتي إليّ أخي وابن والدي، أودّعه ويودعني وأشمّه ويشمّني**».

فقال الحسين عليه السلام:

«**أنا أخوك عند رأسك...**».

ورفع الحسين عليه السلام رأس العباس وتركه في حجره وهو يصرخ:

«**أخي عباس.... الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوّي..**».

وإذا بأبي الفضل عليه السلام يعيد رأسه إلى التراب، فأعاد الحسين عليه السلام رفع الرأس، فإذا العباس عليه السلام يعيده مرة أخرى إلى الأرض...

فقال له الحسين عليه السلام:

«**أخي مالي كلما تركت رأسك في حجري أرجعته إلى التراب؟**».

فقال العباس عليه السلام:

«**الآن تضع رأسي في حجرك، ولكن بعد ساعة من يرفع رأسك من التراب ليضعَهُ في حجره؟**».

يا لله يا للمواساة، يا للإخاء!!

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة السابعة من محرم:

حركة الحسين عليه السلام ووضع الأمة آنذاك:

نتطرق في هذا البحث إلى موضوع عام يرتبط بحركة الحسين عليه السلام ووضع الأمة آنذاك وهو بحث يمكن أن نستفيد منه في أكثر من ليلة من ليالي عاشوراء، وفي آخر المجلس يمكن للخطيب أن يعرّج على أي مصيبة من مصائب الطف، بما يمتلك من حسن تخلّص، ولهذا عرّجنا في آخر هذا المجلس على مصيبة أبي الفضل عليه السلام، وإلا فإن أصل المجلس هو أمرٌ آخر.

قال سيد الشهداء عليه السلام:

«ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً».

النص المبارك من النصوص والوثائق المعروفة والمشهورة بين نصوص ووثائق الثورة الحسينية، وقراءة سريعة في تلك النصوص توضح معالم الوعي والتشخيص المبكر الذي عرفت به الثورة بشخص قائدها الإمام الحسين عليه السلام والثلة الواعية المخلصة من أهل بيته وأصحابه.

و هذا المقطع من خطاب الحسين عليه السلام حينما وصل كربلاء يكشف حالتين مترتبتين: الأولى، مدى الانحراف والتشويه الذي أحدثه الأمويون لمعلم مهم من معالم الإسلام وهو ما يدعى أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، والباطل الذي عم الأمة، والحالة الثانية هي أن نتيجة الوعي والعمل بهذا المعلم المهم يؤدي إلى الشهادة.

فمن يعي ويكتشف الأمر ويتخذ مواقفه وفقاً لذلك الوعي والتشخيص ينبغي عليه أن يدفع ضريبة التشخيص المبكر هذا، فهناك علاقة جدلية بين المرحلتين، مرحلة تشخيص ووعي حالة الأمة وتشخيص ما تدفع حالة الوعي تلك.

وهكذا نجد إن الواعين هم في مقدمة الضحايا، (فيستشهد الواعون والأمة تقف متفرجة عليهم) فالتضحية في كل مجتمع هي ضريبة الوعي، والحسين عليه السلام كان عالماً بهذه النتيجة، التي ستؤول إليها حركته ونهضته ولكنه عليه السلام علم بنفس الوقت أنه لا سبيل لإنقاذ أمة جده ﷺ وعودة الحياة إليها وشيوع الوعي فيها إلا بسفك دمه الطاهر ودماء الصفوة المنتجبة معه.

وفي خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي من خطب النهج يشرح فيها وضع الأمة ويستقرئ أفق المستقبل المظلم الدامي لحكم بني أمية وأثر فتنتهم الخطيرة على الإسلام وأهله:

«**عمت خطتها وخصّت بليتها**».

فالانحراف والفساد يعم الأمة ولكن البلاء يخص الواعين من أبناءها ويوضح ذلك عليه السلام في مقطع آخر:

«**وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها**».

يا له من تشخيص دقيق وواعٍ فالبلاء يكون حصة أهل البصيرة والوعي الذين يقودهم وعيهم لقول كلمة الحق واتخاذ موقف الحق وأما الغافلون من الناس اللاهون ذوو الهموم الشخصية والدنيوية الزائلة فالبلاء بعيد عنهم ولكن الويل لهم إذا تسرب اليهم الوعي وشملتهم حالة التشخيص.

فإذا ما كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

لقد واجه الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية تحركه في رفضه لبيعة يزيد ضغوطات من قبل الناصحين والمشفقين عليه والمحبين له كأخوته الأطرف وابن الحنفية وابني عمه عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس.. والذي يجمع مجمل أقوالهم أنهم قد شخصوا حالة وسمة من سمات ذلك المجتمع عليه السلام تتلخّص في قساوة الحكم الأموي وتخاذل الناس عن الحسين عليه السلام.

والحسين عليه السلام لم يكن هذا الأمر غائباً عنه بل أكّده في أكثر من مناسبة ومناسبة.

١ ـ فلما خرج من مكة عليه السلام خطب:

«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف... كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات».

٢ ـ في الطريق إلى كربلاء قال عليه السلام لأبي حمق الأزدي:

«إن هؤلاء أخافوني وهذه كتب أهل الكوفة وهم قاتليَ فإذا فعلوا ذلك ولم يدعوا لله حراماً إلا انتهكوه بعث الله إليهم من يقتلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة».

٣ ـ وقال عليه السلام يوصي عياله يوم عاشوراء:

«استعدوا للبلاء واعلموا أن الله حافظكم ومنجيكم من شر الأعداء ويعذب أعدائكم بأنواع البلاء».

إذن ما شخصه الآخرون لم يكن بغائب عن الحسين عليه السلام كيف وإن كان من لقيهم الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء كانت تتفق كلمتهم المقالة التي أمست معروفة (**قلوبهم معكم وسيوفهم عليكم**) وبما أن الحسين عليه السلام كان مستحضراً لتوقعات ابن عباس خاصة لأنه رجل ذو خبرة وتجربة غنية ولهذا يذكر المؤرخون أن الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان يقول:

«لله در ابن عباس كان ينظرمن ستر رقيق».

وكان ردّه على الجميع:

«لا يخفى عليَ الرأي».

إن كل تلك النصائح كان مصدرها الخوف على الحسين عليه السلام من أن يقتل كشخص له موقعه في نفوس الناس وفي القربى من رسول الله صلى الله عليه وآله

والحسين عليه السلام أراد أن يوضح لهم أن الدين أعزّ من شخصه عليه السلام الدين الذي ضحى من أجله جده صلى الله عليه وآله وأبوه عليه السلام وأخوه عليه السلام وينبغي هو عليه أيضاً أن يأخذ دوره في التضحية وهي تضحية متميزة جداً.

الحسين عليه السلام أراد أن يوضح لهم أن حرمة الإسلام وروحه ومفاهيمه وقيمه في خطر..

إن تشخيصهم الأول كان صحيحاً وهو انه سوف يقتل وكان عليه السلام يقول لشيخ من بني عكرمة في بطن العقبة:

«**لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي**».

ولكنهم لم يكونوا يتصورون أن تأثير دمه سيبلغ ما بلغ فلم يكن في خلد ابن عباس أو ابن الحنفية أو ابن جعفر والآخرين أن الحسين عليه السلام سيحيا بكل هذا الخلود وهذا العطاء وسيكون لحركته ذلك ـ التي أجحف بها المسلمون فلم ينصروها ولم يؤدوا حقها ـ التأثير الذي بدأ من ظهر يوم العاشر ولا يعلم إلى من أو إلى أين أو إلى متى سيبلغ مداه.

لم يكونوا بذلك المستوى من الوعي المبكر والتشخيص المسبق الذي عليه الحسين عليه السلام.

فقد أدرك أهل المدينة بعد عام بعض ما كان يدركه الحسين عليه السلام، ولما شكلوا وفداً للإطلاع على أحوال حكومة بني أمية في دمشق فاطلعوا على أمور كانوا عنها غافلين فلما رجعوا صرح عبد الله ابن غسيل الملائكة حنظلة بأنه جاء من عندأكفر الناس وأفسقهم.

خرج الحسين عليه السلام من المدينة ليس معه إلا أهل بيته وقلّة قليلة من غلمانه وأنصاره... فأين كانت هذه الروح الجهادية وأين كانت هذه المواقف الواعية عن اللحوق بحركة الحسين عليه السلام نعم إن ثورة المدينة ما وصلت إلى ما وصلت إليه من نضج ووعي وتشخيص لولا حركة الحسين عليه السلام فهي الثورة السبّاقة.

لقد أرجع الحسين عليه السلام بتضحيته الحياة إلى مفاهيم الإسلام ومسؤولية الإنسان المسلم ودوره في المجتمع، لقد عرّف الحسين الناس أنه في الإسلام قوة الانقضاض على الظلم والانحراف، وأن هؤلاء المدّعين ما ليس لهم والمغتصبين الموقع الإلهي يجب على الأمة مجاهدتهم:

«ألا إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله».

ولهذا صبغت كل الانتفاضات على الأمويين بصبغة الإسلام وصبغة الدين، لأن الحسين عليه السلام أوضح للأمة مفهوم أهل الدين ومن هم المبتزين عقيدة الأمة ودينها.

والله أعلم لولا ثورة الحسين عليه السلام لكان يمكن أن تجد في تاريخ تلك الفترة نهضات تدعو إلى الثورة على الإسلام كدين، لأن الناس كانت ترى الإسلام الأموي، ولا سيما تلك الشعوب التي دخلت في الإسلام حديثاً.. ثورة الخرسانيين مثلاً على الأمويين لولا دماء الحسين عليه السلام ونهج الحسين عليه السلام كان المتوقع منها أن تكون ثورة على هذا الدين الذي أوصل الأمويين إلى الحكم.

ولأن الحسين عليه السلام شخّص وضع الأمة وشخّص العلاج فإنه عليه السلام كان يسعى لأن يوسع من دائرة تأثيره ولأن تساهم حركته في مزيد من الوعي وتحريك حالة الركود والاستسلام التام والخانع للمخطط الأموي الجاهلي...

ولهذا كان يرفض كل أمر يؤدي إلى التكتم على ثورته وإخفاء حركته.

١ ـ نراه يرفض أن يحيد عن الطريق الأعظم في خروجه من المدينة إلى مكة كما فعل ابن الزبير قبله.

٢ ـ نراه عقد في مكة اجتماعين في كل يوم يلتقي فيهما الحجاج والمعتمرين موضحاً لهم سنّة جده صلى الله عليه وآله التي خالفها الأمويون.

٣ ـ أرسل رسله إلى أهل البصرة.

٤ ـ خطاباته ولقاءاته مع أهل المياه والآبار من العرب.

٥ ـ ولم ينس ذلك حتى يوم عاشوراء عبر خطاباته.

ولقد كان من أروع النتائج المترتبة على مرحلة السبا المؤلمة هيجان المسلمين وانتباههم من نومتهم واستيقاظهم من غفلتهم، والحسين عليه السلام إنما اصطحب الحوراء عليها السلام معه لأنه كان عارفاً بوعيها و:

«أنها عالمة غير معلَمة».

وما مقالتها عليها السلام أمام طاغية الكوفة عبيد الله بن زياد حينما سألها كيف رأيت ما صنع الله بأخيك والعصاة المردة من أهل بيتك؟. قالت عليها السلام:

«ما رأيت إلا جميلاً».

إلا تدليلاً واضحاً على عمق الوعي الذي كانت تحمله.

وكان عليه السلام يختار الواعين من أصحاب المهمات لإيقاظ الناس وبث الوعي فيهم ومحاولة توسيع رقعة المشاركين من الأمة في نهضته وكانت عملية التوعية والتنبيه ومحاولات بث الوعي والشعور بالمسؤولية الدينية مستمرة إلى يوم عاشوراء، فالحسين عليه السلام مع تيقّنه من الشهادة خاصة بعد ما تجمعت جيوش الأمويين يوم عاشوراء نجده يبادر إلى مخاطبة القوم خطبتين في يوم عاشوراء قبل بداية الحرب، ثم نراه يأذن لمن أراد الكلام من أصحابه ليبثوا الوعي في تلك الجموع التي خرجت لحربه فخطب برير بن خضير الهمداني، ثم زهير بن القين البجلي، وخطبهم الحرّ بن يزيد الرياحي بعد توبته ـ وأما من أهل بيته، فإن الوحيدالذي خطب قبل استشهاده كان أبو الفضل العباس عليه السلام.

التخلص:

ولكن أرباب المقاتل لم ينقلوا لنا تفصيلات خطاباته أو مقاطع من بياناته، وهو ابن سيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين عليه السلام، نعم اقتصروا في قولهم، فذهب العباس إلى القوم وخطبهم وحذرهم غضب الجبار، لكنه عليه السلام لم يجد أي استجابة من تلك النفوس التي طبعت على معصية الله ورسوله، ولم تنفع مواعظه في قلوب ران عليها النفاق، وعيون لا تبصر الحق، وآذان لا تسمع الحق ونداءه، ورحم الله الشاعر وهو يمتدح العباس عليه السلام بقوله:

عرف المواعظ لا تفيد بمعشر صموا عن النبأ العظيم كما عموا

فانصاع يخطف بالجماجم والكِلا والسيف ينثر والمثقف ينظمُ

ثم قال الشاعر:

أو تشتكي العطش الفواطم عنده وبصدر صعدته الفراتُ المفعمُ

فأخذ العباس عليه السلام قربته وقد تعلقت به قلوب الفواطم وأرواح الأطفال ينتظرون عودته ولهذا فإنه عليه السلام لما صرع على رمضاء كربلاء مقطوع الشمال واليمين وجاءه الحسين عليه السلام يريد إرجاعه وحمله إلى المخيم اعتذر إليه العباس عليه السلام:

«إني كنت قد وعدت سكينة بالماء وأني والله لمستحٍ منها».

ثم الشعر المناسب والمطلوب.

الموضوع الثالث في زيارة أبي الفضل العباس:

ورد في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام:

(أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة...).

كان من المتوقع أن يخفّ وهج الجانب العاطفي في نهضة الإمام الحسين عليه السلام شيئاً فشيئاً مع تقادم الأيام والليالي، وكرّ العصور والدهور، وهذا الجانب يعتبر من أبرز جوانب هذه النهضة المباركة، ومن أشدّها شدّاً للأمة وجذباً وجدانياً لها تجاه واقعة من أكثر وقائع الإسلام مناغاةً للقلب ومحاكاةً للروح ولهفةً للنفس.

إن وقائع التاريخ الإسلامي لو تأملناها، لوجدنا أنها إما وقائع تضمنت مواقف بطولية لا يبرز فيها الجانب العاطفي إلا بشكل بسيط وعَرَضي، مثل واقعة بدر والأحزاب وفتح مكة مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله أو الجمل وصفين والنهروان مع أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما وقائع وأحداث فيها مظلومية وألم، ولكنها لا تختزن بُعداً جهادياً وروحاً للإقدام والفداء، مثل واقعة أحد وآثارها الحزينة استباحة المدينة في واقعة الحرَّة.

لكننا نجد في واقعة كربلاء أن كلا الجانبين حاضرين بشكل لافت وواضح.

ولهذا فإننا نؤكد على الجانب العاطفي واذكائه، وأهميته في شدّ الأمة إلى نهضة كربلاء الخالدة في الوقت الذي لا نريد أن نغفل جانب الإباء والاقدام والجهاد.

ونعود إلى ما ذكرنا في أول المجلس، أن هذا الجانب العاطفي الأخّاذ في واقعة الطف كان مهدداً بالضمور أو التناسي مع ابتعاد الأمة زمنياً عن عاشوراء عام ٦١هـ.

ولكن أئمتنا عليهم السلام عملوا بجهود جبارة واصرار متواصل وحثّ أكيد عبر توصياتهم وتوجيهاتهم لأصحابهم ولشيعتهم، بالاجتماع وإقامة مجالس عزاء الحسين عليه السلام وقول الشعر فيه عليه السلام.

كما أنهم يحثون مواليهم على زيارة قبور الشهداء بكربلاء، وبأوقات ذات بعد

عبادي مثل أول رجب ومنتصفه، ومنتصف شعبان، وليالي القدر في شهر رمضان، وليلة عرفة ويومها، وليلة عيد الفطر ويومه، وكذلك بالنسبة ليوم الأضحى، إضافة إلى الزيارة الأبرز في عاشوراء ثم زيارة الأربعين. بل يستحب زيارته عليه السلام في كل آن ليلاً أو نهاراً.

والملاحظ أنّ النصوص الواردة في زيارات الإمام الحسين عليه السلام المخصوصة أو المطلقة جاءت بأربعة مقاطع، المقطع الأول زيارة الإمام الحسين عليه السلام المقطع الثاني زيارة علي الأكبر المقطع الثالث زيارة الأنصار من الهاشميين وغيرهم، والمقطع الرابع: هو زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام.

والملاحظة الثانية أن الزيارات الواردة اختصرت زيارتي الأكبر عليه السلام والشهداء في حين أنها قد أفاضت في زيارة الإمام الحسين عليه السلام وزيارة أبي الفضل العباس عليه السلام. حيث ازدحمت المعاني والمفاهيم والقيم التي بثّها الأئمة عليهم السلام في نصوص الزيارات لاشباع الجوانب العقيدية والتربوية والأخلاقية والإيمانية التي أرادوها عليهم السلام من وراء هذه النصوص، وإلاّ كانت الزيارة مجرّد وقوف على القبور الطاهرة وتأمّلٍ لمواقفهم دون نصّ أو برنامج خاص.

لقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام أبرز شخصية في الأنصار وشهداء كربلاء بعد الإمام الحسين عليه السلام مباشرة، فقد كان أكبر هاشمي يوم الطف وعمره أربع وثلاثون سنة.

وأمه فاطمة ابنة حزان العامرية، وذهب بعض المؤرخين أنها الزوجة الأولى لأمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. وقال آخرون أنها الثانية حيث تزوج عليه السلام بأمامة بنت زينب بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله. وللعباس ثلاثة أخوة هم عبد اللّه وجعفر وعثمان.

ونعود إلى أصل المجلس، حول زيارات العباس عليه السلام التي حظيت بأوسع مساحة بعد زيارات الإمام الحسين عليه السلام دون بقية شهداء الطف.

وهذا المقطع يبدأ بشهادة يؤديها إمام معصوم، وهو الإمام الصادق عليه السلام. وهي شهادة منطلقة من سليل النبوة والإمامة الذي يسأله ذات يوم رجل فيقول: ما رأيك يا بن رسول اللّه في كذا؟ فيقول له عليه السلام:

«أتسألني عن رأي وإنما أحدثك بحديث جدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

يقف الإمام الصادق عليه السلام على قبر عمّه العباس عليه السلام ليزوره بهذه الزيارة، ويشهد له بتلك الصفات التي وجدت أفضل مصداق لها بين أنصار الحسين عليه السلام متجسداً في أبي الفضل عليه السلام:

«أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة...».

لقد حفل هذا النص المبارك بأربعة أوسمة وسمّها الإمام الصادق عليه السلام لعمه العباس عليه السلام فيقول عليه السلام: أشهد لك بالتسليم.

إن التسليم هو الانقياد ولكن أي انقياد، إنه انقياد الوعي والبصيرة وعمق الفهم، إنه التسليم كمفهوم مرتبط بالإسلام، بدين اللّه تعالى الذي تلخص جميع مفاهيم هذا الدين في ربط الإنسان فرداً كان أو مجتمعاً باللّه تعالى، إنه مفهوم التسليم للّه والاذعان لأوامره ونواهيه، والانقياد الواعي لتشريعات السماء. التي فيها خير هذا الإنسان في الدنيا وسعادته في الآخرة.

ونرى في العباس عليه السلام كيف قد يتجسد التسليم لأخيه الحسين عليه السلام لأنه يرى فيه أمامه ومن يقتدي به:

إني أحامي أبداً عن ديني ... وعن إمام صادق اليقين

فيوم السابع من المحرم هو خامس يوم بعد نزول ركب الحسين بكربلاء، وقد ضُيّق على أهل البيت عليهم السلام ومنعوا من ماء الفرات الذي يرونه أمام أعينهم كأنه بطون الحيّات في انحداره، التفت الحسين عليه السلام إلى أخيه أبي الفضل عليه السلام وأمره أن يأخذ القرب ومعه ثلاثون فارساً وعشرون راجلاً، لكي يملأوها ماءً لنساء أهل البيت وأطفالهم الذين أضرّ بهم العطش.

فلما قاربوا النهر صاح فيهم عمرو بن الحجاج الزبيدي الذي وكّله عمر ابن سعد بحفظ جهة الفرات ومنع الماء عن معسكر الحسين عليه السلام من هناك؟ فأجابه نافع بن هلال الجملي: «**أنا نافع جئنا لنشرب من هذا الماء الذي ملأتموه عنا**».

فقال: «**اشرب وارجع**».

فقال: «**نافع لا واللّه لا أشرب قطرة والحسين وآله وصحبه عطشى**».

دنا نافع يحمل راية هذه المجموعة التي خرجت تحت قيادة العباس عليه السلام الذي أصدر عليه السلام أمره فاشتغل بعض الذين معه بالهجوم على القوم، وآخرون بملأ القرب والعباس عليه السلام يتقدم المقاتلين، حتى أزاحهم عن المشرعة وملأوا القرب ماءً وعادوا موفورين إلى مخيم الحسين عليه السلام.

ويذكر ... أن تخصيص اليوم السابع من المحرم لأبي الفضل عليه السلام هو لهذه الخاصيّة.

وفي يوم عاشوراء وبعد أن نشبت المعركة وسقط خمسون شهيداً من أنصار الحسين عليه السلام أخذ الرجلان والثلاثة والأربعة يبرزون حتى أكثروا القتل في معسكر ابن زياد.

(وخرج عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه وجابر بن الحارث السلماني ومحمد بن عبد اللّه العائذي، وشدّوا بأجمعهم على أهل الكوفة، فلّما أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كل جانب وقطعوهم عن أصحابهم، فندب لهم الحسين عليه السلام أخاه العباس فاستنقذهم بسيفه، وقد جرحوا بأجمعهم).

وأبرز ما يتضح فيه تسليم أبي الفضل عليه السلام صبره عن النزول إلى المعركة يوم عاشوراء مع كثرة التقى من أهل بيته وأنصار الحسين عليه السلام، وهو يقول للحسين عليه السلام:

«**ائذن لي أريد أن أشفي صدري من هؤلاء المنافقين**».

والحسين عليه السلام يقول له:

«**أنت حامل لوائي وقائد عسكري**».

نعم لقد كان العباس عليه السلام في مواقفه يجسد مفهوم (التسليم) بأروع صوره وأبهاها. ولهذا كان الحسين عليه السلام حريصاً يوم الطف.

المفهوم الثاني الذي ذكره النص الشريف في زيارة العباس عليه السلام:

«**أشهد لك التسليم والتصديق...**».

وهنا تأتي صفة رائعة أخرى توضح مفهوم التسليم السالف الذكر وتعمّقه في ابراز بعض خصائص ومواصفات شخصية أبي الفضل عليه السلام.

إذ قد يكون الجندي في ساحة الحرب متصفاً بصفة التسليم والانقياد والطاعة لقائده في المعركة «**هل أن كل جندي منقاد لقائده وزعيمه يكون مؤمناً في قلبه بحيث يكون موقفه في القتال منسجماً مع قناعاته الداخلية وإيمانه الذي ينعقد عليه فكره وعقله وقلبه؟**».

نعم فرق كبير بين من يتصف بالتسليم مع الصدق والإيمان والقناعة وبين من يتصف به دون ذلك.

ولهذا ركّز الإمام الصادق عليه السلام على هذا البعد في زيارة لعمه العباس عليه السلام «التصديق» وهذا مبدأ قرآني في ابراز صفة المؤمنين، قال تعالى:

﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا باللّه ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأنفسهم في سبيل اللّه أولئك هم الصادقون**﴾.

فالصدق في الآية جاء من اجتماع الإيمان مع التصديق وهو معنى قوله تعالى:

﴿**ثم لم يرتابوا**﴾.

مع الجهاد في سبيل اللّه تعالى.

ولهذا ورد في العباس روايات توضح بُعد التسليم النابع عن التصديق من خلال ما اكتسب من علم ووعي.

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشير إلى ولده العباس:

«إنّ ابني هذا قد زُق العلم زقاً».

ثم جاءت الصفة الثالثة والرابعة.

«التسليم والتصديق والوفاء والنصيحة».

صفة ثالثة في أبي الفضل هي صفة الوفاء، وأي وفاء جسّده قمرُ العشيرة يوم كربلاء لقد رفض العباس عليه السلام كل محاولات ثنيه عن نصرة أخيه الحسين عليه السلام، حيث لم يتأثر بوعود الأعداء التي جاءت إليه وإلى إخوته فردّهم وبقي على وفائه والتصاقه بركب الحسين عليه السلام.

وكان العباس ملاصقاً لأخيه الحسين عليه السلام في كل تحركاته، فلما كان الحسين عليه السلام يخرج لعدة ليال في كربلاء لحوار عمر بن سعد ومناقشته كان يأخذ معه أخاه العباس عليه السلام على رأس جماعة من أهل بيته وأصحابه.

وفي عصر عاشوراء لما اقترب القوم من معسكر الحسين، التفت عليه السلام إلى أخيه العباس قائلاً له:

«اركب بنفسي أنت حتى تلقاهم، واسألهم عمّا جاء بهم وما الذي يريدون».

فركب العباس في عشرين فارساً فأخبروهم أنهم جاؤوا لتخييرهم بين النزول على حكم ابن زياد أو الحرب، فرجع العباس عليه السلام إلى الحسين عليه السلام ليخبره بما جاء به القوم، ثم رجع العباس إليهم لينقل إليهم قول الحسين عليه السلام بأن يمهلوهم إلى صباح يوم عاشوراء...

وفي عاشوراء نجد الحسين عليه السلام يعطي رايته لأخيه العباس، ولم يجد غيره مؤهلاً لحمل هذه الراية.

فلما خطب الحسين خطبته الأولى، وسمعت النساء مقالته، بكين وارتفعت

أصواتهن بالنحيب، فالتفت الحسين عليه السلام إلى أخيه العباس وابنه علي وقال لهما:

«**سكتاهنَّ فلعمري ليكثر بكاؤهن**».

إلاّ أن الملاحظ أن من كتبوا حول حالة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كانوا يصفونه بالثبات والجرأة والقوة، ولم يسجّل أحد منهم أنه عليه السلام بكى على رغم تلك المصائب التي تزول لأقلها الجبال الراسيات. إلاّ مرة واحدة، نعم مرة واحدة سجلتها كتب المقاتل وأرباب السيّر، وهذه المرّة هي حينما رجع الحسين عليه السلام من مصرع أخيه العباس وهو بتلك الحالة، منحني الظهر ينادي:

«**الآن انكسر ظهري..**».

فتلقته النساء وسألنه عن العباس فلما أخبرهن ارتفعت أصواتهن بالبكاء وقلنا:

«**واضيعتنا بعدك**».

وبكى معهن الحسين عليه السلام وقال:

«**واضيعتنا بعدك**».

نعم بكى معهنّ الحسين عليه السلام وردّد معهن مقالتهن في تأبين أبي الفضل عليه السلام.

أأخي من يحمي بنات محمدٍ إن صرنّ يسترحمن من لا يرحم

ولقد أجاد الشاعر بقوله:

أحقُ الناس أن يُبكى عليه فتىً أبكى الحسينَ بكربلاءِ

ولخطيب المنبر الحسيني اشباع كل فقرة من فقرات مصيبة أبي الفضل عليه السلام لتوافر الشعر الجيّد والمتنوع في تأبيه.

القاسم بن الحسن عليه السلام

وهو أحد أربعة أبناء للإمام الحسن عليه السلام قتلوا يوم عاشوراء مع عمّهم الحسين عليه السلام استشهد ثلاثة منهم ونجى الرابع وهو الحسن بن الحسن عليه السلام ومنه جاءت ذرية الحسن عليه السلام.

أولاً ـ قصائد الليلة الثامنة:

لقد ترك شعراء الطف قصائد رقيقة في القاسم عليه السلام نختار ثلاثة منها:

١ـ قصيدة للسيد صالح الحلي رحمه الله ومطلعها[١]:

يا دوحة المجد من فهر ومن مضرِ قد جفّ ماء الصبا من غصنك النضر

٢ ـ قصيدة للشيخ قاسم محيي الدين رحمه الله ومطلعها[٢]:

من مثلهُ بين البرية محتداً ضربت به أعراقه لمحمد

٣ ـ قصيدة للسيد مهدي الأعرجي، رحمه الله، ومطلعها[٣]:

لا تركنن إلى الحياة إن المصير إلى الممات

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة:

وهي الليلة المخصصة لشاب من شباب آل محمد عليهم السلام وهو القاسم بن

(١) راجع: من لا يحضره الخطيب، ٣٠٣/١.
(٢) راجع: من لا يحضره الخطيب، ٣١١/١.
(٣) راجع: من لا يحضره الخطيب، ٣٠٧/١ ـ وديوان الشاعر.

الحسن عليه السلام كما سبق بيانه وهي ليلة خصبة لبحث موضوعات حول التربية، والأسرة واليتم، ودور الأم، وغيرها من العناوين التربوية والأخلاقية.

أما بالنسبة للسيرة فإننا سنواجه بقلة ما بين أيدينا من المصادر التي تحدثنا عن سيرة القاسم ومواقفه،لأنه شاب لم يبلغ الحلم، وكانت أضواء عمّه الحسين عليه السلام ، هي المسيطرة على ما نقلته المصادر التاريخية.

فلا نجد ذكراً للقاسم إلا موقف له ليلة عاشوراء وموقفه حينما برز للقتال ثم الشهادة ولهذا فإننا نجد أنفسنا مضطرين لبحث موقف أبيه الإمام الحسن عليه السلام وأثر صلحه مع معاوية على نهضة الإمام الحسين عليه السلام .

أو نبحث أموراً عامة تتعلق بجوانب واقعة الطف ثم نعرّج على مصيبة القاسم وبالتالي فإن العنوان المختار يكون مناسباً لطبيعة البحث المعروف.

ثالثاً.البحث:

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة الثامنة من محرم:

بين صلح الحسن عليه السلام وثورة الحسين عليه السلام :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

لقد شكل الاختلاف في موقف السبطين عليهما السلام حيث صالح الحسن عليه السلام معاوية وحارب الحسين عليه السلام يزيداً، مورداً لكثير من الآراء والتحليلات. ولكي نكون على قرب من الظروف والأحداث التي أحاطت بصلح الإمام الحسن عليه السلام والتي كان لها ارتباط وثيق الصلة بالأحداث التي تمخضت عنها ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، فلا بد من دراسة تاريخية لهذه التطورات، خاصة وأن هذه الليلة مخصصة لأحد أبناء الإمام الحسن عليه السلام وهو القاسم بن الحسن عليه السلام .

فبعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، قام الحسن عليه السلام خطيباً في

المسجد الجامع بالكوفة، وهو في غاية التفجع لفقد أبيه عليه السلام. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد صلى الله عليه وآله:

«لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، لقد كان يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله. فيقيه بنفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته، فيكتنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم عليه السلام وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام، وما خلّف صفراء ولا بيضاء....».

إلى أن خنقته العبرة فبكى، وبكى الناس معه. ثم إنه عليه السلام ذكر فضله وفضل أهل البيت عليهم السلام فبايعه الناس طواعية. ويمكن إجمال خطوات الإمام الحسن عليه السلام بالنقاط التالية:

١ ـ كان عليه السلام يبايع الناس على أن يكونوا سلماً لسلمه وحرباً لحربه، فكان الناس يقولون: «**أنه لا يريد بهذا إلا الحرب**». إذن فقد كان عليه السلام من اللحظة الأولى مهتماً بمسألة الحرب، وتهيئة أجواء الجهاد في الأمة، لمواجهة معاوية وحزبه...

٢ ـ ثم أن معاوية ازداد نشاطاً وعدوانيةً، فبعث الجواسيس لكي يكتبوا له أحوال الداخل، بعد ما سيطر على الشام ومصر، فألقى الإمام عليه السلام القبض على رجل من حمير واستخرجه، وعلى رجل من بني القين في البصرة وأمر بإعدامهما. وهي خطوات لا يقوم بها إلا من أخذ بالحزم في مواجهة العدو.

٣ ـ ثم بعث عليه السلام برسالة شديدة إلى معاوية منها:

«أما بعد... فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال. وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاءَ وما أوشك ذلك إن شاء الله...».

إن حادث الجاسوسين يكشف، أن عداء معاوية لم يكن مع شخص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بل مع الخط الذي يمثله، إضافة إلى أن اكتشاف اثنين من الجواسيس، لا يعني عدم وجود غيرهما لم يكتشف أمرهم بعد.

٤ ـ وكان الإمام عليه السلام قبل ذلك قد أرسل العمّال ونظر في السجلات وزاد في عطاء الجند. وكل ذلك من شأنه تشجيع الناس على لقاء القاسطين حزب معاوية.

هذه خطوات اتخذها الحسن عليه السلام قبل بداية التلكؤ الذي انتهى إلى خيانة ذلك الجيش حتى الاضطرار إلى إبرام وثيقة الصلح... ولكن ما هو المجتمع الذي تحرك فيه الحسن عليه السلام، والذي وضع هذه الخطوات لتحفيزه وتحريكه؟ لنرجع إلى نهج البلاغة ونسمع شهادة أمير المؤمنين عليه السلام المتقطرة ألماً ولوعة:

أ ـ «**لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سئماً، ولقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً**».

ب ـ «**إن هؤلاء القوم ـ أهل الشام ـ سيدالون منكم؛ باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، ومعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم بالباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وإصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعبٍ لخشيت أن يذهب بعلاقته**».

ج ـ «**صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن يصارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم**».

د ـ «**إذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر، قلتم: هذه حمّارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتم: هذه صبّارة**

القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباه الرجال ولا رجال».

إن هذه الأخلاقية وهذا النمط من السلوك، كان له أثر سلبي على تخطيط الإمام الحسن عليه السلام حتى اضطر معه إلى ما اضطر إليه.

يضاف إلى كل ذلك، أن تلك المهابة التي كانت لأمير المؤمنين عليه السلام لم تكن موجودة للحسن عليه السلام، ولهذا تحرّك معاوية باتجاه عاصمة الحسن عليه السلام وبادره بالتحرك...

وفي المقابل بدأ التحرك بتباطؤ أهل الكوفة، بعد تحركه عليه السلام إلى معسكر النخيلة وإرساله مقدمة جيشه مع ابن عمه عبيد الله بن العباس، والذي بادر إلى اللحوق بمعاوية! ان عبيد الله بن العباس لم يكن ابن عم الإمام عليه السلام فقط، بل ان له ثأراً مع الأمويين، وبالخصوص معاوية، حيث أرسل أحد قوّاده وهو بسر بن أرطأة إلى اليمن حينما كان عبيد الله هذا والياً عليها وهرب، فبادر بسر بن أرطأة إلى قتل طفلين صغيرين لعبيد الله بن العباس، حتى ذهب عقل أمهما!!.

وحاول قيس بن سعد بن عبادة أن يتلافى نتائج الموقف، ثم هرب قائد سرية آخر بعثت إلى الأنبار، ثم عين آخر محله فهرب إلى معاوية أيضاً!! ولك أن تتصور حالة بقية الجيش إذا كان قادتهم بهذا المستوى.

ثم أخذ قادة جنده بمراسلة معاوية مبدين استعدادهم لتسليم الحسن عليه السلام إلى معاوية كتافاً. فأرسل معاوية رسائلهم إلى الحسن عليه السلام ولم يتفاجأ عليه السلام.. وضربوه بسهم أثناء صلاته فلم يؤثر فيه، لأنه عليه السلام كان قد تدرع تحت ثيابه... إلى أن هجم القوم على رحله ونازعوه مصلاه الذي كان تحته، ثم خرج راكباً دابته. فبادره رجل حينما مر عليه السلام بمظلم ساباط حيث أخذ بلجام بغلته، فطعنه في فخذه فشقه، فأُخذ وأُخذ رجل كان معه فقُتلا، ثم حمل عليه السلام بعد

ما نادى ربيعة وهمدان، حيث منعوه الناس، إلى دار والي المدائن، حيث مكث مدةً يداوي جرحه. فكيف يقاتل بمثل هذا الجيش؟.

ثم بعث معاوية بورقة بيضاء وقّع تحتها، يطلب من الحسن عليه السلام أن يملي عليه شروطه. فرأى الحسن عليه السلام بعين بصيرته وحكمته الأمة وعدم تمييزها أهل الحق من غيرهم، إذ لا بدّ لهم من تجربة قاسية يمرّون بها كما لا بد من كشف معاوية وسلوكه المخالف للإسلام. وفي انتظار الظرف المناسب لمواجهته. وقد قال عليه السلام لمعاوية لما طلب منه أن يشاركه في حرب جماعة من الخوارج بعد الصلح:

«**أأقاتل قوماً أنت أولى منهم بالقتال**».

ولكنها الظروف الموضوعية التي مرّت على جده صلى الله عليه وآله وعلى أبيه عليه السلام من قبل في بعض الأوضاع، مما جعلتهما يغيران طريقة عملهما تبعاً للظروف التي مرّا به، فلو كان أي إمام آخر غير الحسن عليه السلام في هذا الظرف لما سلك غير سلوكه عليه السلام. ويحضرني هنا قول رائع للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين، حيث قال: «**لو أن إمامة الحسين عليه السلام كانت سابقة على إمامة الحسن عليه السلام، لصالح الحسين معاوية ولقاتل الحسن يزيداً**».

إذن لم يكن هناك إجراء أصوب من الصلح، وقد تقدم به معاوية وفق شروط يحددها الحسن عليه السلام. قبل أن تأتي ظروف تملي الشروط عليه عليه السلام. فشرط عليه السلام أموراً منها:

«**العمل بكتاب الله وسنّة رسوله** صلى الله عليه وآله - وهو شرط يوضح مفهومه أن معاوية لم يكن عاملاً بهما - **كما أن ليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده، وأن الناس في كل أمصارهم آمنون، وأن أصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون في أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يبغي للحسن ولا للحسين ولا لأحد من بيت رسول الله** صلى الله عليه وآله **غائلة**».

ومن المعروف أن معاوية لم يعمل بأي شرط منها، بل أنه بادر حينما دخل الكوفة إلى فضح ما انطوت عليه نفسه، حينما خطب بمسجدها: «**إني والله ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلّوا ولا لتزكّوا، فإنكم تفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، ولقد كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي له**». ثم سار فدخل الكوفة فأقام فيها أياماً.

وكان موقف الحسين عليه السلام هو نفس الموقف الذي كان لأخيه عليه السلام لأنه كان يصرح عليه السلام (**بأننا عاهدنا**) بصيغة الجمع، مما يعكس موقفاً واحداً لهما عليهما السلام. ولنأخذ أمثلة لذلك:

١ ـ هناك رواية حول أن حجراً دخل على الحسن عليه السلام (وفي أخرى انه قيس بن سعد) وجرى كلام ثم دخل على الحسين عليه السلام ومعه جماعة فأجابهم عليه السلام:

«**إننا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا**».

٢ ـ ومر جماعة آخرون على الحسن عليه السلام حتى نادوه باللفظ القاسي: يا مذل المؤمنين، ثم توجهوا إلى الحسين عليه السلام وأخبروه كيف ردّ عليهم الحسن عليه السلام فأجابهم الحسين عليه السلام:

«**صدق أبو محمد، فليكن كلَ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الرجل** ـ معاوية ـ **حياً**».

٣ ـ تصريحه عليه السلام يوم دفن أخيه، وبعد الذي جرى مع مروان وغيره:

«**.... فإنكم نقضتم العهد بيننا وبينكم وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا**».

وهكذا كان الحسين عليه السلام دائماً ما يصرّح انه على رأي أخيه عليه السلام، وكأنه ينتظر أن تتم مخالفة كل شروط المعاهدة، مع اكتمال الشروط الموضوعية لخروجه وثورته عليه السلام.

ولو كانت المسألة مرتبطة بطبيعة كل من الحسنين عليهما السلام وما جبلا عليه من سلوك، فكيف نبرر الحوادث السابقة أعلاه بل نضيف إلى ذلك النقاط التالية:

١ ـ لِمَ لَمْ يستجب عليه السلام لشيعته بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام لو كان مجرد بقاء الإمام الحسن عليه السلام حياً مانعاً له من التحرك، بل أمرهم بالصبر وان يخفوا الشخص ويكونوا حلساً من أحلاس البيت.

٢ ـ لقد حدثت بعد وفاة الحسن عليه السلام حوادث تحرق القلوب وتهيج المشاعر وتحرك حتى ذوي الطباع الباردة والمتثاقلين، فلو كانت المسألةُ مسألة مزاجية فلم تأخر الحسين عليه السلام ولم يتحرك؟ فحادثة استشهاد حجر وأصحابه (رض)، التي هزت المسلمين وأجّجت مشاعرهم، حتى قال الحسن البصري (**ويل لمن قتل حجراً وأصحابه**).

وقالت عائشة: (أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعةُ، ما اجترأ على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم، حتى قتلهم بالشام، ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس،...).

خاصة بعد أن جاءه عليه السلام وفد من أشراف الكوفة يخبروه بالحادثة، وينتظرون أوامره، فاسترجع عليه السلام، وشق عليه ذلك كثيراً، فالحسين عليه السلام عالم بما لا يقبل الشك أنه لا بد من لقاء مع هؤلاء القوم، ولكن الظرف لم يسمح بذلك حينئذٍ.

٣ ـ كما أنه لم يعلن تحركه حينما بدأت محاولات معاوية لأخذ البيعة للفاسق يزيد ولم يعلنه بعدما أجبر معاوية الناس على ذلك.

٤ ـ كما أنه لم يعلن تحركه قبل أن يستدعيه والي المدينة الوليد بن عتبة وكان قد توقع وفاة معاوية بل أعلن ذلك بعدما طلب مروان بن الوليد أن يستخدم السيف لإجبار الحسين عليه السلام على البيعة.

ففرق بين موقف الحسن عليه السلام الذي هو نفسه أملى الشروط على معاوية، وبين الحسين عليه السلام الذي يطلب منه يزيد أن يبايعه.

إذن فتحرك الحسين عليه السلام جاء بعد تلكم التراكمات الضخمة من الأحداث وتغير الكثير من أرقام المعادلة، وانكشاف زيف بني أمية بفضل الحسن عليه السلام وخطته. لقد جنى الحسين عليه السلام ما زرعه الحسن عليه السلام.

إن الفارق كبير بين قتل يحرّك الأمة، وبين آخر لا يترك أثراً، لأن المقاييس كانت قد ضاعت ولأن الأمة لا تميز بين طرفي النزاع.

وهكذا شوفيت الأمة من داء عدم التمييز بين أهل الحق وأهل الباطل ـ بفضل صلح الحسن عليه السلام ـ ولكنها أصيبت بداء جديد وهو داء ضعف الإرادة والخوف من مواجهة الظالمين. فكان لا بد للحسين عليه السلام من علاجه بدمه الطاهر، ودماء الشهداء الذين معه، وكان منهم مجموعة من أبناء الإمام الحسن عليه السلام.

وهذه مساهمةٌ أخرى من الإمام الحسن عليه السلام في واقعة كربلاء.

التخلص:

لقد اشترك أبناء الإمام الحسن عليه السلام في واقعة كربلاء، ومن هؤلاء كان الحسن المثنى وهو الحسن بن الحسن عليه السلام، الذي قاتل في عاشوراء حتى أصابته ثمانية عشر جراحة وقطعت يده اليمنى ولم يستشهد حيث تدخّل أخواله وتشفعوا فيه فنجا.

ثم برز أخ آخر له وهو عبد الله الأكبر بن الحسن عليه السلام فقاتل حتى قتل.

وقبل استشهاد الحسين عليه السلام أفلت غلام للحسن عليه السلام من عمته زينب واسمه عبدالله أيضاً وكان له من العمر إحدى عشرة سنة، حتى ذبحه حرملة بن كاهل بسهم وهو في حجر عمّه الحسين عليه السلام ...

والابن الرابع للإمام عليه السلام الذي برز يوم عاشوراء، والذي ترك مقتله أثراً وأي أثر في قلب عمّه الحسين عليه السلام، فقد كان القاسم بن الحسن عليه السلام، الذي كان غلاماً لم يبلغ الحلم... والذي ما إن جاء ليستأذن عمه الحسين عليه السلام في البروز للقوم، ورآه الحسين عليه السلام حتى بكى بعدما اعتنقهُ، وألحّ على عمه بأن يأذن له بالقتال.. وأخيراً أذن له ودموع الحسين عليه السلام على خدّيه ونظراته تودّعه، وآهاته تشيّعه، وحزنه يرافقه...

وقبل أن يبرز للمعركة جاءت إليه النساء، عمته زينب عليها السلام وأمه رملة وبقية الفاطميات...

قال الحسين عليه السلام لابن أخيه القاسم بن الحسن عليه السلام:

«**كيف ترى الموت؟**».

فقال القاسم:

«**هو عندي أحلى من الشهد**».

هذا مقطع من الحوار الذي جرى بين الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره من أصحابه وأهل بيته ليلة عاشوراء، حيث أوضح لهم ما ينتظرهم من أحداث ومواقف وتضحيات.

لقد كان الحسين عليه السلام وكما أكدت روايات كثيرة وأخبار متواترة كان عارفاً بما ينتظره وحركته من مصير دامٍ بنجيع الشهادة.

وكان إصراره على أخذ رحله من نساء وأطفال وشباب وفتيان، جانباً مشرقاً وبُعداً رسالياً عميقاً في واقعة كربلاء...

لقد كان الشهداء من آل البيت كلهم شباب وكان أكبرهم عمراً هو أبو الفضل العباس عليه السلام بأربع وثلاثين سنة.

لموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة الثامنة من محرم:

تتابع الأحداث بعد نزول الحسين عليه السلام في كربلاء:

فكيف جرت الأحداث وكيف تتابعت المواقف منذ أن نزل الحسين عليه السلام مع رحله بكربلاء.

وسوف نتابع في هذا المجلس سيرة الأحداث التي رافقت مسيرة الحسين عليه السلام منذ وصوله كربلاء، حتى أحداث هذه الليلة المفصلية، والتي سيتضمنها مجلسنا هذا.

من المعلوم أن الإمام الحسين عليه السلام غادر مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠هـ، وهو يوم التروية، ووصل إلى كربلاء في اليوم الثاني من شهر محرم الحرام، لسنة إحدى وستين هجرية، وبذا استغرقت رحلته عليه السلام من مكة إلى كربلاء أربعاً وعشرين يوماً.

وفي أثناء تلك المسيرة، حدث تطوّر كان له أثر كبير، في تحديد سير هذه الرحلة؛ حيث جاء الحر بن يزيد الرياحي ومعه ألف فارس، فسقاهم الحسين عليه السلام الماء وخطب فيهم، ثم أخرج لهم كتب الكوفيين التي جاءته، تطلب إليه السير إلى الكوفة وإنقاذهم من حكم الأمويين.

فقال الحر للحسين عليه السلام: «**إني لست من هؤلاء، وأني أُمرت أن لا أفارقك إذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد**».

فقال الحسين عليه السلام:

«**الموت أدنى إليك من ذلك...**».

وأمر أصحابه بالركوب، وركبت النساء.

فحال الحر بينهم وبين الانصراف إلى المدينة!

فقال الحسين عليه السلام له:

«**ثكلتك أمك ما تريد منّا؟**».

وأخيراً اقترح الحر قائلاً: «خذ طريقاً نصفاً بيننا، لا يدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة، حتى أكتب إلى ابن زياد».

هذا هو التطوّر الخطير الذي طرأ على الموقف. إن الحسين عليه السلام كان قاصداً الكوفة حينما خرج من مكة، ولكن تمزّق شيعته وقتل مسلم (رض) من جهة، وسيطرة عبيد الله بن زياد على الكوفة من جهة أخرى، ثم مجيء الحر بجيشه هذا يريد اعتقال الحسين عليه السلام، وإدخاله الكوفة ليسلّمه إلى ابن زياد من جهة ثالثة جعلت خيار السير باتجاه الكوفة، يبدو أمراً مستبعداً جداً، وخطوة لا يمكن للحسين عليه السلام أن يخطوها.

وهكذا جاء الحل الوسط، لا للاتجاه نحو الكوفة، ولا للرجوع إلى المدينة، فإلى أين إذن، إلى كربلاء!!

نعم أخذ الطريق يتياسر بركب الحسين عليه السلام وجيش الحرّ معاً، حتى وصلوا إلى قرى الطّف. وإذا براكب على فرس له وعليه سلاح، فانتظروه فإذا هو رسول من عبيد الله بن زياد إلى الحر، جاء بجواب على الرسالة التي بعثها الحر إلى ابن زياد، يطلب منه بيان كيفية التصرّف مع ركب الحسين عليه السلام.

نعم جاء هذا الفارس، ومعه كتاب من ابن زياد إلى الحرّ يقول فيه: «جعجع[1] بالحسين، حين تقرا كتابي، ولا تنزله إلا بالعراء؛ على غير ماء وغير حصن».

وجاء الحر بالكتاب وقرأه على الحسين عليه السلام، فطلب منه الحسين عليه السلام أن ينزل في نينوى أو الغاضريات أو شفيّة، فقال الحر: «لا أستطيع فإن الرجل عيّن عليّ».

واقترح زهير مبادراً بأن يبدأ الحسين عليه السلام الحرب مع هذا الجيش، قبل

(١) والجعجعة هي الإزعاج أو التضييق أو الحبس.

اكتمال بقية كتائبه، ولكن الحسين عليه السلام رفض أن يبدأ القوم بالقتال.

وهكذا واصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى كربلاء، ونزلوا بها ونصب الحسين عليه السلام خيمته، ثم ضربت خيام أهل بيته وأنصاره حتى أحاطت بخيمته. وحطوا الأثقال ناحية من الفرات.

ثم إن الحسين عليه السلام جمع ولده وأخوته وأهل بيته، ونظر إليهم وبكى وقال:

«اللهم إنّا عترة نبيّك محمد ﷺ قد أُخرجنا وطُردنا وأزعجنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقّنا وانصرنا على القوم الظالمين».

ثم أقبل عليه السلام على أصحابه وقال:

«الناس عبيدُ الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون».

ثم حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد وآله وقال:

«أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون! وإن الدنيا قد تغيرت وتنكّرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فأني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً».

فقام زهير بن القين وبعده بُرير بن خضير ثم نافع بن هلال، وكانت مقالاتهم تؤكد بقاءهم على عهدهم، وإنهم مستعدون لبذل أرواحهم دفاعاً عن الحسين وآل الحسين عليه السلام.

(فسر بنا راشداً معافى، مشرّقاً ان شئت أو مغرّباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك ونعادي من

عاداك).

هكذا قال نافع بن هلال مثنيّاً على مقالة صاحبيه.

وحينما نزل الحسين عليه السلام في كربلاء، كتب كتاباً إلى ابن الحنفية وجماعة من بني هاشم:

«أما بعد، فكأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل والسلام».

وهو من أقصر الكتب التي بعثها الحسين عليه السلام أثناء حركته التاريخية.

وبعد أن نزل الحسين عليه السلام في كربلاء، بادر الحرّ فأرسل كتاباً إلى ابن زياد، يخبره فيه بنزول الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء.

ثم جاء جواب ابن زياد، بكتاب موجّه هذه المرة إلى الحسين عليه السلام، وليس إلى الحرّ. وهو أمر يستحق التوقف عنده، فلمَ لمْ يبعث جواب كتاب الحرّ إليه، ولماذا بعث الجواب إلى الحسين عليه السلام، هل ذاك كان لمزيد غطرسة ابن زياد وعنجهيته وطغيانه؟. أو أنه أراد أن يكتشف ردّ فعل الحسين عليه السلام مباشرة على كتابه؟. أم أنه كان يتصور بأن في مقدوره التأثير على استعداد الحسين عليه السلام للمواجهة وإصراره على موقفه المبدئي؟.

على كل حال، كان كتاب ابن زياد هو: **«أما بعد يا حسين، فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد، أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخمير، أو الحقك باللطيف الخبير، أو تنزل على حكمي وحكم يزيد والسلام».**

ولما قرأ الحسين عليه السلام هذا الكتاب، رماه من يده وهو يقول:

«لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق».

ولما طالبه الرسول بالجواب، قال عليه السلام:

«ما له عندي جواب، لأنه حقّت عليه كلمة العذاب».

ولما وصل الرسول إلى ابن زياد وأخبره بمقالة الحسين عليه السلام، اشتد غضب

ابن زياد وأمر عمر بن سعد بالخروج إلى كربلاء، في أول مقدمة للجيوش الزاحفة لحرب الحسين عليه السلام ...

وسامته يرخص إحدى اثنتين ... وقد صرت الحرب أسنانها
فإما يُرى مُذعناً أو تموت ... نفس أبى العز إذعانها
فقال لها: اعتصمي بالإباء ... فنفس الأبيّ وما زانها
إذا لم تجد غير لبس الهوان ... فبالموت تنزع جثمانها
يرى القتل صبراً شعار الكرام ... وفخراً يزيّن لها شانها

وهكذا شمّر ابن زياد عن ساعد الاستعداد لحرب آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصدر أوامره في الكوفة: «**أن برأت الذمة ممن لم يخرج لحرب الحسين**».

وأما عمر بن سعد، فقد كان معسكراً في الكوفة بمنطقة تسمى (حمام أعين) بأربعة آلاف فارس، استعداداً للتوجه إلى بلاد الري لقمع تمرّدٍ للدَيلم، ثم الفوز بولاية الريّ وجرجان!!.

فلما جاءه أمر عبيد الله بن زياد بالخروج لحرب الحسين عليه السلام في كربلاء، حاول أن يستعفيه من هذا الأمر، ولكن ابن زياد يعرف نقطة ضعف ابن سعد، أنها ولاية الري وجرجان التي قضى عمره للفوز بها وبنعيمها!!

ولهذا قال له ابن زياد: «**إذن تردَ علينا عهدنا**». فاستمهله ابن سعد ليلة ليفكّر في الأمر! وهذا أول الوهن والسقوط، لأن مجرد التفكير في الإقدام على قتل الحسين عليه السلام أو عدم الإقدام هو سقوط وانحدار وهوان... فابتسم ابن زياد لهذا، وعلم أنه سيعود إليه.. وحاول البعض نصح عمر بن سعد، بعدم السير لحرب الحسين عليه السلام، حتى لو أدى به إلى أن يخرج من كل الدنيا وسلطان الرضى. ولكن ابن سعد بات ليلته تلك مفكراً في أمره، متقلباً على فراشه، وسُمع وهو يقول في تلك الليلة:

فـوالله مـا أدري وأني لحـائر ... أفكّر في أمـري على خطرين
أأترك ملك الريّ والريّ مُنيـتي ... أم أرجعُ مـأثومـاً بقـتل حـسين
وفي قـتلهِ النارُ التي ليس دونهـا ... حـجـابٌ وملك الريّ قـرةُ عـيني
دعـاني عبيـدُ الله من دون قـومه ... إلى خطةٍ فيـهـا خـرجتُ لحـيني
يقـولون أن الله خـالق جنةٍ ... ونـارٍ وتـعـذيبٍ وغـلّ يـدين
فـإن صدقـوا فيـمـا يقـولون إنني ... أتـوب إلـى الـلـه مـن سـنـتـين

وأخيراً انهار ابن سعد، وخرج بجيشه الذي كان مقدمة الجيوش الخارجة لارتكاب المجزرة التاريخية.

إن الأمور كانت تجري بسرعة، فبعد نزول عمر بن سعد بجيشه في كربلاء وفي اليوم التالي لنزوله أي في اليوم الرابع من المحرّم، أراد أن يبعث جماعة إلى الحسين عليه السلام ليسألوه عن سبب مجيئه إلى كربلاء، فاعتذروا لأنهم كانوا ممن راسل الحسين عليه السلام وكاتبه.

فقام كُثير بن عبد الله الشعبي، وكان شديد العداوة لأهل البيت عليهم السلام فاتكاً غشوماً.

فلما جاء إلى الحسين عليه السلام ورآه أبو ثمامة الصائدي، قال للحسين عليه السلام: «**أصلحك الله يا أبا عبد الله، لقد جاءك شرّ أهل الأرض، وأجرأهم على دم وأفتكهم**». ورفض أبو ثمامة أن يدخل كثير على الحسين عليه السلام بسلاحه، فرجع إلى ابن سعد.

فأرسل ابنُ سعد رجلاً آخر وهو قرة بن قيس الحنظلي، ولما اقترب من الحسين عليه السلام، سأل عليه السلام أصحابه من يعرفه! فقال حبيب أنه يعرفه، وما كان يتوقع أن يراه في هكذا موقف. ودخل قرة على الحسين عليه السلام وأبلغه رسالة ابن سعد عن سبب مجيئه إلى كربلاء.

فقال له الحسين عليه السلام:

«كتب إليّ أهل مصركم أن أقدم، فأما إذا كرهتموني فأني أنصرف عنكم من حيث جئت».

ورجع قرة إلى ابن سعد وأخبره بمقالة الحسين عليه السلام هذه، فقال ابن سعد: «أرجو أن يعافيني الله من أمره». وأرسل كتاباً إلى ابن زياد يخبره بما قاله الحسين عليه السلام، فلما وصل الكتاب إليه وقراه أنشد قائلاً:

الآن وقد علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناصِ

وردّ على ابن سعد يأمره أن يعرض على الحسين عليه السلام أن يبايع هو وأصحابه ليزيد، فإذا فعل رأى فيهم رأيه!.

أما ابن سعد فلم يعرض هذا الطلب على الحسين عليه السلام، لأنه يعرف أن الحسين عليه السلام لا يجيب إلى بيعة يزيد!! فيما كان ابن زياد يرسل الكتائب إلى كربلاء، حتى بلغت ثلاثين ألفاً وقيل أكثر، وكان ذلك في اليوم السادس من المحرّم، وكان ابن زياد يحث عمر بن سعد على الحرب بعد اكتمال الجيوش لديه.

وفي اليوم السابع، جاءت أوامر ابن زياد بمنع الحسين عليه السلام وأصحابه من الماء، فأرسل ابن سعد عمرو بن الحجاج الزبيدي، في خمسمائة فارس لتنفيذ أوامر ابن زيادّ!! واضطر الحسين عليه السلام لحفر الآبار لشرب الماء، وبلغ ذلك ابن زياد فأصدر أوامره إلى ابن سعد بمنع الحسين عليه السلام من ذلك..

ثم أن الحسين عليه السلام، طلب من ابن سعد الاجتماع به، ليلاً بين المعسكرين، ويقال أن الحسين عليه السلام التقى ابن سعد ما بين الثالث إلى السابع من المحرّم ثلاث إلى أربع مرات.

ثم أن ابن سعد كتب إلى عبيد الله بن زياد يخبره «**أما بعد.... فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة، هذا الحسين قد أعطاني عهداً أن**

يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور، فيكون رجلاً من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم....».

ثم أضاف: «**أن الحسين عليه السلام أبدى استعداده ليضع يده في يد يزيد!! وهو الأمر الذي يستحيل تصوره، بعد كل هذه المواقف التي وقفها الحسين عليه السلام وإصراره على مواقفه هذه**».

وكما نفى هذا الخبر، عقبة بن سمعان الذي عايش الحسين عليه السلام وبقي بعده.

ولما وصل الكتاب إلى ابن زياد قال: «**هذا كتاب رجل ناصح لأميرهِ مشفق على قومه**».

وكاد ابن زياد أن يوافق على هذا الاقتراح، ولكن الشمر بادره قائلاً: «**أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك وإلى جنبك، والله لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوة والعزّة، ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك**».

فاستصوب ابن زياد رأي الشمر، وأرسل كتاباً إلى ابن سعد مع الشمر: «**إني لم أبعثك إلى الحسين لتكفَّ عنه، ولا لتطاوله ولا لتمنّيه السلامة، ولا لتكون له عندي شفيعاً**».

ثم قال له: «**أما أن ينزل الحسين وأصحابه على حكمي أو ازحف عليهم وأقتلهم ومثّل بهم**».

ثم قال: «**فإن أنت مضيت لأمرنا، جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فانا قد أمرناه بذلك والسلام**».

ووصل الكتاب بيد الشمر إلى عمر بن سعد يوم التاسع من المحرّم، فقال ابن سعد للشمر: «**مالك ويلك، لا قرّب الله دارك، وقبّح الله ما جئت به، وإني لأظن**

أنك الذي نهيته وأفسدت علينا أمراً رجونا أن يصلح، والله لا يستسلم حسين، فإن نفس أبيه لبين جنبيه».

فقال له الشمر: «**أتمضي لأمر أميرك، وإلا فخلَ بيني وبين الجند والعسكر**».

فقال ابن سعد: «**لا ولا كرامة لك، فأنا أتولّى ذلك، فدونك فكن أنت على الرجّالة**».

وهكذا سنحت فرصة أخيرة لابن سعد، أن يعيد تقييم موقفه ولكنه لم يفعل حتى هوى إلى سوء العاقبة.

وتحرك جيش ابن سعد عصر تاسوعاء إلى مخيم الحسين، منادياً: «**يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري**». عجباً لهذه المغالطة، وأي جنة في حرب آل رسول الله وترويع أطفالهم ونسائهم؟!. وكان الحسين عليه السلام محتبياً بسيفه، وقد خفق برأسه، فسمعت أخته زينب عليها السلام الصيحة فدنت من أخيها وقالت:

«**يا أخي أما تسمع هذه الأصوات؟**».

فرفع الحسين عليه السلام رأسه وقال:

«**إني رأيت رسول الله الساعة في المنام، وهو يقول: إنك صائر إلينا عن قريب**».

فصرخت زينب عليها السلام وهدأها الحسين عليه السلام، ثم أرسل أخاه العباس عليه السلام وابنه علياً الأكبر عليه السلام في عشرين رجلاً من أصحابه ليستعلموا من القوم نياتهم.

فقالوا لهم: «**إما النزول على حكم ابن زياد أو الحرب**».

ورجع العباس عليه السلام ليخبر أخاه الحسين عليه السلام بذلك. فطلب الحسين عليه السلام من العباس عليه السلام الرجوع إلى القوم، ليؤخّروهم الى غدّ:

«**لعلنا نصلّي لربّنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره، فإنه يعلم أني أحبّ الصلاة وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار**».

وهكذا تأجل اللقاء إلى يوم غد، إلى يوم عاشوراء الدامي!.

التخلص:

ولما اقترب المساء جمع الحسين عليه السلام أهل بيته وأصحابه وخطبهم، وأذن لهم في الانصراف عنه، فقام بنو هاشم وعلى رأسهم العباس عليه السلام حيث قال:

«**ولم نفعل ذلك! لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك**».

ثم قال بقية إخوته وأبناء إخوته وآل جعفر وآل عقيل، بمثل مقالة العباس عليه السلام.

ثم تكلم من أنصاره؛ مسلم بن عوسجة الأسدي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، وزهير بن القين، وتكلّم بقية أصحاب الحسين عليه السلام، بقولٍ واحد:

«**والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بأيدينا ونحورنا وجباهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك، نكون قد وفينا لربنا وقضينا ما علينا**».

وبات الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام تلك الليلة، ولهم دويّ كدويّ النحل؛ ما بين قائم وقاعد، وراكع وساجد!!.

ثم وقف القاسم أمام عمه الحسين عليه السلام ليسأله عن مصيره يوم غد، فقال له:

«**إنك مقتول معنا**».

ووقفة أخرى يوم عاشوراء وقفها القاسم وهو ينظر إلى عمه الحسين عليه السلام منادياً:

«**ألا من معين يعيننا ألا من ذاب يذبّ عنا..**».

فخرج القاسم فلما رآه الحسين عليه السلام بكى وقال له:

«**أنت وديعة أخي الحسن** عليه السلام».

واعتنقه وبكى ثم خرج القاسم إلى المعركة وودع عمه وأمه وأهل بيته.

الموضوع الثالث الذي يمكن طرحه في الليلة الثامنة من محرم:

الإسلام وقيمة الشباب:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم ❖ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ❖ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾[1].

دأب الإسلام على تربية الإنسان المسلم، كي يكون سبّاقاً ومبادراً إلى كل ما من شأنه رضا الله، الذي تكمن فيه سعادة الإنسان وتفجير طاقات الخير والنبل في نفسه.

يجعل الإسلام الشاب التائب المبادر إلى طاعة الله، أعظم قدراً من الشيخ الكبير، ويجعل الصلاة في أول وقتها؛ حينما يبادر إليها المسلم، أعظم أجراً من الصلاة في آخر الوقت، ويوجب الحج على المستطيع ويدعوه إلى المبادرة، وإلا اعتبر مسوّفاً عليه قضاء الحج، حتى لو افتقر بعد ذلك، ان لم يبادر إلى استثمار الفرصة وتأدية المناسك.

هذه الآية الكريمة، دعوة إلهية لكل المؤمنين إلى الإسراع في الحصول على المغفرة من الله. وذلك بالعمل على تحصيل أسبابها، التي جعلها الله في الانسجام مع خطه المستقيم في العقيدة والتشريع وفي الوصول إلى الجنة الواسعة، التي عرضها السموات والأرض في إيحاء بالامتداد والتوسع...

والآية توحي، بأن العمر الذي يعيشه الإنسان، فرصة سانحة قد لا تمتد طويلاً. فلا بد من اغتنامه والمبادرة إلى صرف لياليه وأيامه، في كل ما من شأنه الحصول على الدرجة الرفيعة.

كما أن الآية تشجّع المبادرة في تأدية الطاعات، وكأنها سباق إلى هدف أو جائزة... فعلى المؤمن المبادرة إلى كل طاعة يقدر عليها.

---

(١) سورة الواقعة، الآية/١٠.

لقد وردت في القرآن آيات أخرى تؤكد نفس المفهوم، وتدعو على عين التوجه كقوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ﴾[٢].

وقوله تعالى:

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٣].

ويفرق القرآن بين إنفاقين وجهادين على أساس المبادرة:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤].

ومن صفات المؤمن أن لا تمر به الفرص دون استغلال، فقد روي عن النبيﷺ:

«اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».

فكل مورد من هذه الموارد، تؤهلك لأعمال وطاعات، فبادر إليها قبل أن تتغير.

---

(١) سورة آل عمران، الآية/١٣٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية/٩٠.
(٣) سورة القيامة، الآية/٢١.
(٤) سورة الحديد، الآية/١٠.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«انتهزوا فرص الخير فإنها تمرّ مرّ السحاب».

وقوله عليه السلام:

«بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة».

ويعطينا القرآن صورة من صور القيامة في غصّة الإنسان الذي فرّط، قال تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[1].

ولهذا يحذّر أمير المؤمنين عليه السلام من التفريط بقوله:

«التفريط مصيبة القادر».

ولستُ أرى في الناس عجزاً كعجز القادرين عن التمام

وقال المفسرون: أن في الآية كلام محذوف، تقديره سارعوا إلى ما يوجد مغفرة من ربكم، وأوردوا أن الموجب للمغفرة، هو فعل الطاعات وترك المنهيّات، والتي جاءت في عدة وجوه هي:

١ ـ الإسلام.

٢ ـ أداء الفرائض.

٣ ـ الإخلاص.

٤ ـ الهجرة.

٥ ـ الجهاد.

فهي مصاديق لما يوجب مغفرة الله تعالى.

---

(١) سورة ص، الآية/٥٦.

وهذه الأمور بأجمعها، قد تضمنتها حركة الإمام الحسين عليه السلام، الذي كانت نهضته لله تعالى، ولدين الله ودين رسوله صلى الله عليه وآله.

فنهضتُه عليه السلام من أجل الإسلام، ودعا إلى الفرائض، بل أقيمت الفرائض بدمه.

«أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة».

وهو عليه السلام عنوان الإخلاص، إذ أعطى الله كل شيء، وهو عليه السلام علم الجهاد. وهو يصرخ:

«ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه».

ولهذا كان الذين بادروا إلى النهوض مع الحسين عليه السلام، وسارعوا إلى تأييد ثورته، هم تجسيد واضح ومصداق رائع للآية الكريمة:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾.

لقد كانت حركة الحسين بحد ذاتها، حركة مبادرة ومسارعة، تريد أن يكون زمام المبادرة بيدها.

ولهذا فإن الإمام عليه السلام كان لا يستقر في المكان الذي يعلم انه بمكوثه فيه لا يقوى على المبادرة.

يخرج من المدينة مبادراً بحركة، جاعلاً البلاط الأموي في حيرة، ثم يهاجر من مكة ليضيّع على بني أمية خطة قتله أثناء موسم الحج، وليكون هو المبادر بالخطوة لا أن تفرض الخطوة عليه!.

كما أنه عليه السلام كان يدعو الناس إلى أن يبادروا بالالتحاق به وتأييد حركته، يراسل أهل البصرة، ويخطب في مكة.

«من كان باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا».

فليبادر بالتهيؤ للرحلة التاريخية، وللحركة التاريخية وللشهادة التاريخية.

يحثّ بني هاشم الباقين في المدينة:

«من لحق بنا استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح».

إن ممّا يميز حركة الحسين عليه السلام، أنها حركة سريعة. فبعد أربعة وعشرين يوماً من المسير من مكة إلى كربلاء، التي وصلها في الثاني من محرم ليستشهد في العاشر منه.

ولهذا فاز بنصرته أولئك المبادرون، أمّا الذين أخذوا بالتفكير، أو بطلب المشورة، أو بالتردّد، أو بانتظار ما ينجلي عنه الموقف؛ فهم قد فاتتهم تلك المشاركة الفريدة، وذلك الموقف الذي ليس له نظير!.

لقد كان هناك مؤمنين بحركة الحسين عليه السلام، قد هيئوا أنفسهم للشهادة بين يديه ونصرته، ولكن فاتهم كل ذلك؛ لأنهم لم يبادروا، وكمثال: الطرماح بن عدي الطائي وهو محبّ لعلي وولده عليهم السلام، التقى بالحسين في منزل عذيب الهجّانات، وقد جاء بمجموعة من الكوفيين خرجوا لنصرة الحسين عليه السلام هذا الرجل لم يقدّر ضرورة حسم القرار، وأهمية المبادرة، فاستأذن من الحسين عليه السلام كي يوصل الميرة (الطعام) إلى أهله ويعود، والرجل صادق، فقد رجع بالفعل، ولما وصل إلى عذيب الهجانات، بلغه قتل الحسين عليه السلام فرجع.

نحن لا نشك في صدقه وولائه، لكنه قد فاته ذلك الموقف العظيم، لأنه لم يبادر... رحمك الله يا طرماح، ما قيمة هذه الميرة وما قدرها، وقد أعاقتك وأخّرتك عن هذا الشرف وهذه المنزل؟!.

هل تكون دليلاً لرجال خرجوا من الكوفة والتحقوا به واستشهدوا، وتعود أنت بطعامك إلى أهلك وتفوتك الشهادة.

أين ميرة الطرماح، من موقف زهير بن القين، الذي رغم كل أرضيته العقائدية البعيدة عن أهل البيت عليهم السلام، فإنه لما قرر الاندماج بركب الحسين عليه السلام خرج من كل شيء؛ ترك أمواله، وأوصى أن توزع بيوته وممتلكاته،

وطلّق زوجته، وخرج من الدنيا ولم يقل للحسين عليه السلام: ائذن لي حتى أوصل زوجتي إلى أهلها، أو أقوم بتصفية حساباتي ثم أعود!!.

إنه الوعي وإنه التوفيق وإدراك طبيعة الموقف، وضرورة أهمية المبادرة!!!.

لقد فاز مجموعة من المبادرين، بشرف الشهادة مع الحسين عليه السلام، وتسجيل أسمائهم في سجل الخلود الإلهي العظيم، حين لم يتماهلوا، وسارعوا للالتحاق بالحسين عليه السلام...

وهكذا يمكن لك أن تتصور الآن الحسين في مكة، فيخف إليه بعض أنصاره، ثم يسير ركب الحسين عليه السلام إلى حيث موعد الشهادة، ولقاء الأحبة في كربلاء، تبادر مجموعات وأفراد من المؤمنين وهم يخترقون الحصار الأموي على الكوفة وضواحيها، ليبادروا للالتحاق بركب الحسين عليه السلام الألهي.

ومن الذين التحقوا بالحسين عليه السلام في مكة، إضافة إلى البصريين يزيد بن نبيت أو نبيط وأصحابه، أسرة قد قدمت من نواحي المدينة ولحقوا بالحسين عليه السلام، وينضم جنادة بن كعب الأنصاري الخزرجي مع زوجته وابنه عمرو الذي استشهد معه في كربلاء.

كما قد بادر جماعة يعتد بها من الكوفيين، فالتحقوا بالحسين عليه السلام في مكة منهم:

١ ـ عابس بن أبي شبيب الشاكري؛ الذي جاء بكتاب مسلم (رض) إلى الحسين عليه السلام وبقي معه حتى الشهادة.

٢ ـ الحجاج بن مسروق الجعفي، الذي لُقِّب بمؤذّن الحسين عليه السلام لما سمع بخروج الحسين من المدينة إلى مكة، خرج إليه والتحق به في مكة، حتى قتل. ويا له من شرف، بأن يكون مؤذناً لمن جعل الصلاة والآذان قائمَين إلى يوم القيامة!!.

٣ ـ زاهر بن عمرو الكندي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، صحب

الحسين عليه السلام، من مكة. وقد كان مختفياً طوال عشر سنين من الطلب الأموي.

٤ ـ برير بن خضير، حيث خرج من الكوفة، ليلتحق بالحسين عليه السلام في مكة.

ويذكر ابن عساكر في تاريخه؛ أنه كان مع الحسين عليه السلام حين خروجه من مكة ستون شيخاً من أهل الكوفة! وكلّ هؤلاء كانوا المبادرين...

وهناك آخرون من الكوفيين، بادروا للحاق بالحسين، بعد تطورات حركة مسلم (رض) المؤلمة، حيث زادت الضغوط، ووضعت المسالح، وأخذت شرطة الحصين بن نمير، تجوب أطراف الفرات تمنع الناس من اللحوق بالحسين عليه السلام، والله يعلم كم من مؤمن مجاهد حاول اللحوق بالحسين، ولكن الإجراءات الأمنية المشددة، وتعقد الأمور يوماً بعد يوم، قد حال دون غايته...

فلو كانوا قد بادروا واستثمروا تلك الفرصة، لحظوا بشرف الشهادة في أيام عصيبة عصفت بالمؤمنين في الكوفة، حيث حملات الإعدامات على قدم وساق، إذ يخبرنا التاريخ.

على سبيل المثال:

إن ميثم التمار الذي قتل قبل وصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء بعشرة أيام، قد كان عاشر عشرة في إحدى حملات الإعدامات.

نعم فكم من فرصة قد تُهيأ للمؤمن، ثم يتراخى عنها حتى يصعب أو يستحيل إرجاعها.

لقد استطاع رسولا الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة؛ قيس بن مسهر الصيداوي وعبدالله بن يقطر، أن يوصلا نداء الحسين عليه السلام لهم، ويحددا موقع ركبه!! مما ساهم في تشجيع من أراد الالتحاق به عليه السلام.

ومن الذين التحقوا بالحسين في الطريق:

١ ـ الصحابي أنس بن الحرث الكاهلي.

٢ ـ نافع بن هلال الجملي.

٣ ـ عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه.

٤ ـ مجمع بن عبدالله العائذي ومعه غلامه نافع.

وهؤلاء الأربعة الأواخر، حاول الحر إرجاعهم، فأصرّ الحسين عليه السلام على التحاقهم بركبه.

٥ ـ أبو الشعثاء الكندي الرامي.

٦ ـ كما التحق في الطريق وهب وأمه وزوجته.

ولما وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وجُيّشت الجيوش لحربه خشي ابن زياد من توجه شيعته لنصرته، فتعقدت الأمور أكثر؛ حيث أرسل زهير بن قيس الجعفي في خمسمائة فارس وأمره أن يقيم في جسر الصراة، يمنع كلّ خارج من الكوفة يريد اللحاق بالحسين عليه السلام. والتاريخ لم يسجل أسماء من حاول ذلك، فصدّه أولئك الظالمون أو سجنوه.

نعم سجل التاريخ لنا محاولة مؤمن مجاهد، وهو عامر بن أبي سلامة الدالاتي، وهو من أصحاب علي عليه السلام، حيث منعه القوم فشدّ عليهم بسيفه وقاتلهم، حتى أفلت منهم وانطلق نحو كربلاء إلى نحو الحسين عليه السلام، إلى الشهادة والخلود... هنيئاً لأولئك الذين بادروا لنصرةِ الحسين عليه السلام وأهل بيته، وأحرزوا الكرامة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

التخلص:

وفي ليلة عاشوراء الشهادة، نجد كيف بادر أهل بيت الحسين عليه السلام وأنصاره لتسجيل مواقف الإباء والتضحية، حينما راح سيد الشهداء عليه السلام يدعوهم إلى تركه وانهم في حلٍّ من بيعته لأن الأمويين إنما حشدوا جيوشهم لأجله لا لأجلهم، وأول المتكلمين كان العباس عليه السلام ثم آل عقيل وبقيت أهل بيته، ثم الأنصار.

وإذا بالقاسم الغلام الذي لم يبلغ الحلم والذي كان له من العمر ثلاثة عشر سنة أو أربع عشر يبادر عمّه متسائلاً:

«وهل أنا ممن سيقتل غداً يا عمّ؟».

وأراد الحسين عليه السلام أن يعرف مدى استعداد شبل الإمام الحسن عليه السلام للشهادة، فسأله:

«وكيف ترى الموت وطعمه؟».

فقال القاسم عليه السلام:

«هو أحلى عندي من الشهد معك يا عماه».

فقال عليه السلام له:

«وأنت ممن يُقتل معنا غداً يا ابن أخي».

وهكذا كان القاسم عليه السلام متوثباً ومنتظراً للفرصة الملائمة.

فلما قتل أنصار الحسين عليه السلام ثم بدأ أهل البيت ولم يبق مع الحسين عليه السلام إلا العباس عليه السلام واخوته بادر إلى عمه الحسين طالباً منه الإذن في الذبّ عنه والدفع عن جرمه:

فقال له الحسين عليه السلام:

«لو بقيت مع النساء والأطفال لترعاهم بعدنا؟».

فقال القاسم عليه السلام:

«أني لا بد لي من أن ألتحق بأبناء عمومتي وأخوتي».

فبرز القاسم وهو يقول:

إن تنكروني فأنا شبل الحسن ... سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أناس لا سقوا صوب المزن

علي الأكبر بن الحسين عليه السلام

هي الليلة التي تخصص عادة لشبيه رسول الله ﷺ خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً علي الأكبر، وهي ليلة حافلة بموضوعات التربية والأسرة والأبوين وحقوقهما، والشباب، كما سبق أن ذكرنا بعض هذه العناوين في الليلة السابقة (٨ من المحرم ـ ليلة التاسع).

أولاً ـ قصائد الليلة التاسعة:

ترك شعراء الطف قصائد رائعة في علي الأكبر نختار ثلاثاً منها:

١ ـ قصيدة الشيخ عبد الحسين صادق رحمه الله، ومطلعها[1]:

مهدي بقربهم أغنّ المهد ونديّهم يغتر بالروض الندي

وهي أفضل القصائد في هذه الليلة وأشهرها.

٢ ـ قصيدة أبي الحسن التهامي التي أضيفت إليها أبيات فاشتهرت في علي الأكبر عليه السلام. وهي من أكثر قصائد الرثاء لوعة وحُرقة. وأولها[2]:

حكمُ المنيةِ في البرّية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

٣ ـ قصيدة للشيخ قاسم الحليّ رحمه الله أولها[3]:

وحق الهوى العذري لستُ أرى عذراً لصبٍّر يواتي بعدَ بُعدكمُ الصبرا

---

(١) أدب الطف، جواد شبر، ج٩، ص٢٢٧ ـ الرياض، ص١٢٨.

(٢) الدر، ص١٧٧.

(٣) راجع من لا يحضره الخطيب، ٣١٧/١.

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة:

وتواجهنا هذه الليلة ما واجهتنا من صعوبة من حيث موارد السيرة وما ذكرت عن شهيد هذه الليلة، حيث خلت المقاتل من ذكر مواقف الأكبر عليه السلام وسيرته، الا ما حدثنا به التاريخ عن موقفه ومقالته لأبيه الحسين عليه السلام قبيل وصوله إلى كربلاء.

ويمكن للخطيب أن يطرح ـ في مجالس السيرة ـ أبحاثاً عن كربلاء وأجوائها وظروفها وربطها بالشهداء ومنهم علي الأكبر. وأمور أخرى.

ثالثاً ـ البحث:

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة التاسعة من محرم:

تعامل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه مع الموت:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

الموت هو المصير الذي ينتظرنا جميعاً، مهما كانت أيامنا واتسعت لياليا ونوّه بأسمائنا، ورفع من ألقابنا... ثم أنه المحطة التي لابد أن تتوقف فيها كل حركتنا وتنتهي فيها كل نشاطاتنا..

كل ابن آدم وإن طالت سلامته ... يوماً على آلةٍ حدباء محمولُ

ويقول آخر:

سبيل الموت غاية كل حيٍّ ... فداعيهِ لأهل الأرض داعِ

(١) سورة آل عمران، الآية/١٨٥.

إن ما جرى على السابقين من آباءنا وأجدادنا سيجري علينا شئنا أم أبينا.

وما المرء إلا هالكٍ وابنُ هالكٍ وذو نسبٍ في الهالكين عريقُ

والموت كتاب مفروض على الإنسان لا يتقدم أو يتأخر مع صدور الأمر الالهي:

﴿ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وإذا نظر الإنسان إلى حياته ومراحلها، وكيف انتقل من الطفولة إلى الصبا ومنه إلى الشباب ثم الكهولة وبعدها الشيخوخة، يعرف أنه ماضٍ إلى زوال، وقوته الى ضعف، وعمرهُ إلى نهاية.

يقول أبو العتاهية:

رأيت المنايا قسمّت بين أنفسٍ ونفسي سيأتي بينهن نصيبها

فيا هادم اللذّات ما منك مهرب تحاول نفسي منك ما سيصيبها

وهكذا هي الدنيا، وقد يدخل إليها وقد يخرج منها:

رأيت بني الدنيا كوفدين كلما ترحّل وفدٌ حلّ في إثرهِ وفدُ

وكل يحثُّ السير منها ونحوها فيمضي بذا نفسٌ ويأتي بذا مهدُ

وجاءت روايات عن النبي العظم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام تدعو الى تذكّر الموت باعتباره أسلوباً من أساليب تربية الإنسان عبر تذكيره بوفوده على الله تعالى وكيف عليه أن يجهد لأن يكون حائزاً على رضاه ومغفرته وكرامته.

يقول رسول الله ﷺ:

«اذكروا هادم اللذات ومفرّق الجماعات».

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«رحم الله امرءاً أعدّ لنفسه واستعدّ لرمسه وعلم من أين وفي أين وإلى أين».

وحتى ورد:

«إذا ضاقت الصدور فعليكم بزيارة القبور».

حيث تتلاشى أمام الإنسان مشكلاته الدنيوية وتنجلي عنه همومه الحياتية وهو يعيش الآخرة ويشتغل بما هو أهم وأولى.

ولو رجعنا إلى تاريخنا لوجدنا أن الأمويين استغلوا الموت كمحاولة لتخويف الناس وارهابهم، حتى يتركوا مسؤولياتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولهذا فلو إنا استقرأنا مواقف الذين نصحوا الحسين عليه السلام بعدم الخروج من العراق سواء في مكة أو في الطريق إلى كربلاء، لوجدنا أن نصائحهم متمحورة حول تحذيره عليه السلام من الموت.

فهم قالوا: «**إن الناس قلوبهم معك وسيوفهم عليك وأين تذهب الى بلدٍ قتل فيه أبوك وغدر فيه بأخيك**».

ويحذره الحرّ من أن القتل مصيره، فيقول له الحسين عليه السلام:

«**وهل يعدو بكم الأمر أن تقتلونني ثم واجهه بكلمات قوية ومن بينها قول لأخي الأوس حيث خرج لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فحذّره ابن عم له من الموت:**

سأمضي وما في الموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وجانب ظالماً
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وتُرغُما

فلما سمع الحرّ هذه الأبيات اعتزل الحسين عليه السلام وأخذ يمشي مع رعيته في جانب والحسين عليه السلام مع الله في جانب آخر!! أي أنه عرف أن الحسين عليه السلام ماضٍ نحو الشهادة.

و قد حرص الامام الحسين عليه السلام على تهيئة أصحابه للشهادة: فعن الإمام زين العابدين عليه السلام:

«**ما ارتحلنا من موضع وما نزلنا في آخر إلاّ وذكر أبي ما جرى على يحيى بن زكريا وكيف أن رأسه أهدي إلى بغي من بغايا بين إسرائيل**».

وحينما حوصر الحسين عليه السلام خطب أصحابه وأهل بيته قائلاً:

«ألا وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها.. ألا ترون إلى الحق لا يعمل له وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادةً والحياة مع الظالمين إلا برما».

وكان ذلك الركب الفريد في التاريخ يمضي نحو الموت الذي أراده الأمويون تخويفاً للأمة، وأراد الحسين عليه السلام ومن كان معه إيقاظاً لها وتنبيهاً على مسؤولياتها تجاه دينها ونبيها وذريته.

التخلص:

وفي الطريق إلى كربلاء خفق الحسين عليه السلام برأسه، ثم أنتبه وهو يحمد ويسترجع أي يقول:

«الحمد لله إنّا لله وإنا إليه راجعون».

وكان إلى جنبه ولده علي الأكبر عليه السلام، فالتفت إليه:

«يا أبتاه لا أراك الله مكروها؟».

فقال عليه السلام:

«اني رأيت الساعة هاتفاً يقول: إن القوم يسيرون والمنايا تسير خلفهم!! فعلمت أنها نفوسنا نُعيت لنا».

فيا ترى ما سيكون موقف هذا الشاب من آل محمد عليهم السلام، وهو في مقتبل عمره والحياة بأوسع رحابها أمامه؟

وإذا بالأكبر عليه السلام يلتفت إلى الحسين عليه السلام ليقوله له:

«أبتاه: أولسنا على الحق؟».

نعم هذا هو الأساس وهذا هو المهم أليس موقفنا موقف الحق؟ أليست

مسيرتنا مسيرة الحق، ألسيت تضحياتنا لأجل الحق، أليست هجرتنا لأجل الحق؟

فأجابه الحسين عليه السلام:

«أي والذي اليه مصير لعباد».

وإذا بالأكبر عليه السلام يقول:

«إذن لا نبالي أن نموت محقيّن».

يا لها من كلمة؟؟؟ ونفس رسالي وتربية حسينية تجسدّت في هذه الكلمات وهذا الموقف.

والله أعلم كما كان سرور الحسين عليه السلام بولده وهو يترجم مخزونه الإيماني الذي توارثه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

فرد عليه الحسين:

«جزاك الله خير ما يجزي ولداً عن والده».

هذا هو المفهوم الذي طرحه الأكبر في الطريق إلى كربلاء.

وقد جسدّه بأروع صورة وأجلى اقدام، يوم فتح علي الأكبر باب الشهادة لبني هاشم، حيث كان أول من تقدم منهم للقتال، فعندما قتل أصحاب الحسين عليه السلام وأنصاره، ولم يبق منهم إلاّ أهله أقبل يودّع بعضهم بعضاً وهم يبكون.

وأول من تقدم كان شبيه رسول الله خلقاً وخلقاً ومنطقاً علي الأكبر عليه السلام فلما رآه الحسين عليه السلام أرخى عينيه بالدموع ورفع شيبته المقدسة نحو السماء وهو يدعو...

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة التاسعة من محرم:

قلة أنصار الإمام الحسين عليه السلام وكثرة المتخاذلين عنه:

ومن خطبة للإمام الحسين عليه السلام:

«**ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقاً، فاني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما**».

لعل من أجلى ظواهر ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ومن أكثرها حرقة من جهة، وإثارة لسيل من الأسئلة من جهة ثانية، ودلالة على مستوى الهبوط والانهزامية التي منيت بها الأمة أيام الإمام الحسين عليه السلام من جهة ثالثة... هي ظاهرة قلة أنصاره عليه السلام وكثرة المتخاذلين عنه!!

فلو حاولنا الوقوف عند هذه الظاهرة البارزة في أحداث كربلاء، ورمنا التأمل فيها، والنظر في الأسباب التي أدّت إليها، لبرزت أمامنا نقاط، المفروض أن تكون على خلاف النتيجة التي وصلت اليها الأمة آنذاك. فهي نقاط قوة وفي صالح النهضة الحسينية، وتكون مدعاة لكثرة الأنصار لا لقتلتهم، ولقلة المتخاذلين لا لكثرتهم. أي على خلاف الواقع المؤلم حينذاك.

وأبرز نقاط القوة هذه، في نهضة الحسين عليه السلام هي:

١ ـ شخصية الإمام الحسين عليه السلام المتميزة جداً في المجتمع الإسلامي، بما تختزنه من أبعاد قرآنية ونبوية، وعمق وتجذر في الموقعين الديني والاجتماعي للمسلمين.

لقد كان الحسين عليه السلام بموقع لا يوازيه أحد في شرق الأرض وغربها، ولا تدنو إليه أية شخصية مهما بدت كبيرة ومميّزة. هو سيد قريش وإمام المسلمين وسنام العرب، وكان عليه السلام ينبه الى ذلك في مواقع عدة، لعل من أبرزها خطبته عليه السلام يوم عاشوراء، بعد أن ذكّرهم ببعض ما قاله

جده رسول الله ﷺ فيه وفي أخيه الإمام الحسين عليه السلام، ثم أردف عليه السلام قائلاً:

«فإن كنتم في شكٍ من ذلك، أفتشكّون أني ابن بنت نبيكَم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري، فيكم ولا في غيركم...».

إن الجانب الشرعي في الحركة الحسينية كان في أروع صوره وأنقى أبعاده وأوضح شخصياته.

٢ ـ منطلقات النهضة الحسينية، وأهدافها المعلنة، والشعارات التي رفعتها ونادت بها: إنها تنطلق من عقيدة الأمة ودينها، وتهدف إلى عزّة المسلمين وقوتهم، وإنقاذهم من ظلم الأمويين وإجحافهم واستئثارهم بحقوق الأمة وخيراتها. وإن شعاراتها شعارات الهدى والقرآن ونهج النبي ﷺ وسيرته وسنته.

لقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام كل ذلك، كلما سنحت له فرصة، وذكر بعضها في أول بيان تركه في المدينة:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً ولا مفسداً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي ﷺ وأبي علي بن أبي طالب».

٣ ـ لم يكتفِ الإمام الحسين عليه السلام، بدعوة الناس إلى اتخاذ الموقف الذي يمليه عليهم دينهم وانتماؤهم لنبيهم ﷺ، وجلس في بيته، تاركاً الناس في المواجهة، كلاّ، بل ألقى عليه السلام بنفسه وبرحلهِ بأهله ونسائه وعياله في ساحة التحديّ لظلم الأمويين وطغيانهم، وهذا من شأنه أن يثير العواطف الإسلامية النبيلة، ويحرّك عوامل الشمم والإباء والغيرة على الدين في نفوس المسلمين.

ويوقد نيران الغضب الرسالي الهادف في ضمائر الأمة ومواقفها:

«**ألا وإني زاحف بهذه الأسرة غداً مع قلة العدد وخذلان الناصر**».

٤ ـ الفترة الزمنية الطويلة نسبياً، والتي كانت كافية لمراقبة المواقف، ومناقشة الأفكار، وترجيح الاحتمالات، لقد خرج الإمام من المدينة نهاية رجب ٦٠هـ. وبقي في مكة إلى يوم التروية ٨ ذي الحجة، والتقى بالمعتمرين والحجّاج، فأين أهل مدينة رسول الله ﷺ من تأييد حركة الحسين عليه السلام، وأين أهل مكة، أهل الوحي من ذلك؟ أين أفواج المعتمرين والحجاج؟ أين أهل العيون والمياه التي مرّ بها الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء وخطب فيهم ورأوه، وعرفوا أهدافه؟ وأين وأين... بل وأين أولئك الجند الذي خرجوا لحربه؟ أين وعيهم؟ وأين ضمائرهم؟ وأين دينهم؟ وهم يستمعون إلى الحسين عليه السلام وأصحابه، يوردون الأدلة، ويقيمون الحجج، ويوضحون الحقائق؟.

هذه أبرز النقاط الإيجابية، التي ينبغي أن تجعل الموقف يميل نحو الحسين عليه السلام لا ضده. وهناك نقاط أخرى، تصبّ في هذا الاتجاه.

إذن المسألة بحاجة إلى تأمل ودراسة، فلماذا خُذل الإمام الحسين عليه السلام ولم يُنصر، وما هي الادعاءات التي رآها المتخاذلون سبباً دون تأييده والنهوض معه؟

لقد كان وراء موقف الخذلان هذا، أسباب عدة ومنطلقات متباينة، تبرز خلال دراستنا لثلاثة نماذج من الذين خذلوه عليه السلام ولم ينصروه، وكل له وجهة نظره ومنطلقاته..

الأول ـ عبد الله بن عمر: الذي لم يعقه عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام جهله به، ولا شكه في شرعية نهضته، وسلامة منطلقاتها. كما لم يكن ظلم الأمويين واستيلاؤهم على مقدرات المسلمين بدون وجه حق خافياً عليه، ولا

بعيداً عن فهمه. ولم تمح من ذاكرته، تصرفات معاوية وأساليبه الجاهلية، في إجبار المسلمين وساداتهم على قبول خلافة ولده الفاسق يزيد.

لكن الرجل كان يعيش حالة خوف ـ على ما يبدو ـ وهلع شديدين، فهو لم يفكر يوماً بالمواجهة، ولم يخطر على باله أن يقول لظالم كلمة (لا)، فقد كان الجبن والخوف يسيطران عليه بشكل واضح.

نعم قد يكون لذلك سبب أعمق! ولكن سلوكه بقي هكذا مع كل حاكم ظالم ومعتدٍ أثيم، كان يقول: أنه يدخل داره ويغلق عليه بابه، فإذا بايع الناس يزيد بايعه!! كان حريصاً على متابعة الأمر الواقع ولو كان واقعاً منحرفاً، لا يرى وجهاً للخروج على ظالم متسلّط على رقاب المسلمين. فلم يكتف بعدم نصرة الحسين عليه السلام، بل راح يحاول ثني الحسين عليه السلام عن فكرته، وإقناعه بعدم الخروج على بني أمية، وكان الحسين عليه السلام يواجهه بلغة أخرى:

«**اتق الله ولا تدعنَ نصرتي... إن من هوان الدنيا على الله أن يُهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل**».

ولما رأى ابن عمر إصرار الحسين عليه السلام على المواجهة، ماذا طلب منه؟ لقد طلب منه أن يكشف الحسين عليه السلام له عن بطنه؛ ليقبله في الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل الحسين عليه السلام فيه.

يريد التبرك بموضع شفة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يفكر بنصرة الحسين عليه السلام الذي نهض للدفاع عن سنةِ رسول الله صلى الله عليه وآله ودينه وأمته.

بل كان ابن عمر غير راضٍ عن خروج الحسين عليه السلام، فعلى الحسين عليه السلام الصبر وتحمل الأذى.

وعبّر عن ذلك بقوله: «**غلبنا الحسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد كان رأى في أبيه وأخيه أمراً، ورأى من خذلان الناس لهم، ما كان ينبغي أن يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير**».

لقد تحوّل سلوك ابن عمر هذا إلى نهج انتهجه الكثير من رواة الحديث وغيرهم، في تأكيدهم على تأييد الحاكم وحرمة الخروج عليه، وبرز هذا النهج واضحاً في أحاديث الشيخين مسلم والبخاري.

وبقي ابن عمر على موقفه هذا، حتى بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. فلما تحرك أهل المدينة ضد الأمويين في السنة الثانية لحكم يزيد، وكان عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة يقود التحرك، كان عبد الله بن عمر يتحرك بنشاط، إلى هذا الطرف وذاك لمنع التحرك، ولتثبيط الثورة وتهدئة الأوضاع لمصلحة الأمويين!!

وحينما صلب الأمويون عبد الله بن الزبير، دخل عبد الله بن عمر على الحجّاج ليبايع عبد الملك بن مروان على يديه، فقال له الحجاج: إنّ الذي جاء بك هذا المصلوب، وليس ما تقوله من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

الثاني ـ عبد الله بن الزبير: وهو رجل لم يكن معروفاً بالخوف أو الهلع، على عكس ابن عمر، فهو رجل واجه الأمويين، ورفض بيعة يزيد، وترك المدينة إلى مكة سالكاً طريقاً ملتوياً حتى وصل إليها. وبقي مواجهاً للأمويين، حتى كاد يطبق على حكم العالم الإسلامي آنذاك، ثم دارت عليه الدائرة وقتل في قلة حتى صلب في الكعبة المشرّفة. وهو المصير الذي كان يحذره الإمام الحسين عليه السلام منه ومن أن يقتل وتنتهك بقتله حرمة الكعبة:

«إن أبي حدثني أن كبشاً يقتل في الكعبة تستحل به حرمتها».

إذن لم يكن الخوف هو الذي أعاق ابن الزبير، عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، بل أمر آخر، إنه الطموح السياسي، والمجد الشخصي. إنّ لابن الزبير طرحاً خاصاً به، ومشروعاً ليس لسواه. إنه يريد الانفراد بالساحة لا أن يشارك الآخرين، فكيف يكون تابعاً لغيره؟

إنه يريد أن يكون الأبرز، هو القائد وصاحب المشروع والرأس، لا يهمه بقاء الأمويين أو زوالهم بقدر ما يهمه موقعه وطموحه ومشروعه، فكان يحث الحسين على الخروج من مكة «فما يحبسك، فوالله لو كان لي مثل شيعتك بالعراق ما تلوّمت بشيء».

ولهذا كان أثقل شيء عليه وجود الإمام الحسين عليه السلام بمكة، لأنه علم أن الناس لا يمكن لهم أن يوازنوا بينه وبين ابن بنت رسول الله ﷺ. وهذا أمر كان يعرفه الحسين عليه السلام، ويعرفه ابن الزبير ويعرفه كل أطراف النزاع، بل عامة الناس كذلك!!

حينما قرر الحسين عليه السلام الخروج من مكة، كان ابن الزبير يقترح عليه البقاء دفعاً لهذه الشبهة!! ولم يدع الموقف دون أن يكشف عن ذلك الطموح فقال للحسين عليه السلام: «**فأقم إن شئت وتوليني أنا هذا الأمر، ولا تُعصى**».

فقال عليه السلام:

«**وما أريد هذا**».

إن عداء ابن الزبير للأمويين، لم يكن على أساس السعي لإنقاذ الأمة من ظلمهم وجاهليتهم، وبالتالي نصرة الدين وأهله، ولو كان هذا هدفه لما تأخر لحظة عن الانضمام لحركة الإمام الحسين عليه السلام ومؤازرته وتأييده، لأن الإمام هو خير من يمكن العمل معه للوصول إلى أهداف الإسلام الكبرى وإنقاذ الأمة.

ولكن أنى لابن الزبير أن يخطو هذه الخطوة، رغباته الشخصية نصب عينيه، وطموحه السياسي القديم ماثل أمامه... لقد وجد في خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة تقريباً لتلك الطموحات، أنه يريد أن يكون صاحب مشروع خاص لا مشروع تابع لآخر ولو كان الآخر هذا هو ابن رسول الله ﷺ وسيّد شباب أهل الجنة!!

إن خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة لا يعني أن تفرغ لابن الزبير ساحة

الحجاز، مكة والمدينة حاضرتا الإسلام المتميزتان فحسب، بل يعني كذلك أن الحسين عليه السلام في طريقه لمواجهة حقيقية مع بني أميّة، وحسب موازين القوى من جهة، وشراسة الأمويين وحقدهم من جهة أخرى، وإصرار الإمام الحسين عليه السلام ومبدئيته من جهة ثالثة، فإن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام يكاد يكون أمراً مفروغاً منه.

وهذا بحدّ ذاته يوفر لابن الزبير أجواءً مثالية لمواجهة الأمويين مستغلاً قتلهم للحسين عليه السلام، وما سيصابون به من ضعف وانكفاء المسلمين عنهم. وكل هذا سيسلّط عليه مزيداً من الأضواء.

ولهذا صرح الإمام الحسين عليه السلام وهو ينظر إلى ابن الزبير وطموحه:

«**إن هذا ليس شيءٌ يؤتاه من الدنيا، أحبَ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق،وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء، وأن الناس من يعدلوه بي، فودّ أني خرجت منها لتخلو له**».

ولهذا بادر ابن عباس إلى ابن الزبير، بعدما عزم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج من مكة، وقال له: «قرّت عينك يا ابن الزبير، هذا الحسين خارج إلى العراق ويخلّيك والحجاز! ثم أنشد:

يا لك من قبرةٍ بمعمرِ خلا لكِ الجوّ فصيحي واصفري
ونقّري ما شئت أن تنقّري

إذن عبد الله بن الزبير، النموذج الثاني لمن خذل الحسين ولم ينصره، بسبب طموحاته الشخصية ومشاريعه الخاصة.

الثالث ـ عبيد الله بن الحرّ الجحفي: وجيهٌ من وجهاء الكوفة، ورجل مرموق فيها، يعرف قدر الحسين ومنزلته وأحقية تحركه، لم يكن بالخائف الرعديد، فهو ممن سيحمل السيف بعدئذٍ ويبقى مطارداً من قبل الأمويين، وينتهي أمره بالقتل.

كما لم يعرف عن الجحفيّ هذا طموح شخصي ولا مشروع ذاتي به، يسعى لتحقيقه.

ولكن الرجل أصيب من مقتل ثالث، إنه ابن نعمة، موفور الحال، واسع العيش رغيده، متعلق بالدنيا ونعمائها، لا يحب الموت، ويكره المواجهة،ويحب أن يبقى بعيداً عن الأحداث لا يشارك ولا يعطي ولا يضحيّ، لكي يحافظ على رفاهيته ونعمته ولذائذه.

ماذا يريد الإسلام منه؟ إنه يصلي ويصوم ويزكّي ويؤدي فريضة الحج، ويعين الآخرين من ذوي الحاجة، ألا يكفي ذلك كله، لماذا يراد منه الحرب والمواجهة والدم، وهل الأمر مقتصر على مشاركته أو عدمها؟ وما تراه يمكن أن يفعل في مواجهة واقع فاسد مرير؟ ليبقى هانئاً في نعمته، مرفهاً في لذّته، وهو يعبد الله، العبادة الباردة الهادئة، بعيداً عن الصخب والمواجهة وقعقعة السلاح!!

وكان عبيد الله بن الحر الجحفي هذا مدركاً لسير الأحداث، وهو في قلبها بالكوفة، وراح يستقرئ الوضع ويدرس الاحتمالات، ويقوّم الأوضاع. هذا مسلم بن عقيل (رض) قد قتل في الكوفة ومعه هاني بن عروة رئيس قبيلة مذحج، لم تنفع مسلم شيعته ولا دفعت عن ابن عروة عشيرته، وهذه الأخبار تنقل، بل ذكر ذلك عبد الله بن بقطر وقيس بن مسّهر الصيداوي رسولا الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، وكون الحسين عليه السلام في طريقه إلى الكوفة، مع أنصار قليلين، وعيال وأطفال ليسوا بالقليلين!! كل هذا في كفّة، ومجيء العتل الزنيم عبيد الله بن زياد الناشئ في حمامات الدم وربيب الجلادين والقتلة، مجيء هذا الطاغية إلى الكوفة، وتجنيده لرجالها، وسجنه لخلّص شيعتها وتخويفه لأسرها وعوائلها في كفة أخرى.

المسألة لا تحتاج إلى تفكير كثير وتنظير واسع لمعرفة النتيجة الواضحة، من أن الحسين عليه السلام سيصل الكوفة، والمواجهة واقعة، والاصطدام وشيك، فماذا

يفعل الجحفي وهو في الكوفة: أمامه خياران لا ثالث لهما، إما أن ينصر الحسين عليه السلام ويقوم بواجبه الشرعي ويؤدي وظيفته الرسالية، وهذا يعني أنه سوف يُقتل؛ وهو المتعلّق بالحياة ونعيمها، وإما أن لا ينصر الحسين عليه السلام أو يكون مع أعدائه، وهذا يعني الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة!.

إذن الأفضل هو الهرب، وترك الساحة والنأي عن الأحداث، ومتابعة الأخبار من بعيد، حتى يتبين الموقف، وتنجلي الغبرة... وهكذا قرر ابن الحر الجحفي ترك الكوفة واللجوء إلى البادية.

وفي الهيجاء ما جربت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزالِ

ونصب عبيد الله بن الحرّ الجحفي فُسطاطاً كبيراً، وركز عند بابه رمحاً، يشير إلى أن صاحب الفُسطاط كريم وشجاع! ونأى ابن الحر عن الطريق العام إلى أعماق الصحراء غرب الكوفة... ولم يعلم بالتغيّرات التي حدثت بعده، حينما تحرك الحر بن يزيد الرياحي ومعه ألف رجل بأمر من عبيد الله بن زياد، ليمنعوا الحسين عليه السلام وركبه، ومعهم الحرّ وجيشه، سلكوا طريقاً بعيداً عن طريق الكوفة وتياسروا الطريق، أي باتجاه الغرب!! حتى صار طريقهم على المكان الذي اختاره عبيد الله بن الحر الجحفي ونزل فيه، وظن أنه سيكون فيه بمنأىً وبعدٍ عن الحسين عليه السلام وحركته وركبه.

فلمّا رأى الحسين عليه السلام ذلك الفُسطاط، سأل عن صاحبه، فقيل: هو عبيد الله بن الحرّ الجحفي، فتعجّب الحسين عليه السلام من وجوده في هذا المكان النائي، واختار عليه السلام من أصحابه من يكون رسولاً إليه، وهو ابن عمه الحجّاج بن مسروق الجحفي؛ الذي ما أن دخل خيمة ابن الحر، حتى بادره الأخير عما جاء به إلى هنا وما وراءه.

فقال له الحجاجّ: جئتك بخير الدنيا والآخرة!! إنهما الوعي وعمق النظر اللذان انطلق منهما الحجاج بن مسروق الجحفي، الذي كان يعرف بمؤذّن

الحسين عليه السلام ... فانتبه له عبيد الله وقال: وما ذاك؟ قال: هذا الحسين يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت، وإن قُتلت استشهدت!

وهذان الخياران هما اللذان هرب منهما عبيد الله من الكوفة، فهو لا يريد القتال ولا يريد الموت... نعم وقع هذا الخبر عليه كالصاعقة، حيث قد رتّب أمره وخطّط على أن يكون مراقباً للأحداث من بعيد، وفي سلام وأمن... فإن كانت الدائرة للأمويين لم يكن مشاركاً لهم في قتل الحسين عليه السلام، وإن كانت الدائرة للحسين عليه السلام جاءه مؤيداً وناصراً!!

فقال عبيد الله بن الحر: «**إنّا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة، إلاّ كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن يراني الحسين ولا أراه**».

هكذا أفصح الرجل عن نظرته وموقفه!! أين منطق ابن الحر هذا من موقف ابن عمّه الحجاج بن مسروق؟ ورجع الحجّاج إلى الحسين عليه السلام وأخبره بمقالة ابن عمه، فما كان من الحسين عليه السلام إلاّ أن مشى إليه بنفسه في جماعة من أهل بيته وأصحابه، فالحسين عليه السلام مغيّر وهادف، وصاحب رسالة، وهو لا يبالي أن يكون السبّاق والمبادر، دخل عليه الفُسطاط، فنهض له ابن الحرّ مرحباً به ومستقبلاً، ووسع له عن صدر المجلس، وقد نقل ابن الحرّ كيف كان ذلك اللقاء: «**ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين عليه السلام، ولا أملأ للعين منه، وما رققت على أحد من قبل، رقتّي عليه حينما رأيته يمشي والصبيان حوله**».

فهل غيّر ابن الحر موقفه مع هذه الهيبة للحسين عليه السلام، وهذه الرقة والتعاطف مع أطفاله؟ ولكي يؤخر الموضوع الذي جاء الحسين لطرحه معه، راح يسأل الحسين عليه السلام عن سواد لحيته!! وهل هي من سواد أو خضاب!!

وهل ذلك الموقف مناسب لطرح هكذا استفسار، الانتقال موضوع إلى آخر بعيد كل البعد عنه؟ فأجابه الحسين عليه السلام مختصراً:

«**يا ابن الحرَ، عجّل عليَ الشيب**».

ثم إن الحسين عليه السلام حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا ابن الحر، إن أهل مصركم قد كتبوا إليَ أنهم مجتمعون على نصرتي وسألوني القدوم، وليس الأمر على ما ذكروا، وإن عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك في توبة تمحو بها ذنوبك؟».

فقال له عبد الله بن الحر الجعفي: **«وما هي يابن رسول الله؟».**

فقال عليه السلام:

«تنصر ابن بنت نبيّك، وتُقتل معه».

أين منطق الحسين عليه السلام من منطق هذا الرجل؟ الذي أجاب الحسين عليه السلام بقوله: **«والله إني لأعلم أن من شايعك يكون السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولم أخلَف لك في الكوفة ناصراً؟ فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطّة، فإن نفسي لا تسمح بالموت».**

نعم، هكذا أفصح عن مكنون نفسه، وأشار إلى علّة موقفه، أنه يخاف الموت، ولا يجد في نفسه استعداداً لموقف سوف تخلّده الأجيال جيلاً بعد آخر!!. ولكي يقوم بمحاولة ترقيعية لموقفه المهزوز هذا، عرض على الحسين عليه السلام عرضاً فقال: **«ولكن فرسي هذا تسمى الملحِقة، والله ما طلبت عليها شيئاً إلاّ لحقتهُ، وما طلبني أحد وأنا عليها إلاّ وسبقته، فخذها».**

فقال له الحسين عليه السلام:

«أما إذا رغبت بنفسك عنا، فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾»[1].

---

(١) سورة الكهف، الآية/٥١.

ولكن أين موقف هؤلاء من موقف أنصار الحسن عليه السلام وأهل بيته، الذين تركوا كل شيء وهبوا لنصرة الحسين، أين هؤلاء من أقدام أبناء رسول الله ﷺ واندفاعهم للذود عن دين الله، أين جدهم رسول الله، وأول من تقدم منهم كان شبيه رسول الله خلقاً وخلقاً ومنطقاً علي الأكبر، ذلك أن تتصور حال الحين لما برز ولده وهو يقول: أنا علي بن الحسين بن علي نحن دين الله أولى بالنبي.

الموضوع الثالث الذي يمكن طرحه في الليلة التاسعة من محرم:

هدف ثورة الإمام الحسين عليه السلام:

من خطبة لسيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء:

«ويحكم، أهؤلاء تنصرون وعنا تخاذلون..».

إنه مقطع من الخطبة الثانية للحسين عليه السلام يوم عاشوراء الخطبة الأولى ابتدأها عليه السلام بعد رؤيته كثرة الجيش الأموي والثانية بعد أن أذن لزهير وبرير بأن يخطبا القوم بخطب أخرى.

وهذا المقطع يكن جانباً، إنه شجب وأدان (هؤلاء تنصرون)، إذ لا يستحقون الوقوف معهم وتأييدهم ونصرهم، فهؤلاء القوم قد نصروا ظالمهم وخذلوا من جاء لإنقاذهم واستجاب لاستغاثتهم..

المفروض بهم أن يقفوا بوجه سلطتهم الجائرة حتى إذا لم يتحرك الحسين عليه السلام، والمفروض لهم نصرة آل محمد صلى الله عليه وآله حتى إذا لم يدعوهم إلى ذلك.

ولهذا كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام حركةً استهدف بها هذين الجانبين.. كشف زيف الحاكم الأموي وكسر حالة الخوف من المواجهة ومن جهة أخرى علاج النفوس المريضة التي فقدت إرادتها..

فمن جوانب عظمة ثورة الحسين عليه السلام أنها لم تكن ثورة على حاكم وسلطة جائرة فحسب بل إنها كانت تستهدف أيضاً التأثير على الأمة المتخاذلة فهي ثورة على السلطة والأمة معاً.

فحركته وخروجه عليه السلام على الحكم الجائر كان تحركاً استشهادياً محضاً، تحركاً يستهدف القضاء على الحكم الأموي ولكن ليس في ذلك الوقت لإنها حركة معروفة النتيجة مسبقاً حركة في وقت لا يشجع فيها على أي تحرك وصرخة في أمة تحولت مساكنها إلى مقابر وقلوبها ودينها إلى الدرهم والدينار..

لا نقول أن الحسين عليه السلام لا يرغب بالاطاحة بالعرش الأموي الجائر ولا يسعى نحو هذا الأمر... فهذا إجحاف بالحسين عليه السلام فهو أمر يرغب كل مسلم يعي جوهر دينه فكيف بالإمام عليه السلام ولكننا نقول أن الظرف الموضوعي لحركة الحسين عليه السلام لم يكن يسمع بهذا الأمر... فالنظام مستحكم والأجهزة القمعية في أوج قوتها والأمة مسلوبة الإرادة..

إنها حركة استشهادية مائة في المئة.

نعم الحسين عليه السلام يريد إسقاط السلطة ولكن بعد حين.. لابد من حركة تهز السلطة وشرعيتها وتواضع نهجها وتشجع الرافضين على قول كلمة الرفض.. ولولا ثورة الحسين لكان النموذج الأموي هو النموذج الإسلامي إن بقي إسلام.

إن من يسعى إلى استلام سلطة يتصرف بكيفية خاصة وبأسلوب معين.. فهل كانت تحركات وتصرفات الحسين عليه السلام توحي بذلك!؟ نحاول أن نجيب على ذلك بعدة مصاديق:

١ـ تصريحات الحسين عليه السلام في المدينة بأن سيقتل ابتداءً من الرؤيا التي رآها عند قبر جده صلى الله عليه وآله وقصها على أهل بيته، أو عبر تصديقه لما قالته أم سلمة من أن النبي صلى الله عليه وآله أخبرها بقتل الحسين عليه السلام وأنه عندها قارورة فيها شيء من تراب كربلاء

٢ ـ وكذلك تصريحاته في قتله لابن عباس وابن الحنيفة وابن الزبير والكلام حول أنهم لن يتركوه حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفه.

٣ ـ لما خطب في قومه في مكة قال: خط الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بني النواويس وكربلاء، وكذلك كتابه إلى بني هاشم.

فكل هذه المواقف وغيرها كانت تشير إلى أن الإمام الحسين عليه السلام كان عالماً

بالمصير الذي ينتظره ولكن هذه النهاية هي التي ستكون شعلة ووقود حركة التغيير الشامل في الأمة وإعادة الحياة لها.

إذاً قام الإمام الحسين عليه السلام في نفس الوقت الذي كان يسعى فيه لإيجاد ظروف وأسباب النصر عبر تهيئة القاعدة الشعبية المستعدة لمعاضدته في ثورته على الحكم الأموي الغاشم آنذاك، بتهيئة أنصاره وأهل بيته للمصير الآخر الذي ينتظرهم والذي ستكون الحركة التغييرية الشاملة في الأمة نتيجة حتمية له ألا وهو خيار الاستشهاد.

«خيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأشلائي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء».

وهذا ما حدّث به الحسين عليه السلام ولده علياً الأكبر عليه السلام وهم في الطريق إلى كربلاء حيث حانت من الحسين عليه السلام إغفاءة وكأنه بهاتف يقول:

«القوم يسيرون والمنايا تسير خلفهم».

فبرز هنا وعي علي الأكبر عليه السلام بهدف هذه الرحلة ومراميها فقال لأبيه الحسين عليه السلام:

«ألسنا على الحق؟».

فقال الحسين عليه السلام:

«بلى والذي إليه مصير العباد».

عندها قال علي الأكبر عليه السلام:

«إذاً لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا».

وهذا ما جسّده علي الأكبر عليه السلام في يوم العاشر بين يدي والده الحسين عليه السلام.

طفل الحسين عليه السلام عبد الله الرضيع

وهي ليلة مفعمة بالمواقف الرسالية لأنصار الحسين عليه السلام والأحزان المؤلفة لمخدّرات النبوة والإمامة ووداع الحسين لهن.

كما هي ليلة مؤهلة جداً لطرح أبحاث حول أبعاد النهضة الحسينية وجوانبها المتعددة البطولية والجهادية والتربوية وغيرها.

مثل عبادة الحسين عليه السلام وأصحابه في ليلة عاشوراء والعلاقة مع القرآن وإصرار الحسين عليه السلام ومبدأيته، كما يمكن الإستفادة من آيات قرآنية كريمة عدة في معاني الثبات والتضحية في هذه الليلة. وتنتهي مصائب هذه الليلة إما بوداع الحسين عليه السلام لأخواته وبناته، أو حال زينب عليها السلام في هذه الليلة. كما أنه من المفضّل هنا إنهاء المجلس بمصيبة طفل الحسين عليه السلام عبد الله الرضيع.

أولاً ـ قصائد الليلة العاشرة:

١ ـ هناك مجموعة رائعة من القصائد الرثائية والبطولية هذه الليلة ومنها:

قصيدة السيد حيدر الحلي رحمه الله ومطلعها[١]:

تركت حشاك وسلوانها ... فخلّي حشاي وأحزانه

٢ ـ قصيدة الشريف الرضى رحمه الله وأولها[٢]:

راحل أنت والليالي تزولُ ... ومضرٌّ بك البقاءُ الطويلُ

---

(١) راجع: الرياض، ص٨٦، الدّر، ص٣١٢.

(٢) راجع: الرياض، ص٢٣٠، الدّر، ص٢٠٧.

٣ ـ كما يمكن الإستفادة من القصائد الحديثة خاصة في المجالس التي يؤمها المثقفون والمتعلمون، مثل قصيدة الشيخ الوائلي رحمه الله ومطلعها[١]:

الجراحات والدمُ المطلولُ انبعث فالزمان منها خميلُ

أو قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري ومطلعها[٢]:

فداءً لمثواك من مضجع تنّور بالأبلج الأروع

ثانياً ـ العنوان المناسب لهذه الليلة

مقاطع من خطبة الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء مع أصحابه، أو ما يناسب ذلك من أقواله وخطبه عليه السلام . أو آية قرآنية تشير إلى معنى من المعاني التي ذكرناها أول هذه الليلة.

ثالثاً ـ البحث:

الموضوع الأول الذي يمكن طرحه في الليلة العاشرة من محرم:

النهضة الحسينية وجوانبها المتعددة البطولية والجهادية والتربوية:

من كتاب للإمام الحسين عليه السلام :

«من لحق بنا استُشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح».

لا شك أن كتب الإمام الحسين عليه السلام وخطبه، منذ بداية إعلان نهضته برفضه بيعة يزيد، وإلى استشهاده يوم عاشوراء، تعتبر أفضل الوثائق وأولاها بالدراسة والبحث؛ من أجل الوقوف على المزيد من أسرار ثورته عليه السلام وأبعادها.

---

(١) راجع من لا يحضره الخطيب، ج١، ص٢١٤ ـ وديوان الشيخ الوائلي.

(٢) راجع من لا يحضره الخطيب، ٢٢١/١ ـ وديوان الشاعر.

إن هذه الخطب والوصايا والكتب التي صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام، في رحلته التاريخية نحو الشهادة التاريخية، تمثل منحنّى دقيقاً وعميقاً لمنطلقات حركته، والنقاط البارزة في سيرها.

وحينما تحرك الإمام الحسين عليه السلام من مكة بعث برسالة، صدّرنا بها مجلسنا هذا يمكن اعتبارها (برقية) سريعة أرسلها إلى من بقي من بني هاشم في المدينة، وهناك (برقية) أخرى، شابهت كثيراً هذه (البرقية) في قلة كلماتها، وبُعد مراميها، ودقة مضامينها، وذلك حينما وصل عليه السلام إلى كربلاء، وقد أرسلها الإمام الحسين عليه السلام هذه المرة إلى أخيه محمد بن الحنفية وجماعة بني هاشم، ولم يكن ابن الحنفية مخاطباً بالأولى لأنه كان موجوداً في مكة لما أراد الخروج منها. و(البرقية) الثانية، كانت حين الوصول إلى كربلاء وكان نصّها:

«**أما بعد، فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل، والسلام**».

فجاء الكتاب الثاني، مؤيداً لمضمون الكتاب الأول، في التأكيد على المسير إلى الشهادة ولا بُدّية زوال الدنيا، وضرورة العمل باتجاه الموقف الذي يخلد في الآخرة.

ولنحاول ونحن في هذه الليلة التي عقمت الدنيا أن تلد لها مثيلاً، أو توجد لها نظيراً، ليلة عاشوراء، وما أدراك ما ليلة عاشوراء!! نحاول في هذه الليلة التي أنتجت ليالي وأياماً، عبّدت الناس لله تعالى، وأحيت مفاهيم الإسلام وقيمه في نفوس أجيال الأمة جيلاً بعد آخر...

نعم نحاول الوقوف عند الكتاب الأول، والتأمل في بعض أبعاد كلماته، ومغازي ألفاظه، علّنا نعيش الإمام الحسين عليه السلام في ليلته هذه، ونرفع من مستوى تلقي نفوسنا لعطاء نهضته، واستلال المفاهيم التي تعيننا على حياة كريمة، وموقف مسؤول في دنيانا هذه.

وقبل الدخول في محاولة دراسة هذا الكتاب؛ الذي بعثه الإمام الحسين عليه السلام

إلى من بقي من بني هاشم في المدينة حين خروجه من مكة إلى العراق، فإن هناك رواية ينقلها السيد ابن طاووس في كتاب (اللهوف إلى قتلى الطفوف) عن الشيخ الكليني بروايته عن حمزة بن حمران، قال: «كنا جلوساً عند الإمام الصادق عليه السلام، وجرى كلام فيمن تخلّف من بني هاشم عن الحسين عليه السلام، وذكرنا ابن الحنفية».

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«أني سأحدثك بحديثٍ لا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا، إن الحسين لما انفصل من مكة متوجهاً إلى العراق، دعى بقرطاس وكتب: من الحسين بن علي إلى بني هاشم: (أما بعد، فإن من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام)».

لقد جاءت هذه الرواية في الجواب عمن سأل عن موقف محمد بن الحنفية، والذي لم يكون موجوداً حينها في المدينة، إلا أن الفكرة أو المفهوم الذي ذكره الحسين عليه السلام في كتابه هذا، شمل كل الذين لم يلحقوا به، سواءً كانوا في المدينة أو خارجها، وإن كانت للبعض أسبابٌ أو أعذار، حالت دون لحوقهم بالحسين والشهادة. وعلى كل حال، فلا بد إذن أن نقف عند مفردات الكتاب (البرقية) وأبعاده، حيث أن هذا الكتاب، قد أكد على مجموعة من الثوابت في ثورة الإمام الحسين عليه السلام. فإن للأحداث الاجتماعية معادلات تشابه إلى حدٍ كبير المعادلات العلمية الطبيعية؛ من وجود ثوابت أساسية في كل معادلة، مع وجود متغيرات أخرى فيها.

ولهذا فإن أبرز الثوابت التي يمكن لهذا الكتاب أن يبرزها هي:

الثابت الأول: «من لحق بنا استشهد» حتمية الشهادة وهي ثابت أساس ومتميز لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

نعم فالشهادة هي المحطة التي لابد أن يبلغها كل **«من لحق»**، من الأنصار

والمجاهدين، ولا احتمال لأي أمر آخر... ولعل هذه النقطة بالذات، جعلت لنهضة الإمام الحسين عليه السلام خاصية لم تتواجد في نهضة أخرى. إن كل تحرك أو نهضة أو مواجهة، تحتمل كلا احتمالين، إما الغلبة والنصر المادي الظاهر، وإما الشهادة والقتل والموت، نعم قد يكون أحد الاحتمالين أكبر من الآخر، قلّ هذا الاحتمال أو كثر، ولكن النتيجة أن هناك احتمالين. إلاّ واقعة كربلاء... فإن فيها احتمال، واحتمال واحد فقط، إنه احتمال الشهادة والموت!!

وهذه حقيقة كان يعيشها قائد النهضة، الحسين عليه السلام ويعيشها أهل بيته وأنصاره، وهم مع ذلك مصرّون على إكمال المسيرة إلى آخر محطّاتها. حقيقةً كان الإمام الحسين عليه السلام يذكرها ويشير إليهاا ويذكّر بها من كان معه ومن التحق به أو من يريد الالتحاق بركبه.

ففي الخطبة التي خطبها في مكة، ثم انطلق بعدها إلى العراق، ذكر عليه السلام:

«خُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء...».

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أن أباه الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء، لم ينزل في موضع ولم ينتقل إلى آخر، إلاّ وذكر (**يحيى بن زكريا عليه السلام**) وكيف أن رأسه أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل. حتى وصوله عليه السلام إلى كربلاء، حينما جمع أصحابه، وأهل بيته وخطبهم، وقال عليه السلام:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون... إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما...».

ولهذا لم نجد الحسين عليه السلام، يمنّي أحداً بنصر أو غلبة على عدوّ، فضلاً عن كسب الغنائم، وأخذ المواقع، واكتناز الأموال.

وهذا ما لم نجده في أي تحرّك فإن كل تحرّك ـ عدا ركب الحسين عليه السلام ـ يمنّي قائدُه أصحابَه وجيشَه بالنصر والغلبة وهزيمة العدّو ويشجعهم على ذلك، ويقرّب لهم تلك الأمنية، ويسهّل لهم ذلك الهدف.

وكان الحسين عليه السلام حريصاً على إفهام هذه الحقيقة لكل من يلتحق به من الأعراب وغيرهم، ولهذا كان يوافيهم بكل تطوّرات الموقف؛ فحينما بلغته أنباء استشهاد رسوليه إلى أهل الكوفة؛ قيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الله بن يقطر، ثم سفيره مسلم بن عقيل (رض)، أبلغ كل هذه الأخبار والتطورات إلى من كان معه... فتفرق عنه من لم يعرف هذا الثابت في حركته، وبقي معه الذين أدركوه وعاشوا عمقَ وبُعدَ حتمية الشهادة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام التاريخية.

الثابت الثاني: «**ومن تخلف لم يبلغ الفتح**» حتمية الفتح.

بعدما كان الثابت الأول؛ يؤكد حتمية الشهادة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام فإن الثابت الثاني هنا يؤكّد على ضرورة الفتح وحتميته.

نعم، فالحسين عليه السلام يؤكد هذا البعد في ثورته، إن الذين لم يلتحقوا بها، ولم ينضمّوا إلى مجاهديها، وبالتالي لن يكونوا مع شهدائها... أولئك لا يمكن لهم أن يبلغوا الفتح ولا أن يصلوا إلى النصر.

لقد أحدثت نهضة الإمام الحسين عليه السلام فتحاً غريباً وتاريخياً، عزّ أن تجد له نظيراً أو تسمع له شبيهاً، فتح في القلوب والنفوس والأرواح...

فتح في القلوب: حيث انفتحت على الله ورسالته، وعاشت الحب والهيام والتعلق بآل رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى صار الحسين عليه السلام وأيامه تناغم القلوب فتهفوا لها وتتفاعل، وتذوب لها وتبكي من أجلها...

نعم لقد فتح الحسين القلوب، حتى صار عنواناً لنبضها، ومؤثراً لحبّها:

«**أنا عبرة كل مؤمن ومؤمنة**».

وفتح في النفوس: حيث تحررت من ذل تركها لمسؤولياتها، وتحررت من طاعة اللئام، فبرزت إلى مصارع الكرام، لقد تحررت النفوس من الخوف الذي أشاعه الأمويون، وأرعبوا بن نفوس المسلمين، فجاء الحسين عليه السلام وجاءت شهادته لتحرر هذه النفوس المعذّبة، ولتنطلق بها إلى الموقف الذي أراده الله ورسوله صلى الله عليه وآله وضحى من أجله الحسين عليه السلام بكل من معه.

وفتح في الأرواح: حيث اتجهت نحو أهل البيت عليهم السلام ونهجهم وأطروحتهم، وأخذت تستجيب لنداءات العزّة والكرامة.

وفتح في المواقف: قارن مواقف الأمة قبل واقعة كربلاء ومواقفها بعدها.. عشرون سنة في سبات واستسلام للنهج الأموي، وطوال حكم معاوية منذ صلح الإمام الحسن إلى نهضة أخيه الحسين عليه السلام...

إنه فتح لإرادات المسلمين وفتح في فهم مواقفهم الشرعية.

إنه **فتح للإسلام** حيث ثار على من تدرعوا باسم الإسلام فأرهبوا وظلموا واكتنزوا، ثار عليهم ابن الإسلام، ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وبذا ضمن الحسين عليه السلام الارتباط المستمر بشريعة جده عليه السلام، وإلاَّ لخرج الثوار على الطغاة الظالمين، ممن حكم المسلمين، وكأنهم خرجوا على الدين ونقضوا عهد القرآن وجهاد النبي صلى الله عليه وآله والمجاهدين الأوائل معه.

إنه فتح تجاوز عصر الحسين عليه السلام، ليمتد إلى كل العصور وليتخرج من مدرسة أبناء الأجيال وطبقات الأمة؛ جيلاً بعد جيل وطبقة بعد أخرى..

لمّا حوصر مصعب بن الزبير حينما أحاط به الأمويون في البصرة، سأل حمزة بن المغيرة بن شعبة عن موقف الحسين عليه السلام في كربلاء، فلما حدّثه، قال ابن الزبير: «**إن ابن فاطمة لم يترك لابن حرّةٍ عذراً ثم أقحم نفسه في القتال حتى قتل**».

نعم الحسين فاتح ويا لهُ من فاتح...

لقد كان الحسين عليه السلام مدركاً لأبعاد هذا الفتح، يذكّر به من لحق به، ولا يدع مناسبة إلاّ ويشير إليه. فقبيل الوصول إلى كربلاء، ولما كان الركب الحسيني في (قصر بني مقاتل) التقى عليه السلام بالطرّماح بن عديّ الطائي، الذي عرض عليه اللجوء إلى جبل حصين يقع في أراضي قبيلة طي، هو جبل (أجا)، بعدما أخبر الحسين عليه السلام بكثافة الجيش الذي شاهده يُهيأ لحربه، في ظهر الكوفة حيث قدم منها.

فقال له الحسين عليه السلام:

«**إن بيننا وبين القوم قولاً** ـ أي الحرّ وجيشه ـ **لا نقدر معه على الانصراف، فإن يدفع الله عنا فقديماً ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن مما لا بدّ منه** ـ أي الموت ـ **ففوزٌ وشهادة**».

وانظر إلى عمق ما كان ينظر إليه أهل البيت عليهم السلام في بُعد الفتح هذا، فلما رجع ركب السبايا إلى المدينة محمّلاً بالآلام ومكابداً للمحن، ومختزناً للكُرَب... وإذا بأحد الشامتين من قاصري النظر ومشوشي الفكر، وهو إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، حيث واجه الإمام زين العابدين عليه السلام وسأله، سؤالاً لا يخلو من شماتة وقصر نظر وضحالة تفكير: من الغالب؟

وإذا بالإمام عليه السلام يُجيبُه بإجابة لم يكن ذلك الرجل بواعٍ لها ولا مدرك لأبعادها... فقال له:

«**إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب**».

إنه فوز وغلب وفتح... وهذا الثابت الثاني في حركته عليه السلام.

الثابت الثالث: «**من لحق بنا استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح**»؛ التلازم بين الشهادة والفتح.

من يعيد قراءة نصّ الكتاب ـ موضوع البحث ـ ويقف عنده، يجد أن هناك علاقة ذاتية الارتباط والتلازم في نهضة الحسين عليه السلام، إنها العلاقة بين

حتمية الشهادة (**الثابت الأول**) وبين حتمية الفتح (**الثابت الثاني**)، فينتج من هذه العلاقة بين الثابت الأول والثابت الثاني، ثابت ثالث، وضرورة ثالثة تلك هي العلاقة الغريبة والارتباط المذهل بين الموت والفتح، بين الشهادة والفوز، بين القتل والنصر...

إن هذه العلاقة كانت غائبة عن كل الذين لم يلحقوا بالحسين ومسيرته.. سواء الذي أشفقوا عليه وحاولوا منعه من الخروج إلى كربلاء؛ كابن عباس وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وأم سلمة وعموم بني هاشم...

كما كان هذا الارتباط بين الشهادة والفتح غائباً، عن الذين حاولوا ثني الحسين عن خطتّه لسبب أو آخر؛ كعبد الله بن عمر وابن الزبير والأمويين في مكة والمدينة... كما كان هذا الارتباط غائباً حتى عن الجيش الذي خرج لحربه، بل وكل قياداته من عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد إلى يزيد...

لقد كان المشفقون على الحسين عليه السلام، يخافون عليه أن يقتل كإنسان له هذا الموقع من الإسلام، ومن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. يخافون عليه جسداً، والحسين عليه السلام كان يهدف إلى إرجاع الحياة إلى الدين وإعادة الأمة إلى عقيدتها وبالتالي كرامتها...

وأما أعداء الحسين عليه السلام، فلم يكن في خلدهم أن ينتهي الأمر إلى ما انتهى إليه... ولم يكن يتصورون أن قتل الحسين عليه السلام الذي كانوا يظنونه نصراً لهم وفوزاً، سينقلب انقلاباً مذهلاً لصالح الحسين عليه السلام وموقفه ومنهجه...

ارجفوا أنك القتيل المدمّى ... أو من يُنشئ الحياة قتيلُ
ويموت الرسول جسماً ولكن ... في الرسالات لن يموت الرسولُ

نعم لقد كان طغاة بني أمية يخادعون أنفسهم ويحاولون خداع الآخرين، أنهم قد انتصروا وأنهم في فتح وفوز. لقد انزعج ابن زياد لبكاء الصحابي زيد بن أرقم وهو يرى رأس الحسين عليه السلام في قصر الإمارة بالكوفة، فبادره بغطرسته

قائلاً: أتبكي لفتح الله!! هكذا كانوا يعتقدون أو يحاولون تصوير قتلهم الحسين عليه السلام بأنه نصر وفتح.

لو كان محبو الحسين عليه السلام والمشفقون عليه، يعلمون ويدركون هذه العلاقة الجدلية بني القتل والفتح، لهبوا إلى نصره ولسارعوا إلى الاستشهاد بين يديه، كما أن أعداء الحسين عليه السلام، لو كانوا يعلمون بهذه العلاقة لأبقوا على الحسين عليه السلام ولحافظوا على حياته. ولأحجموا عن سفك دمه!!

نعم لقد كان الحسين عليه السلام مدركاً تمام الإدراك للفتح، الذي ينتظره التاريخ وتنتظره الأمة بشهادته... وفي آخر لقاء له عليه السلام مع أهل بيته وأنصاره قبل احتدام المعركة؛ ليلة عاشوراء، جمعهم وخطب فيهم وقال:

«**ألا وأني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وأني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام. وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم، فإن القوم إنما يطلبونني ولو أصابوني لشغلوا عن طلب غيري...**».

فاندفع أخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر وأبناء عقيل، يُعربون عن موقفهم الثابت، في الدفاع عنه والاستماتة على نهجه.

ثم جاء دور الأنصار؛ حيث تكلّم مسلم بن عوسجة، وسعيد بن عبد الله الحنفي، وزهير بن القين، ومحمد بن بشير الحضرمي، بما انطوت عليه قلوبهم واعتقدته ضمائرهم في الدفاع عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله والاستعداد للموت والترحيب بلقائه.

وتنادت للذبّ عنه عصبة ... ورثوا المعالي أشيُباً وشبابا
من ينتدبهم للكريهة ينتدب ... منهم ضراغمة الأسودِ غضابا
خفوا لداعي الحرب حين دعاهم ... ورسوا بعرصة كربلاء هضابا

ثم أخذ أهل البيت من جهة، والأنصار من جهة أخرى، يتنافسون فيما بينهم فيمن يبدأ القتال يوم غد، ومن يكون له قصب السبق في سفك الدماء وذهاب الأنفس على مذبح الدين والشريعة.. حتى جاءوا يحتكمون إلى الحسين عليه السلام في هذه المسألة.. فأشار عليه السلام إلى أن أصحابه هم من يبدأ الحرب، ويفتح سجلّ الشهادة غداً..

هذا موقف أسعد الحسين عليه السلام وأسعد قلوب الفاطميات، اللواتي بتن في قلقٍ هذه الليلة، من مواقف الناس مع أهل البيت عليهم السلام في حال اشتباك الحرب.

التخلص:

أقول هذا موقف، والحسين عليه السلام تعلو وجهه ابتسامة الرضا والثقة بأنصاره وأهل بيته، وهو يخبر أخته بذلك التقييم الذي كان عن تجربة وإعداد مسبقين:

«والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم غلاً الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استيناس الطفل إلى محالب أمّه».

فبكى نافع بن هلال، وهو يستمع إلى قول الحسين عليه السلام هذا لأخته، كما وبكى بقية الأنصار هذه الليلة لقول الحسين هذا.

هذا وزينب عليها السلام تطيل النظر إلى أخيها الحسين عليه السلام، وكافلها أبي الفضل عليه السلام، وبقية الهاشميين ونجوم الأرض من آل عبد المطلب. نعم يا أخوتي، تتركوني وأنا غريبة في دار غربة، ومعي لفيف من النساء الضائعات والأطفال المرعوبين. نعم لقد صرخت زينب عليها السلام هذه الليلة وهي تسمع أخاها ينعي نفسه:

«واثكلاه... ليت الموت أعدمني الحياة... اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي».

وصرخت أم كلثوم:

«وا محمداه وا علياه وا أماه وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك».

الموضوع الثاني الذي يمكن طرحه في الليلة العاشرة من محرم:

مظاهر الثبات والتضحية في ليلة العاشر:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[1].

جاءت هذه الآية الكريمة، عقيب واقعة أحد، بما تركت في المجتمع الإسلامي الأول بالمدينة المنورة، من شعور بالهزيمة والانكسار، وفقد للشهداء الضحايا، وآخرين جرحى. والأخطر من ذلك تسرّب حالة الاحباط واليأس، وبروزها بشكل يدعو إلى الإسراع في المعالجة، وضرورة الاستفادة إيجابياً من هذه التجربة السلبية، معركة أُحد.

وفي الوقت الذي عاد فيه المسلمون إلى المدينة مجهدين، منهوكي القوى، خائري العزائم، يتجرعون مرارة الهزيمة وخيبة مخالفة أوامر الرسول الله ﷺ، هنا ينطلق أنين لجريح، وهناك لوعة لفقيد، وهنالك بكاء وندب لشهيد. واكتست المدينة أبراد الحزن ومسوح الألم.

في هذه الأجواء التي يخيّم عليها القنوط والإحباط، وإذا برسول الله ﷺ يصدر أوامر غريبة، ويطالب بموقف بعيد عن التصوّر في تلك الظروف...

نعم لقد دعا النبي القائد ﷺ، كل من يقدر على حمل السلاح من المسلمين، إلى المبادرة للتجمّع في معسكر على أطراف المدينة، على أن يأتي كل واحد منهم بما يقدر على حمله: من عدّة القتال وأنواع السلاح. أليس غريباً هذا الأمر في أجواء مثل هذه؟ وهكذا جاء المسلمون، هذا يتكئ على أخيه، وهذا يعضّ على جراحه، وثالث مجاهداً.. والجميع يعيشون صور إخوانهم الشهداء، الذين مضوا قبل ساعات إلى لقاء ربهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية/١٧٣.

وإذا برسول الله ﷺ قد سبقهم إلى المعسكر وكله عزيمة وقوة ومضاء... لم يثنه فقد عمه الحمزة عليه السلام والتمثيل به، ولا ما أصابه من كسر رباعيته وشجّ رأسه ونزف جراحه...

نعم جاء رسول الله ﷺ ليرسل عدة رسائل في آن واحد، رسالة إلى أصحابه، بأن لا يقعوا فريسة لوساوس الشيطان في تحطيم معنوياتهم، وإشاعة أجواء القنوط واليأس في أوساطهم.

ورسالة إلى المنافقين داخل المدينة، بقوة المسلمين وعضّهم على جراحهم وعدم انهزامهم، رغم قساوة التجربة وعظيم التضحية. ورسالة إلى اليهود مشابهة للرسالة الموجهة إلى المنافقين.

ورسالة رابعة إلى مشركي قريش؛ بأن دين الله وأنصاره لا يمكن لهم أن يعيشوا الهزيمة، بل أنهم جاءوا رغم ما بهم، مستعدين لجولة جديدة ومواجهة أخرى مع أئمة الكفر.

لقد كانت خطة من المشركين في الإجهاز على المسلمين، والإطباق عليهم وهم مشغولين بآلامهم وشهدائهم... فما كان من رسول الله ﷺ، إلاّ أن يدعو إلى هذا التجمّع، فأحبط خطة المشركين ولم يجرأوا على تنفيذ ما أرادوا تنفيذه.

إنه درس من دروس الثبات والإصرار، على مواجهة حالات الإحباط واليأس وعدم التوقف عند مستوى معين من التضحيات، درس من دروس سيرة رسول الله ﷺ لنا، ولمن كان قبلنا، ولمن يأتي بعدنا من المسلمين.

ومن أولى بالاقتداء برسول الله، والأخذ بموقفه وعزيمته وإصراره واستماتته في سبيل الحق، من سبطه وولده الحسين عليه السلام، الذي ورث جده المصطفى مبدءاً ومضاءً وإصراراً. لاحظوا قول رسول الله ﷺ:

«لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

ثم انظروا إلى مقالة الحسين عليه السلام:

«ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلة وهيهات منّا الذلة».

نفس الخط وعين النهج، ذات الأسلوب... نعم:

«حسين مني وأنا من حسين».

كان الإمام الحسين عليه السلام والصفوة الطيبة التي نصرته، يزدادون عزماً وقوة مع تخاذل الناس وانهزامهم، لقد جمع الأمويون في أيام قلائل، وفي أقل الروايات ثلاثين ألفاً، وكانوا يظنون أن الجموع كلما تكاثفت والجيوش كلما تراكمت، فإن ذلك سوف يؤثر سلباً في موقف الحسين عليه السلام، أو يضعف من عزيمته، أو يفت في عضده.

وإذا بالحسين عليه السلام يطفح وجهه إشراقاً ويزداد إصراراً، مع كل تلك التجمعات الكبيرة، أو ليس الحسين عليه السلام ابن القرآن، كان يعيش الآية ويعي أبعادها:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

إن الحسين عليه السلام لم يفاجأ بالحشود التي رآها تزحف لحربه في كربلاء، فقد أخبره الطرماح بن عدي الطائي، حينما التقاه في طريقه إليها، وقال له: **«لم تر عيني جمعاً في صعيد واحد، كما رأيت في ظهر الكوفة، ولما سألت عنهم، فقيل: إنهم يسيرون لحرب الحسين».**

بجمع من الأرض سدّ الفروج وغطّى النجود وغيطانها
وطا الوحش إذ لم يجد مهرباً ولازمت الطير أوكارها

والطرماح اقترح على الحسين عليه السلام الإعراض عن إكمال مسيرته، وإلاّ فهو القتل لا محالة. فأجابه الحسين عليه السلام بلغة المطمئن الواثق:

«إن يدفع الله عنّا، فقديماً ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن ما لا بدّ منه ففوز وشهادة».

نعم تكاثرت الجيوش على الحسين عليه السلام:

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾.

إن سوق الحدادين في الكوفة، كان يعمل ليل نهار لعشرة أيام؛ لصنع السلاح لحرب الحسين عليه السلام. ونادى منادي ابن زياد: برأت الذمة ممن لم يخرج لحرب الحسين.

ملأُوا القفار على ابن فاطمةٍ ... جنداً وملأُوا قلوبهم ذُحَلُ

جاءت وقائدها العمى وإلى ... حرب الحسين يقودها الجهلُ

بجحافلٍ بالطفِ أولها ... وأخيرها بالشام متصّل

لقد جسّد الحسين عليه السلام وأنصاره يوم عاشوراء، الدرس القرآني بأعلى صوره وأنقى مصاديقه:

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

نعم، فكما ازداد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنصاره المجاهدون إصراراً، رغم حراجة الموقف وضخامة التضحيات في أُحد، فإن الحسين وأنصاره كانوا يزدادون مضاءً وعزيمة مع قلة عددهم وكثرة عدوّهم حتى يوم عاشوراء.

لاحظ أن الآية لم تقل أن المؤمنين لم تؤثر بهم تلك المقولات والإشاعات حول كثرة المشركين وقوتهم، أو أنهم بقوا على نفس مستوى الاستعداد والتهيؤ للعدو، بل (**ازدادوا إيماناً**)... في حراجة الموقف يزداد مستوى الاستعداد للمواجهة وبذل التضحية.

إن الذي يتابع خطب الإمام الحسين عليه السلام وتصريحاته، في خط مسيرته التاريخية المباركة، يجد أن الإصرار فيها يتعمّق، والعزيمة فيها تتأكّد... بحيث أننا لو استطعنا أن نرسم منحنىً بيانياً، نضع في مستواه الأفقي الفترات

الزمنية، منذ رفض البيعة في المدينة، حتى آخر لحظة من حياة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وفي المستوى العمودي مستوى الإصرار وقوته ودرجته، لرأينا ارتفاعاً مذهلاً في نقاط هذا الاستعداد والإصرار.

إن موقف الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه يوم كربلاء، موقف يختزن الفخر والاعتزاز وعزة الانتماء، فالحسين عليه السلام لم يكن مجرد مظلوم أو غريب أو وحيد، بل كان أيضاً مجاهداً ومبدئياً ومضحياً...

أول تصريح للحسين عليه السلام كان في وصيته لأخيه ابن الحنفية:

«**إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**».

وآخر ما قاله حينما برز يوم الطف:

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني
أمضي على دين النبي أحمي عيالات أبي

نعم (أليت أن لا أنثني).

ولهذا فليس من المستغرب، ما قاله السيد ابن طاووس في كتابه (اللهوف في قتلى الطفوف): «**ولولا امتثال أمر السنّة والكتاب، في لبس شعار الجزع والمصاب، لأجل ما طُمس من أعلام الهداية، وأسّس من أركان الغواية، وتأسفاً على ما فاتنا من تلك السعادة، وتلهفاً على أمثال تلك الشهادة، وإلا كنّا قد لبسنا لتلك النعمة الكبرى أثواب المسرّة والبشرى**».

وفي هذا المعنى تأتي أبيات شاعر أهل البيت:

لو لم تكن جُمعت كل العلى فينا لكان ما كان يوم الطف يكفينا
يوم نهضنا كأمثال الأسود به وأقبلت كالدبا زحفاً أعادينا
جاءوا بسبعين ألفاً سل بقيّتهم هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا!!

وفي كتب (المقاتل) شهادات أدلى بها بعض من جاء لحرب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وقد شدّهم إصرار الحسين عليه السلام وعزيمته.

قال عبد الله بن عمار بن يغوث: «**ما رأيت مكثوراً** - وهو الوحيد في أعداء كثيرين - **قط قد قُتل ولدُه وأهل بيته وصحبه أربط جاشاً منه، ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدما. ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شدّ فيها ولم يثبت له أحد**».

كان هذا بُعيد طفله الرضيع عبد الله.

وشهادة أخرى، لرجل آخر ممن خرج لحرب الحسين عليه السلام، وذلك حينما صُرع الحسين وهوى إلى الأرض، بعدما أصابه السهم المثلث، يقول هلال بن نافع: «**كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً قط، مضمخاً بدمه، أحسن منه وجهاً ولا أنور، ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله**».

إن الحسين عليه السلام كان يجسد أروع ارتباط بالله تعالى وأندى محبة له وذوباناً في قدسه، واستمطاراً لفيضه وعطائه.

ولهذا يقول المحققون أن أعظم كلمة قالها الحسين عليه السلام يوم عاشوراء بعد أن قُتل أبناؤه وإخوته وأبناء أخوته وأبناء عمومته وصحبه، هي قوله عليه السلام:

«**هوّن ما نزل بي أنه بعين الله**».

وهي عبارة أخرى عن درس هذا الآية الكريمة:

﴿**وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾.

لقد اندفع الحسين عليه السلام وركبهُ الأسطوري نحو لقاء الله، نحو الموت، باندفاع رسالي غريب، ولهفة للآخرة بشكل استثنائي... ومتى كان ذلك؟ لقد كان في مرحلة شاع فيها حبّ الدنيا والركون إلهيا والاستئناس بنعيمها الزائل.

فالحر بن يزيد الرياحي، كان يظنّ أن الحسين عليه السلام لم يكن مدركاً لكثافة

القوة التي حشدت لحربه، ولم يكن عارفاً بضخامة الجيش الذي أعدّ لمواجهته، فلما أخبر الحسين عليه السلام بالمعلومة التي كان الحر يتصور أن سيد الشهداء لم يكن محيطاً بها: «يا حسين، إني أذكرّك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتُقاتلنّ، ولئن قُوتلت لتهلكنّ فيما أرى».

فقال له الحسين عليه السلام:

«أفبالموت تخوفني، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول لك كما قال أخو الأوس لابن عمه، حين لقيه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخوّفه ابن عمه، وقال له: أين تذهب فإنك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبوراً وفارق مجرما
فإن عشت لمْ أندم وإن متُ لم أُلُمْ كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما

فصعق الحر لهذا الردّ غير المتوقع من طرفه، (فلما سمع الحرّ ذلك منه، تنحى عنه، وأخذ يسير بأصحابه في ناحية، والحسين عليه السلام في ناحية)!!

التخلص:

وجاءت هذه الليلة، ليلة عاشوراء، حيث زحف الجيش الأموي عصر عاشوراء لحرب الحسين عليه السلام، الذي بعث لهم أخاه العباس عليه السلام وابنه علياً الأكبر عليه السلام، في عشرين من أصحابه وأخيراً تم الاتفاق على تأخير موعد مناجزة الحرب إلى صباح غد، إلى يوم عاشوراء الدامي.

فجمع الحسين عليه السلام أهل بيته وأنصاره مساء يوم التاسع من المحرّم وخطبهم وبين لهم المصير الذي ينتظره وقد أذن لهم بالانصراف عنه لأنه هو المطلوب وليس هم:

«أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً... ألا وأني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً! وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم فإن القوم إنما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري».

فقال له أهل بيته:

«ولم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك!! لا أرانا الله ذلك أبداً».

ثم هبّ الأنصار يعربون عن صدق مواقفهم.

فقال مسلم بن عوسجة: **«انحن نخلّي عنك وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقّك».**

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: **«والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك».**

وقال زهير بن القين: **«والله وددت أني قتلت ثم نشرت ثم قُتلت، حتى أقتل كذا ألف مرة. وإن الله عزّ وجلّ يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.**

بأبي من شروا لقاء حسين ... بفراق النفوس والأرواح

أدركوا بالحسين أكبر عيدٍ ... فغدوا في منى الطفوف أضاحي

فأخبرهم الحسين عليه السلام، وبشرهم بقرب اللقاء مع الله، والالتحاق برسول الله ﷺ والمجاهدين الشهداء... فكأنهم نشطوا من عقال، بين مباشرة للعبادة، وتأهب للحرب، وكان لهم دويّ كدويّ النحل؛ بين قائم وقاعد وراكع وساجد.

نعم، جاءت ليلة عاشوراء، قصيرة الظّل طويلة الركوع والسجود، وسيطلع

الفجر من يومها؛ قاتم اللون، أحمر الجلباب، خالد العطاء... وتأهب التاريخ لهذه الليلة ويوم غد؛ لكتابة صفحات لم يشهد لها مثيلاً، ملوّنة بدم الشهادة ونور الحق، حيث سيندفع فتية علي عليه السلام وخريجو مدرسته يوم غد، وقلوبهم مفعمة بحبّ الله، وألسنتهم رطبة ـ على رغم عطشهم ـ بذكر الله، وقد هبّوا دفاعاً عن دين الله، وثأراً للحق ومعالم الدين.

وتلفَّع الليل عباءته الداكنة هذه الليلة، وتلألأت فيها نجوم الأرض من آل عبد المطلب وأنصار الهدى، وأطبق الهدوء على كربلاء... إلاّ تمتمات لذكر الله وتلاوة كتابه.. وأنين خفي، وبكاء شجيّ لنسوة ألبسهن الوحي جلباباً، وكساهن الدينُ أثواباً، وهن يرين أمامهن المأساة وقد اجتمعت فصولها، والمحنة وقد لملمت أطرافها، وفراق الأهل والأحبة وقد ارتسمت معالمه، على الوجوه ولغة العيون. نعم، كان الحسين يردد هذه الأبيات في هذه الليلة:

يا دهر أفٍ لك من خليل ... كم لك بالإشراقِ والأصيل

من صاحب وطالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حي سالك سبيلِ

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وكان ملقى على فراش المرض تعلّله عمته زينب عليها السلام:

«فأعادها مرتين أو ثلاثاً ففهمتها وعرفت ما أراد، وخنقتني العبرة، ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل».

فلما انتبهت زينب عليها السلام إلى أبيات أخيها هذه، قامت تجرّ ذيلها حتى انتهت إليه وقالت:

«واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي

علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمال الباقين».

فعزّاها الحسين وصبّرها، وقال لها:

«يا أختاه تعزيَ بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وكل شيء هالك إلاّ وجهه، ولي ولكل مسلم برسولِ الله أسوة حسنة».

فقالت عليها السلام:

«أفتغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أقرح لقلبي وأشدَ على نفسي».

وبكت النسوة معها. وصاحت أم كلثوم:

«وا محمداه وا علياه وا إماماه وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك».

وأخذ الحسين عليه السلام يوصي أخته زينب عليها السلام بوصاياه، برعاية العيال والأطفال كي لا يضيعوا بعده.

وزينب عليها السلام غارقة في بحر دموعها وهي تشهد قراءة وداع أخوتها وأهلتها فكيف بها غداً لما رجع الحسين لوداعها آخر مرة:

كما أن من المناسب في هذه الليلة ذكر مصيبة عبد الله الرضيع.

فهرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	٥
الليلة الأولى:	
في أهمية إقامة مجالس العزاء الحسيني	١١
قصائد الليلة الأولى	١١
العنوان المناسب	١٢
الموضوع الأول: القرآن الكريم والنبي الأعظم ﷺ والإعداد لنهضة الإمام الحسين عليه السلام	١٢
الموضوع الثاني: بكاء النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام على الحسين عليه السلام والإخبار بشهادته	١٧
الموضوع الثالث: حث الأمة على إقامة المآتم على الحسين عليه السلام	٢٤
الليلة الثانية:	
خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة	٣١
قصائد الليلة الثانية	٣١
العنوان المناسب	٣٢
الموضوع الأول: معاوية وولاية عهد ولده الفاسق يزيد	٣٣
الموضوع الثاني: العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية	٤٠
الموضوع الثالث: بين موت معاوية وبيعة يزيد	٥٠

الليلة الثالثة:

الحسين عليه السلام في مكة وخروجه منها إلى العراق ٦١
قصائد الليلة الثالثة ٦١
العنوان المناسب ٦٢
الموضوع الأول: آخر مجريات أحداث المدينة والوصول إلى مكة والتوقف عند أبرز أحداثها وتطوّراتها ٦٢
الموضوع الثاني: مراسلة الإمام الحسين عليه السلام لرؤساء أهل البصرة ٧٣
الموضوع الثالث: أهم الأحداث منذ نزول الحسين عليه السلام بمكّة حتى خروجه منها ٨٥

الليلة الرابعة:

وصول الحسين عليه السلام وركبه إلى كربلاء ٩٩
قصائد الليلة الرابعة ٩٩
العنوان المناسب ١٠٠
الموضوع الأول: خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى كربلاء ١٠١
الموضوع الثاني: المنازل من مكة حتى زرود ١٠٩
الموضوع الثالث: المنازل من زرود وحتى كربلاء ١١٨

الليلة الخامسة:

سفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل رضوان الله عليه ١٤٣
قصائد الليلة الخامسة ١٤٣
العنوان المناسب ١٤٤
الموضوع الأول: وعي الكوفة عبر وثيقة تأريخية ١٤٥
الموضوع الثاني: تأملات في حركة مسلم بن عقيل (رض) ١٥١
الموضوع الثالث: خطوات مسلم بن عقيل (رض) إلى الكوفة ١٦٠

الليلة السادسة:

أنصار الإمام الحسين عليه السلام ١٦٩
قصائد الليلة السادسة ١٦٩
العنوان المناسب ١٧٠
الموضوع الأول: اختبار الحسين عليه السلام لأصحابه وإعدادهم ليوم المواجهة ١٧٠
الموضوع الثاني: دور المرأة المؤمنة، في واقعة الطف ١٧٨
الموضوع الثالث: بعض الدروس والعبر المستفادة من مواقف
أنصار الحسين عليه السلام ١٨٥

الليلة السابعة:

أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ١٩٥
قصائد الليلة السابعة ١٩٥
العنوان المناسب ١٩٦
الموضوع الأول: زيارة الحسين عليه السلام ١٩٦
الموضوع الثاني: حركة الحسين عليه السلام ووضع الأمة آنذاك ٢٠٦
الموضوع الثالث: في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام ٢١٢

الليلة الثامنة:

القاسم بن الحسن عليه السلام ٢٢١
قصائد الليلة الثامنة ٢٢١
العنوان المناسب ٢٢١
الموضوع الأول: بين صلح الحسن عليه السلام وثورة الحسين عليه السلام ٢٢٢
الموضوع الثاني: تتابع الأحداث بعد نزول الحسين عليه السلام في كربلاء ٢٣١
الموضوع الثالث: الإسلام وقيمة الشباب ٢٤١

الليلة التاسعة:

علي الأكبر بن الحسين عليه السلام ٢٥١
قصائد الليلة التاسعة ٢٥١
العنوان المناسب ٢٥٤
الموضوع الأول: تعامل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه مع الموت ٢٥٤
الموضوع الثاني: قلة أنصار الإمام الحسين عليه السلام وكثرة المتخاذلين عنه ٢٥٧
الموضوع الثالث: هدف ثورة الإمام الحسين عليه السلام ٢٨٦

الليلة العاشرة:

طفل الحسين عليه السلام عبد الله الرضيع ٢٧١
قصائد الليلة العاشرة ٢٧١
العنوان المناسب ٢٧٢
الموضوع الأول: تعامل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه مع الموت ٢٧٢
الموضوع الثاني: مظاهر الثبات والتضحية في ليلة العاشر ٢٨٢

الفهرس ٢٩٢